

مكتبة المهتدين الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٧/٨/٤٢٦٢)

٢٢٣.٢
الحمد، غانم قدوري
القراءات القرآنية مناهج وأعلام / غانم قدوري الحمد. -
عمان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ٢٠١٧.
(٢٢٤) ص.
ر.إ.: ٢٠١٧/٨/٤٢٦٢.
الواصفات: /قراءة القرآن // القرآن الكريم /
الرقم المعياري الدولي: (ردمك) ISBN 978 - 9957 - 638 - 28 - 3

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبرَ هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل المكتبة الوطنية

من منشورات



هاتف: ٤٦٢٨٣٣٣ ٦ ٩٦٢+ فاكس: ٤٦٢٨٣٣٦ ٦ ٩٦٢+
ص.ب: ٩٢٥٨٩٤ - الرمز البريدي: ١١١٩٠
حسابنا لدى البنك الإسلامي الأردني / فرع الحسين (١٧٦٧١)
عمان - الأردن
www.hoffaz.org
E-mail:hoffaz@hoffaz.org

http://www.al-maktabeh.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمَة

الحمدُ للّهِ رَبِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أَمَّا بَعْدُ

فإن قراءة القرآن الكريم من أفضل أعمال البر التي يحرص المسلمون عليها منذ عصر الصحابة إلى زماننا، ولقراءة القرآن الكريم قواعد وأصول تضمنها (علم القراءات)، وكانت قد ارتبطت نشأة هذا العلم بتلقي الصحابة -رضي الله عنهم- القرآن الكريم من النبي ﷺ وتعليمه إياهم القراءة، وتَلَقَّى التابعون القراءات عن الصحابة، وأخذها عنهم تابعو التابعين، وكان علم القراءات من أوائل العلوم الإسلامية التي حَظِيَتْ بالتدوين، وكُتِبَتْ فيه عشرات الكتب في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، قبل أن يُؤَلِّفَ ابنُ مجاهد البغدادي (ت٣٢٤هـ) كتابه (السبعة في القراءات)، الذي أسس لمنهج جديد في رواية القراءات والتأليف فيها.

وكان علم القراءات القرآنية قد أثار اهتمامي منذ أمد بعيد، لعلاقته بعلم رسم المصحف من جانب، وعلاقة علم التجويد به من جانب آخر، فكتبتُ عدداً من المباحث عن علم القراءات في كتابي (رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية)، وكتابي (محاضرات في علوم القرآن)، وكتبتُ عدداً من البحوث المفردة المتعلقة بنشأة علم القراءات، وظهور مدارس الإقراء، وبالمؤلفات الأولى في هذا العلم ومناهج العلماء فيها، وقد نُشِرَتْ في مجلات علمية متعددة، أو أُلْقِيَتْ في مؤتمرات أو ندوات متخصصة، وظلت حبيسةً في تلك المجلات أو وقائع تلك المؤتمرات، وأحسب أن جمعها في كتاب وتقديمها للمهتمين بعلم القراءات أمر مفيد.

وأول بحث في هذه المجموعة عن (المنهجُ النبويُّ في تعليمِ الوفودِ إلى المدينة المنورة القرآنَ الكريمَ)، يليه بحث في التعريف بأشهر مُعَلِّمِي القرآن الكريم في عصر التابعين، وهو (أبو عبد الرحمن السلمي وجهوده في الإقراء وتعليم القرآن الكريم)،

مكتبة المهتدين الإسلامية

وآخِرُ بحث في الكتاب عن (التلاوة القرآنية الموحدة في معاهد التعليم: ضرورة علمية وتعليمية)، وقبل هذا البحث عدد من البحوث في التعريف بأشهر كتب القراءات القرآنية المؤلفة في القرون الهجرية الأولى، قبل عصر ابن مجاهد، وتشمل كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) في القراءات، وكتاب أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ)، وكتاب إسماعيل القاضي (ت ٢٨٢هـ)، وأَلْحَقْتُ بها بحثاً عن كتاب محمد ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) في القراءات القرآنية، وجميع هذه الكتب مفقودة، وبَقِيَتْ منها نصوص منقولة في المصادر المتأخرة، تشير إلى موضوعاتها، وتكشف عن منهج مؤلفيها، الذي يقوم على ذكر جميع القراءات التي كانت تُرْوَى في عصرهم، قبل أن يختار ابن مجاهد القراءات السبع.

وكنتُ قد نشرتُ بعض البحوث المتعلقة بالقراءات القرآنية في كتاب (أبحاث في علوم القرآن)، منها البحث الموسوم: (أصل القراءات القرآنية بين حقائق التاريخ ودعاوى المبطلين)، والبحث الموسوم: (الاختيار في قراءة القرآن)، ولم أُدْرِجْ هاذين البحثين في هذا الكتاب، تفادياً لتضخم الكتاب، وابتعاداً عن تكرار النشر من غير ضرورة.

ومضى على كتابة بعض البحوث التي يضمها هذا الكتاب عشرات السنين، وقد يكون بعض ما ورد فيها يحتاج للمراجعة من ناحية المصادر، أو وجهات النظر، لكني سوف أحافظ على تلك البحوث في صورتها الأولى، وأكتفي بإعادة قراءتها، وتصحيح ما أجده بحاجة إلى تصحيح، وقد أُغَيِّرُ بعض العبارات التي أجدها تحتاج إلى تغيير، أو أضع بعض التعليقات التي تلزم في بعض المواضع، لكن ذلك سيكون في أضيق الحدود، وسأعمل على توحيد طبعات الكتب التي رجعت إليها في جميع البحوث، لتكون في قائمة واحدة في آخر الكتاب.

إن البحوث التي يضمها هذا الكتاب تركز على عدد من القضايا التاريخية والمنهجية المتعلقة بعلم القراءات القرآنية، وفي مقدمتها تاريخ القراءات القرآنية قبل عصر ابن مجاهد البغدادي المتوفى سنة ٣٢٤هـ، الذي كان أَوَّلَ مَن سَبَّعَ السبعة، وتأثر بمنهجه المؤلفون في علم القراءات من بعده، واشتهرت القراءات السبع دون غيرها، ونظم الإمام الشاطبي كتاب (التيسير في القراءات السبع) للداني، فاشتهرت

http://www.al-maktabeh.com

القراءات في العصور المتأخرة من خلال الشاطبية، وألحق علماء القراءة بعد ابن مجاهد ثلاث قراءات بها، لِتُصْبِحَ القراءات المشهورة عشر قراءات، دارت حولها المؤلفات، ولخصها الإمام ابن الجزري في منظومته: (الدرة المتممة)، وجمعها في (طيبة النشر في القراءات العشر).

إن المشتغلين بعلم القراءات القرآنية في زماننا قد أشبعوا القراءات بحثاً ورواية من خلال الشاطبية، والدرة، والطيبة، لكن الحديث عن تاريخ القراءات في القرون الهجرية الثلاثة الأولى قد يكون فيه ما هو جديد على الدارسين والمهتمين بالقراءات القرآنية في زماننا، وهو ما رَكَّزَتْ عليه البحوث التي يضمها هذا الكتاب، إلى جانب موضوعات أخرى، مثل الحديث عن التلاوة القرآنية الموحدة.

أسأل الله تعالى التوفيق للصواب في ما كتبتُ، وأن ينفع به المشتغلين بعلم القراءات القرآنية، والمهتمين بعلوم القرآن الكريم، وأتمنى على مَن يَجِدُ في الكتاب ما يحتاج لمراجعة أو تصحيح أن يكتب به إليَّ، لعلي أتمكن من استدراكه، إن شاء الله تعالى.

وفي الختام أتوجه بالشكر -بعد شكر الله تعالى- للقائمين على جمعية المحافظة على القرآن الكريم، في المملكة الأردنية الهاشمية، على تكفلهم بطباعة هذا الكتاب، ونشره ضمن مطبوعات الجمعية، وفقهم الله تعالى لخدمة كتابه الكريم، إنه ولي التوفيق.

أربيل - العراق

٢٠٠٦/٣/٣٠م

مكتبة المهتدين الإسلامية

(١)

المنهجُ النَّبَوِيُّ

في تعليمِ الوفودِ إلى المدينةِ المنورةِ القرآنَ الكريمَ

(عرضٌ وتحليلٌ)[1]

مقدمة

الحمدُ للّهِ رَبِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على سَيِّدِنَا محمَّدٍ، وعلى آلهِ وصحابتهِ أجمعينَ، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، وبَعْدُ

فقد عُرِفَتِ السنةُ التاسعةُ من الهجرة بسنة الوفود، لكثرة الوفود التي قَدِمَتْ فيها إلى المدينة المنورة، وهي تمثل القبائل العربية التي كانت تسكن الحواضر والبوادي خارج منطقة الحجاز، جاءت تعلن إسلامها ومبايعتها للنبي ﷺ، بعد أن فُتِحَتْ مكة، وزالت أكبر عقبة بوجه الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية، وكانت القبائل العربية خارج منطقة الحجاز تترقب نتيجة الصراع بين المسلمين والمشركين، لِتَنْضَمَّ إلى الفريق المنتصر وتعلن ولاءها له.

وكان رسول اللّه ﷺ يأمر بعض أصحابه باستضافة تلك الوفود، في بعض دور المدينة، وكان يتعاهد كل وفد، يُحَدِّثُهُم عن الإسلام ويدعوهم إليه، ويتلو عليهم القرآن ويُبَيِّنُ لهم شرائع الإسلام، وإذا أعلن القوم إسلامهم أمر بعض الصحابة من القُرَّاءِ أن يُعَلِّمُوهُمُ القرآنَ، وأنْ يُفَقِّهُوهم في الدين، وإذا انصرفوا من المدينة راجعين إلى أقوامهم أمر لكل واحد منهم بجائزة، وقد يختار أميراً لهم من بينهم ممن يكون أكثر أخذاً للقرآن من غيره.

إنَّ حِرْصَ رسول اللّه ﷺ على تعليمِ الوفودِ القرآنَ الكريمَ في الأيام القليلة التي كانوا يقيمون فيها في المدينة يكشف عن أهمية التربية القرآنية في الدعوة إلى الإسلام وترسيخ معاني الإيمان في النفوس، وكان ﷺ يستعين بالقراء من الصحابة في تعليم الوفود، بعد أن ضاق وقته عن ذلك، خاصة بعد فتح مكة، ودخول الناس

(١) مُقَدَّمٌ إلى المؤتمر العالمي الثاني لتعليم القرآن الكريم، الذي أقامته الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم في المنامة بالتعاون مع وزارة العدل في مملكة البحرين بين ٢٧-٣٠/٤/٢٠١٣م.

http://www.al-maktabeh.com

في دين الله أفواجاً.

ويهدف هذا البحث إلى تتبع أخبار تلك الوفودِ وتعليمِهَا القرآنَ الكريمَ وقتَ إقامتهم في المدينة المنورة، والقائمين بتلك المهمة من الصحابة، والتعرف على الوسائل التي اعتمدوها، والوقوف عند النتائج التي تمخض عنها ذلك التعليم، والآثار التي تركها في نفوس المتعلمين بعد رجوعهم إلى ديارهم في أنحاء الجزيرة العربية، والدروس التي يمكن أن تستنبط من ذلك لترشيد مناهج تعليم القرآن الكريم في عصرنا.

وقد تناولت هذه الجوانب من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف بعام الوفود.

المبحث الثاني: موقف النبي ﷺ من الوفود.

المبحث الثالث: تعليم الوفود القرآن الكريم وشرائع الإسلام.

المبحث الرابع: الدروس المستنبطة من تعليم القرآن الكريم للوفود.

وآمل أن يكشف هذا البحث عن جانب من المنهج النبوي في تعليم القرآن الكريم، ويبين جهود الصحابة -رضي الله عنهم- في هذا المجال، فلم أقف على بحث مستقل يتناول موضوع تعليم القرآن للوفود[1]، والله تعالى ولي التوفيق، والهادي إلى سواء السبيل.

وجاء هذا البحث ثمرة للدعوة الكريمة التي تلقيتها من فضيلة الشيخ خالد عبد الله الشوملي الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مملكة البحرين، للمشاركة في المؤتمر العالمي الثاني لتعليم القرآن الكريم الذي ينعقد في المنامة بالتعاون بين وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف في مملكة البحرين، والهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم التابعة لرابطة العالم الإسلامي، فله مني وللقائمين على المؤتمر خالص الشكر، والله تعالى ولي التوفيق.

تكريت

الجمعة

٢٠١٢/١١/٢م

---

(١) خَصَّصَ الأستاذ عبد الحميد جودة السحار (ت ١٩٧٤م) الجزء الثامن عشر (في ٢٩٠ صفحة) من موسوعته (محمد رسول الله والذين معه) التي صدرت في عشرين جزءاً خصصه لعام الوفود، لكن غلبت على الكتاب النزعة الأدبية، فهو أشبه بالرواية التاريخية، ولم يتحدث فيه عن تعليم الوفود القرآن الكريم.

مكتبة المهتدين الإسلامية

المبحث الأول

تعريف بِسَنَةِ الوُفُود

أطلقَ المؤرخونَ على السنة التاسعة من الهجرة سَنَةَ الوُفُودِ، أو عامَ الوُفُودِ، لكثرة الوفود التي جاءت إلى المدينة المنورة في تلك السنة[1]، ويُقَالُ في العربية: وَفَدَ عليه أو إليه، يَفِدُ وَفْداً ووُفُوداً ووِفَادَةً، إذا خَرَجَ إلى ملكٍ أو أَمِيرٍ، فهو وافِدٌ، وجمعه وُفُودٌ، والوَفْدُ اسمٌ للجمعِ[2].

١. الظروف التاريخية لحركة الوفود

صارت المدينة المنورة تجتذب أنظار العرب، وتثير اهتمامهم، بعد هجرة النبي ﷺ إليها وتأسيس قاعدة آمنة يأوي إليها المسلمون، وكانت الحرب بين المسلمين والمشركين سِجَالاً، لكنَّ كفة المسلمين أخذت بالرجحان بعد فشل الأحزاب في اقتحام المدينة والقضاء على المسلمين، في السنة الخامسة من الهجرة، وقد قال رسول الله ﷺ حين أجلى الأحزاب عن المدينة: (الآنَ نَغْزُوهُم ولا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إليهم)[3]، وفي رواية أخرى: (لَنْ تَغْزُوكُم قريشٌ بَعْدَ عامِكُم هذا، ولكنَّكُم تَغْزُونَهُم)[4]، لكن وفود العرب لم تتقاطر على المدينة إلا بعد فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة من الهجرة، وعودة النبي ﷺ من حصار الطائف إلى المدينة قبل انقضاء هذه السنة.

قال محمد بن إسحاق: «لَمَّا افتتحَ رسولُ اللهِ ﷺ مكةَ، وفَرَغَ من تبوك، وأسلمتْ ثقيفٌ وبايعتْ، ضَرَبَتْ إليه وفودُ العربِ مِن كُلِّ وَجْهٍ... وإنما كانت العرب تَرَبَّصُ بالإسلام أَمْرَ هذا الحي من قريش وأَمْرَ رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشاً كانوا إمامَ الناس وهادِيَهُم، وأهلَ البيت الحرام وصريحَ ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادةُ العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نَصَبَتْ لحربِ رسول

(١) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٥٥٩-٥٦٠، وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ٢/٢٨٦، وابن حجر: فتح الباري ٦/٢٦٢، و٨/٨٣ و٩٧، و٩/٢٨٦.

(٢) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٣/٤٦٤ (وفد)، وتحتمل كلمة (الوُفُودِ) أن تكون مصدراً للفعل (وَفَدَ)، وتحتمل أيضاً أن تكون جمعاً لوافِدٍ، أو وَفْدٍ (ينظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٥/٢٠٩، والسمين الحلبي: عمدة الحفاظ ٤/٣٢٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ص ٧٨١ (رقم الحديث ٤١١٠).

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٢٥٤، والبيهقي: دلائل النبوة ٣/٤٥٨.

http://www.al-maktabeh.com

اللّه ﷺ وخِلافِه، فلما افْتُتِحَتْ مكة ودانت له قريش ودَوَّخَها الإسلام، وعَرَفَتِ العربُ أنه لا طاقة لهم بحرب رسول اللّه ﷺ ولا عداوته، فدخلوا في دين اللّه كما قال - عز وجل - أفواجاً، يضربون إليه من كل وجه، يقول اللّه تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ أيْ: فاحْمَدِ اللّه على ما أَظْهَرَ من دينك، واسْتَغْفِرْهُ، إنه كان تواباً»[1].

ولم تَقْصِدِ الوفودُ المدينة في السنة التاسعة من الهجرة فحسب، بل كانت الوفود تتقاطر عليها منذ أن هاجر إليها رسول اللّه ﷺ، وبعد السنة التاسعة من الهجرة أيضاً، لكن كثرة من حضر من الوفود إلى المدينة في السنة التاسعة جعل المؤرخين يصفونها بسنة الوفود[2]، وقال ابن حجر: «وإنما كان معظم الوفود بعد فتح مكة»[3]، وقال الكلاعي: «وما زال آحاد الوافدين وأفذاذ الوفود من العرب يَغْدُونَ على رسول اللّه ﷺ منذ أظهر اللّه دينَه، وقَهَرَ أعداءَه، ولكن انبعاث جماهيرهم إلى ذلك إنما كان بعد فتح مكة، ومعظمه في سنة تسع، ولذلك تسمى سنة الوفود»[4].

ومَيَّزَ بعض المؤرخين بين مَن أَمَّ المدينة قبل فتح مكة ومَن قَصَدَها بعد الفتح، قال ابن كثير: «قُلْتُ: وقد ذَكَرَ محمد بن إسحاق، ثم الواقديُّ والبخارِيُّ، ثُمَّ البيهقِيُّ بَعْدَهُم، مِن الوفود ما هو مُتَقَدِّمٌ تاريخُ قدومهم على سنةِ تسعٍ، بل وعلى فتحِ مكة، وقد قال اللّه تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[5]، وتَقَدَّمَ قولُهُ ﷺ يوم الفتح: (لا هِجْرَةَ ولكنْ جهادٌ ونِيَّةٌ)[6]، فيجب التمييزُ بينَ السابق من هؤلاء الوافدين على زَمَنِ الفتح مِمَّن يُعَدُّ وُفُودُهُ هجرةً، وبينَ اللاحقِ لهم بعد الفتح مِمَّن وَعَدَهُ اللّه خيراً وحُسْنَى، ولكن ليس في ذلك كالسابق له في الزمان والفضيلة، واللّه أعلم»[7].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٥٥٩-٥٦٠، وينظر: البيهقي: دلائل النبوة ٥/٣٠٩، وابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٢٥٣، والكلاعي: الاكتفا ١/٥٨٩.

(٢) قال ابن عبد البر في كتابه (الدرر في اختصار المغازي والسير ص٢٥٣): «باب وفود العرب على رسول اللّه ﷺ من بلادها للدخول في الإسلام، وذلك سنة تسع وسنة عشر».

(٣) فتح الباري ١/١٥٢.

(٤) الاكتفاء ١/٥٨٩.

(٥) الحديد ١٠.

(٦) صحيح البخاري ص ٣٥٠ (رقم الحديث ١٨٣٤)، وصحيح مسلم ص٥٣٥ (رقم الحديث ١٣٥٣).

(٧) البداية والنهاية ٥/١٧٣.

مكتبة المهتدين الإسلامية

٢. اعتناء المؤرخين بأخبار الوفود

اعتنى المؤرخون وأهل الحديث بتتبع أخبار تلك الوفود، على تفاوت بينهم في عددها، وما يتعلق بها من أخبار[١]، فذكر ابن إسحاق أكثر من خمسة عشر وفداً[٢]، وذكر ابن سعد أكثر من سبعين وفداً[٣]، واعتنى ابن كثير بجمع أخبار تلك الوفود في كتابه (البداية والنهاية)، مما ذكره ابن إسحاق والواقدي والبخاري والبيهقي[٤]، وقال: «على أن هؤلاء الأئمة الذين اعتنوا بإيراد الوفود قد تركوا في ما أوردوه أشياء لم يذكروها، ونحن نورد - بحمدِ الله ومَنِّهِ - ما ذكروه، ونُنَبِّهُ على ما ينبغي التنبيهُ عليه من ذلك، ونذكر ما وقع لنا مما أهملوه، إن شاء الله»[٥].

وذَكَرَتِ المصادرُ أخبار هذه الوفود دون أسانيد في الغالب، وأقدم مَن تكلم عنها بتفصيل ابن إسحاق، ولم يبين مصادر معلوماته وأسانيد مروياته إلا نادراً، وفَصَّلَ ابن سعد في أخبار الوفود واستقصى في جمع المعلومات عنها، لكن معظم مروياته من طريق الواقدي وهشام الكلبي، وكلاهما متروك عند أهل الحديث، وأخذ بعض مروياته من طريق علي بن محمد المدائني، وهو صدوق، ورغم عدم ثبوت هذه الأخبار المفصلة التي ساقها المؤرخون عن الوفود بالنقل الصحيح المعتمد عند المحدثين، فإن خبر قدوم بعض هذه الوفود ثابت بالروايات الصحيحة، فقد ذكر الإمام البخاري خبر قدوم وفد تميم، ووفد عبد القيس، ووفد بني حنيفة، ووفد الأشعريين وأهل اليمن[٦]، فلا شك إذن في قدوم الوفود في العام التاسع إلى المدينة لإعلان إسلام قبائلهم[٧].

ولا يتسع المقام لتتبع أخبار تلك الوفود بالتفصيل، ومن ثم سوف أكتفي بالإشارة إلى أسمائها، ثم أتحدث عن الجوانب المتعلقة بتعليم تلك الوفود شرائع الإسلام وقراءة القرآن، وأثر ذلك في القبائل التي أَرْسَلَتْ تلك الوفود، وهي كما ذكرها ابن

---

(١) ينظر: ابن حجر: فتح الباري ٨/٨٣.

(٢) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٥٦٩-٥٩٨، وكذلك البيهقي: دلائل النبوة ٥/٣٠٩-٣٩٣، والكلاعي: الاكتفا ١/٥٨٩-٦٢٨.

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى ١/٢٩١، وما بعدها.

(٤) ينظر: البداية والنهاية ٥/١٧٤-٢٢٥.

(٥) البداية والنهاية ٥/١٧٣.

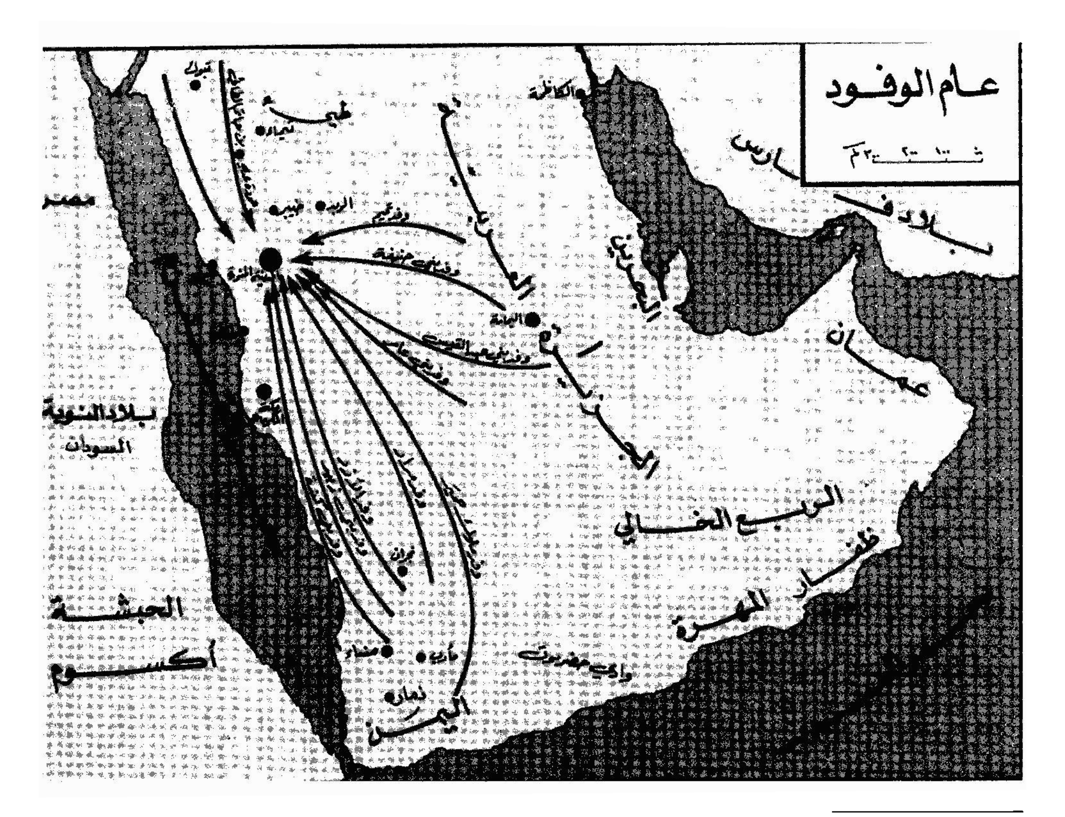
(٦) ينظر: صحيح البخاري ص ٨٢٥-٨٣٠ (رقم الحديث٤٣٦٥-٤٣٩٢).

(٧) ينظر: أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٥٤١-٥٤٤.

http://www.al-maktabeh.com

سعد[1]: وفد مُزَيْنَةَ، وأسد، وتميم، وعَبْس، وفَزارة، ومُرَّة، وثعلبة، ومحارب، وسعد ابن بكر، وكلاب، ورؤاس بن كلاب، وعقيل بن كلاب، وجَعْدَة، وقُشَيْر بن كعب، وبني البكَّاء، وكنانة، وبني عبد بن عدي، وأشجع، وباهلة، وسُلَيْم، وهلال بن عامر، وعامر ابن صعصعة، وثَقيف، وربيعة بن عبد القيس، وبكر بن وائل، وتغلب، وحنيفة، وشيبان، وطيِّء، وتُجَيْب، وخَوْلان، وجُعْفِيٍّ، وصُدَاء، ومراد، وزُبيد، وكِندة، والصَّدِف، وخُشَيْن، وسعد هُذَيْم، وبَلِيٍّ، وبهراء، وعذرة، وسلامان، وجهينة، وكلب، وجَرْم، والأزد، وغسان، والحارث بن كعب، وهَمْدَانَ، وسعد العشيرة، وعَنْس، والداريين، والرَّهَاوِيِّينَ، وغامد، والنَّخَع، وبَجِيلة، وخَثْعَم، والأشعريين، وحضرموت، وأزد عمان، وغافق، وبارق، ودَوْس، وثُمَالَة والحُدَّان، وأسلم، وجُذَام، ومَهْرَة، وحِمْيَر، ونجران، وجيشان.

وهذه خارطة تمثل حركة أشهر الوفود نحو المدينة المنورة[2]:



---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى ١/٢٩١ وما بعدها، وابن هشام: السيرة النبوية ٢/٥٥٩-٥٩٨، والطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٩٦-١٤٥، والبيهقي: دلائل النبوة ٥/٣٠٩-٣٩٣، وابن كثير: البداية والنهاية ٥/١٧٣-٢٢٣.

(٢) ينظر: الندوي: السيرة النبوية ص ٥٠٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

المبحث الثاني

موقف النبي ﷺ من الوفود

كان رسول الله ﷺ حريصاً على تبليغ الرسالة للناس، خاصة مَن يليه مِنَ العرب، فكان يرسل أصحابه لتعليم الناس القرآن وتفقيههم في الدين ما أمكنه ذلك، وأرسل الرسل إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام، وأتاح فتح مكة وزوال شوكة الكفر من الجزيرة العربية لقبائل العرب أن ترسل وفودها إلى المدينة المنورة، فكانت كُلُّ قبيلة ترسل كبراءَها لِيُسْلِمُوا ويتعلموا، ويرجعوا إلى قومهم فيدعونهم إلى الإسلام ويُعَلِّمُونَهُم[1].

وكان رسول الله ﷺيستقبل تلك الوفود بحفاوة وتكريم، ويحرص على تعليمهم شرائع الإسلام وقراءة القرآن، فترك ذلك أثراً طيباً في نفوسهم، فكانوا يسارعون إلى إعلان إسلامهم، ويرجعون إلى قومهم يبشرونهم ويدعونهم إلى الإسلام، ويمكن تلخيص موقف النبي ﷺ من الوفود وطريقة تعامله معها في عدد من النقاط، أهمها: الحفاوة والترحيب، والضيافة والإكرام، والإجازة والتوديع، إلى جانب الدعوة وتعليم القرآن، وهو ما سنتحدث عنه في المبحث اللاحق، إن شاء الله.

(١) الحفاوة والترحيب:

كان رسول الله ﷺ إذا قدم عليه الوفد لبس أحسن ثيابه، وأمر أصحابه بذلك[2]، إكراماً للوافدين عليه من رؤساء العرب، ولا يتسع البحث لتتبع موقفه ﷺ من كل وفد من تلك الوفود، لذا سوف أشير إلى عدد من الأمثلة الدالة على ذلك، منها أنه حين قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ من البحرين قال لهم: (مرحباً بالقوم، غَيْرَ خَزَايا ولا نَدَامى)[3]، وفي رواية ابن سعد أنه قال: (مرحباً بهم، نِعْمَ القومُ عبدُ القيس)[4]، وحين قدم أهل اليمن قال رسول الله ﷺ: (أتاكم أهل اليمن، هم أَرَقُّ

(١) ينظر: ابن حجر: فتح الباري ٢٩٨/١٠.

(٢) الكلاعي: الاكتفا ٦١٥/١.

(٣) صحيح البخاري ص ٨٢٥(رقم الحديث ٤٣٦٨).

(٤) الطبقات الكبرى ٣١٤/١، و٥٥٧/٥.

http://www.al-maktabeh.com

أفئـدةً، وأَلْـيَنُ قلوباً، الإيمانُ يَمَانٍ، والحكمـةُ يمانية)[١]، وحين قدم وائل بن حُجْرٍ من حضرموت بَشَّرَ رسولُ الله ﷺ أصحابَه بمَقْدَمِهِ قبل أن يَقْدُمَ بثلاثة أيام[٢]، واحتفى به عند وصوله، ونُودِيَ ليجتمع الناس: الصلاةُ جامعة، سروراً بقدومه[٣].

(٢) الضيافة والتكريم:

كان من مظاهر الحفاوة بالوفود والعناية بهم اختيار المنزل المناسـب لهم، وإجراء الضيافة عليهم، وكانت دار رملة بنت الحارث الأنصارية المكان المفضل لإنزال الوفود، وكان بلال مُوَكَّلاً بإجراء الضيافة اللازمة لهم.

وإذا كنـا لا نجـد النـص علـى مكان إقامة عدد مـن الوفود فإن كثيـراً من الروايات أشـارت إلى إنزال الوفود في دار رملة بنت الحارث في المدينة، فحين جاء وفد محارب سـنة عشـر، وهـم عشـرة نفر، أُنْزِلُـوا دار رملة بنـت الحارث[٤]، وحين حضـر وفد بني كلاب سنة تسع، وهم ثلاثة عشر رجلاً، أُنْزِلُوا دارها أيضاً[٥]، وكذلك وفد البحرين من عبد القيس، وهم عشـرون رجلاً[٦]، ووفد تغلب، وهم سـتة عشـر رجلاً[٧]، ووفد حنيفة وهم بضعة عشــر رجلاً[٨]، ووفد خَوْلان وهم عشــرة نفر[٩]، ووفد عذرة وهم اثنا عشــر رجلاً[١٠]، ووفد غسـان وهم ثلاثة نفر[١١]، ووفد الرهاويين وهم خمسـة عشر رجلاً[١٢]، وقدم وفد النَّخَعِ من اليمن، وهم مئتا رجل، فنزلوا دار رملة بنت الحارث أيضاً[١٣].

---

(١) صحيح البخاري ص ٨٢٩ (رقم الحديث ٤٣٨٨)، والبيهقي: دلائل النبوة ٣٥٢/٥، وابن كثير: البداية والنهاية ١٩٩/٥.
(٢) ينظر: البخاري: التاريخ الكبير ٦٢/٨، والبيهقي: دلائل النبوة ٣٤٩/٥.
(٣) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٤٩/١.
(٤) ينظر: الطبقات الكبرى ٢٩٩/١.
(٥) ينظر: المصدر نفسه ٣٠٠/١.
(٦) ينظر: المصدر نفسه ٣١٤/١.
(٧) ينظر: المصدر نفسه ٣١٦/١.
(٨) ينظر: المصدر نفسه ٣١٦/١.
(٩) ينظر: المصدر نفسه ٣٢٤/١.
(١٠) ينظر: المصدر نفسه ٣٣١/١.
(١١) ينظر: المصدر نفسه ٣٣٨/١.
(١٢) ينظر: المصدر نفسه ٣٤٤/١.
(١٣) ينظر: المصدر نفسه ٣٤٦/١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

جميـع هـذه الوفـود أقامت في دار رملة بنت الحـارث الأنصارية في المدينة، ويبدو أن منزل الوفود كان معروفاً في المدينة، فحين قدم وفد سـلامان قال رسـول الله ﷺ لثوبان غلامه: (أنزل هؤلاء الوفد حيث ينزل الوفود)[1].

ولم تتحدث كتب التاريخ بتفصيل عن دار رملة، ويبدو أنها كانت داراً واسعة، معدة لإنزال الوفود القادمة إلى المدينة[2]، وعَقْدِ الاجتماعات أحياناً، وإيواء الأسرى، فقد ذكر الواقدي أن النبي ﷺ كتب بينه وبين اليهود ومن معهم من المشـركين كتاباً، بعد مقتـل كعـب بن الأشـرف، وكان ذلك تحت العَـذْقِ في دار رملة بنت الحارث[3]، وحُبِسَ بدار رملة بنت الحارث سـبي بني قريظة بعد نزولهم على حكم رسـول الله ﷺ، سنة خمس من الهجرة، وأمر رسـول الله ﷺ بالسـلاح والأثاث والمتاع والثياب فحمل إلى دار بنت الحارث[4].

وترجـم ابـن سـعد لرملة بنت الحـارث[5]، وذكر أنهـا: رَمْلَة بنتُ الحـارث بنِ ثَعلبة ابن الحارث بن زَيدٍ الأنصارية من بني النَّجَّار، وذكر أنها أسـلمت وبايعت رسـول الله ﷺ[6]، وتُكَنَّى أُمَّ ثابت، وهي زوجة معاذ بن الحارث بن رفاعة من بني النجار[7]، وهو أحد الستة من أهل المدينة الذين لَقُوا النبي ﷺ في العقبة الأولى بمكة[8].

وكان رسـول الله ﷺ يأمر بلالاً بأن يُحْسِـنَ ضيافة الوفود، وجاء في أخبار بعض الوفود أن رسـول الله ﷺ كان يأمر لهم بحسـن الضيافة، فحين قدم وفد تُجَيْب إلى

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ١/٣٣٢، وورد الخبر في كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي (ص٦٥٦) على هذا النحو: «أَنْزِلْ هؤلاء حيث ينزل الوفد، فخرج بنا ثوبان حتى انتهى بنا إلى دار واسعة، فيها نخل، وفيها وفود العرب، وإذا هي دار رملة بنت الحارث النجارية».

(٢) ينظر: ابن حجر: فتح الباري ٨/٩٢.

(٣) ينظر: مغازي الواقدي ١/١٩٢.

(٤) ينظر: مغازي الواقدي ٢/٥١٢-٥١٣ و٥١٨ وينظر ٣/٩٧٥ و٩٨٨، وابن هشام: السيرة النبوية ٢/٢٤٠.

(٥) أخرج البخاري في صحيحه (ص ٨٢٧ رقم الحديث ٤٣٣٧٨) عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: (بلغنا أن مسيلمة الكذاب قدم المدينة، فنزل في دار بنت الحارث، وكانت تحته بنت الحارث بن كريز...)، وذكر ابن حجر أن بنت الحارث اسمها (كَيِّسَة)، ورَجَّحَ أن بني حنيفة نزلوا في دار رملة بنت الحارث، وأن كيسة بنت الحارث بن كريز لم تكن إذ ذاك بالمدينة، وإنما كانت عند مسيلمة باليمامة، فلما قُتِلَ تزوجها ابن عمها عبد الله بن عامر بعد ذلك (ينظر: فتح الباري ٨/٩٢-٩٣).

(٦) ينظر: أسد الغابة ٧/١٢٧.

(٧) ينظر: الطبقات الكبرى ٣/٤٩١، و٨/٤٤٦.

(٨) ينظر: ابن حجر: الإصابة ٦/١٤٠.

http://www.al-maktabeh.com

المدينة سنة تسع، وهم ثلاثة عشر رجلاً، أمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم، وجوائزهم[1]، وحين قدم مالكُ بن مُرارة الرهاوي رسولُ ملوك حمير بكتابهم وإسلامهم، أمر رسول الله ﷺ بلالاً أن ينزله ويكرمه ويضيفه[2]، ونزل وفد محارب دار رملة بنت الحارث، وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء[3].

وأمر رسول الله ﷺ لوفد ثعلبة بضيافة[4]، وأمر بمنزل وضيافة لوفد بني البكَّاء[5]، وأنزل وفد عبد القيس دار رملة بنت الحارث، وأجرى عليهم الضيافة، وأقاموا عشرة أيام[6]، وأمر بضيافة لوفد خَولان، فأجريت عليهم[7]، وكذلك وفد سعد هُذَيْم[8]. وذكر الواقدي وهو يتحدث عن وفد بني حنيفة أنواع الأطعمة التي كانت تُقَدَّمُ للوفود، فذكر أنهم «أُنْزِلُوا دار رملة بنت الحارث، وأُجْرِيَتْ عليهم ضيافة، فكانوا يُؤْتَوْنَ بغَدَاء وعَشَاء، مرة خبزاً ولحماً، ومرة خبزاً ولبناً، ومرة خبزاً وسَمْناً، ومرة تمراً يُنْثَرُ لهم»[9].

(٣) إجازة الوفود:

كان رسول الله ﷺ يُوَدِّعُ الوفود، ويأمر لها بالجوائز، بعد أن تقضي الوفود غرضها من زيارة المدينة بإعلان إسلامها ومبايعتها، فيرجعون إلى قبائلهم وبلدانهم وهم فرحون بالدين الجديد، مُحَمَّلُونَ بالذكريات الجميلة والهدايا النفيسة، بما يثير الشوق في نفوس قبائلهم لزيارة المدينة، والتشرف برؤية النبي ﷺ، ولا عجب إذا احتشد حول رسول الله ﷺ في حجة الوداع، بَشَرٌ كثير كلهم يريد أن يأتم برسول

---

(١) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٢٣/١.
(٢) ينظر: المصدر نفسه ٣٥٦/١.
(٣) ينظر: المصدر نفسه ٢٩٩/١.
(٤) ينظر: المصدر نفسه ٢٩٨/١.
(٥) ينظر: المصدر نفسه ٣٠٤/١.
(٦) ينظر: المصدر نفسه ٣١٤/١.
(٧) ينظر: المصدر نفسه ٣٢٤/١.
(٨) ينظر: المصدر نفسه ٣٢٩/١.
(٩) ينظر: المصدر نفسه ٣١٦/١، وابن كثير: البداية والنهاية ١٨٤/٥.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الله ﷺ، ويعمل بعمله[١].

وتكاد أخبار الوفود جميعها تَنُصُّ على إجازة رسول الله ﷺ لها، وكان القائم على ذلك بلال الحبشي رضي الله عنه، كما جاء في أخبار بعض تلك الوفود، فَوَفْدُ بني ثعلبة أقاموا في المدينة أياماً ثم جاءوا يُوَدِّعُونَ رسول الله ﷺ، فقال لبلال: (أَجِزْهُمْ كما تُجِيزُ الوَفْدَ)، فجاء بلال بنَقْرٍ[٢] من فضة، وأعطى كل رجل منهم خمس أَوَاقٍ، وقال لهم: ليس عندنا دراهم[٣]. وحين جاءه وفد بني سعد هُذَيْم للتوديع أمر بلالاً فأجازهم بأواق من فضة[٤].

وأمر رسول الله ﷺ لوفد تميم بالجوائز كما كان يجيز الوفد، وكانوا ثمانين أو تسعين رجلاً، ونقل ابن سعد عن امرأة من بني النجار قالت: «أنا أنظر إلى الوفد يومئذ يأخذون جوائزهم عند بلال: اثنتي عشرة أوقية ونَشّاً[٥]، قالت وقد رأيت غلاماً أعطاه يومئذ، وهو أصغرهم، خمس أواق، يعني عمرو بن الأهتم»[٦].

وربما خَصَّ رسول الله ﷺ وجوه القوم بأكثر مما كان يجيز به بقية الوفد، فقد أمر بجوائز لوفد عبد القيس، وفَضَّلَ عليهم عبد الله الأشج، فأعطاه اثنتي عشرة أوقية ونَشّاً[٧]، وأجاز وفد طيِّء كل رجل منهم بخمس أواق، وأعطى زيد الخير اثنتي عشرة أوقية ونَشّاً[٨]، وأجاز وفد كندة بعشر أواق وأعطى الأشعث بن قيس اثنتي عشرة أوقية[٩]، وأجاز وفد الرهاويين أرفعهم اثنتي عشرة أوقية ونَشّاً، وأخفضهم خمس أواق[١٠].

---

(١) ينظر: مغازي الواقدي ١٠٨٨/٢، قال برهان الدين الحلبي (السيرة الحلبية ٣٠٨/٣): «كان معه جموع لا يعلمها إلا الله تعالى، قيل: كانوا أربعين ألفاً، وقيل: كانوا سبعين ألفاً، وقيل: كانوا تسعين ألفاً، وقيل: كانوا مئة ألف وأربعة عشر ألفاً، وقيل: وعشرين ألفاً، وقيل: كانوا أكثر من ذلك».

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب (٢٢٩/٥ نقر): «النُّقْرَةُ من الذهب والفضة القطعة المذابة، وقيل: ما سُبِكَ مجتمعاً منها، والنُّقْرَةُ السبيكة، والجمع نِقَار».

(٣) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٩٨/١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ٣٢٩/١.

(٥) قال ابن منظور في لسان العرب (٣٥٣/٦ نشش): «والنَّشُّ وزنُ نَوَاةٍ من ذهب، وقيل: هو وزنُ عشرين درهماً... والأوقية أربعون درهما، ونَشُّ الشيء نصفه... الجوهري: النَّشُّ عشرون درهماً، وهو نصف أوقية، لأنهم يسمون الأربعين درهماً أوقية ويسمون العشرين نشا ويسمون الخمسة نواة». (وينظر: الخزاعي: تخريج الدلالات السمعية ص ٦١٢).

(٦) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٩٤/١، وابن هشام: السيرة النبوية ٥٦٧/٢.

(٧) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣١٤/١.

(٨) ينظر: المصدر نفسه ٣٢١/١.

(٩) ينظر: المصدر نفسه ٣٢٨/١.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه ٣٤٤/١.

http://www.al-maktabeh.com

وأعطى رسول الله ﷺ بعض تلك الوفود ما كانت تطلبه أو تتمناه من المواضع التي فيها المياه وتتميز بالخصب، على ألَّا يكون في ذلك أخذ لحق مسلم، فحين قدم وفد بني عقيل بن كعب على رسول الله ﷺ، وهم ربيع بن معاوية ومطرف بن عبد الله، وأنس بن قيس، فبايعوا وأسلموا، وبايعوه على مَن وراءهم من قومهم، فأعطاهم النبي ﷺ العَقيق[1]: عَقيق بني عقيل، وهي أرض فيها عيون ونخل، وكتب لهم بذلك كتاباً في أديم أحمر: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى محمد رسول الله ﷺ ربيعاً ومطرفاً وأنساً، أعطاهم العقيق ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا، ولم يعطهم حقاً لمسلم)، فكان الكتاب في يد مطرف[2].

وأعطى رسول الله ﷺ الرَّقَّادَ بن عمرو بن ربيعة الجعدي ضيعة بالفَلْج وكتب له كتاباً[3]، وأقطع ثور بن عروة بن عبد الله القشيري قطيعة وكتب له بها كتاباً [4]، وكسا قرة بن هبيرة بن سلمة القشيري برداً [5]، وأجاز وفد بني عذرة وكَسَا أحدهم برداً [6]، وأجاز وفد بني البكَّاء، وأعطى بشر بن معاوية بن ثور البكائي وأعطاه أَعْنُزاً عُفْراً[7]، وأجاز رسول الله ﷺ فَرْوَةَ بنَ مُسَيْكٍ المرادي باثنتي عشرة أوقية، وحمله على بعير نجيب، وأعطاه حُلَّةً من نسج عمان[8].

ويظهر من تنوع الجوائز والهدايا التي خص بها رسول الله ﷺ من كان يفد إليه من وفود العرب أنه كان يراعي حاجة كل واحد منهم، فإذا رأى أحد وجهائهم بلباس رَثٍّ كَسَاهُ بُرْداً، وإذا وجد أحدهم بغير راحلة أركبه بعيراً، ومن شكى الفاقة أعطاه أَعْنُزاً، وأعطى عامتهم أواقي الفضة، وأقل ما أعطاهم خمس أَوَاقٍ، وكل أُوقِيَّةٍ

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (٢٥٤/١٠ عقق): «يقال لكل ما شَقَّهُ ماءُ السيل في الأرض فأنهره ووَسَّعَهُ عقيقٌ، والجمع أَعِقَّةٌ وعِقَائِقُ، وفي بلاد العرب أربعة أَعِقَّة، وهي أودية شقتها السيول عادية، فمنها عقيق عارض اليمامة وهو واد واسع مما يلي العرمة تتدفق فيه شعاب العارض وفيه عيون عذبة الماء، ومنها عقيق بناحية المدينة فيه عيون ونخيل.. ومنها عقيق آخر يدفق ماؤه في غوري تهامة... ومنها عقيق القنان تجري إليه مياه قلل نجد وجباله».

(٢) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٠٢/١، وابن كثير: البداية والنهاية ٢١٩/٥.

(٣) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٠٣/١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ٣٠٣/١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٣٠٣/١.

(٦) ينظر: المصدر نفسه ٣٣٢/١.

(٧) ينظر: المصدر نفسه ٣٠٤/١.

(٨) ينظر: المصدر نفسه ٣٢٧/١، وابن كثير: البداية والنهاية ٢٠١/٥.

مكتبة المهتدين الإسلامية

تساوي أربعين درهماً، وأكثر ما أعطى اثنتا عشرة أوقية ونصف، وهو ما يساوي خمس مئة درهم.

ولا شك في أن تَعَلُّمَ الوفود شرائع الإسلام وقراءة القرآن أكبر الجوائز التي كانت ترجع بها الوفود إلى قبائلهم، وهو ما سأتحدث عنه في المبحث الآتي، إن شاء الله.

http://www.al-maktabeh.com

المبحث الثالث

تعليم الوفود القرآن الكريم وشرائع الإسلام

كانت تلاوة القرآن الكريم من وسائل الدعوة التي سَنَّهَا رسول الله ﷺ، وأَسْلَمَ كثير من الصحابة على أثر سماعهم القرآن الكريم منه، من ذلك ما ذكره ابن سعد في قصة إسلام عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال: «خرج عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله، على أثر الزبير بن العوام، فدخلا على رسول الله ﷺ، فعرض عليهما الإسلام، وقرأ عليهما القرآن، وأنبأهما بحقوق الإسلام، ووعدهما الكرامة من الله، فآمنا وصَدَّقَا»[١]. وخرج أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد القيس إلى مكة، فسمعا برسول الله ﷺ، فأتياه فعرض عليهما الإسلام، وقرأ عليهما القرآن، فأسلما ورجعا إلى المدينة، فكانا أول من قدم بالإسلام إلى المدينة[٢].

وكان رسول الله ﷺ يرسل أصحابه من القُرَّاء ليعلموا أهل البوادي والحواضر القرآن، وحين انصرف أهل العقبة الأولى إلى المدينة، وفشا الإسلام في دور الأنصار، أرسلت الأنصار رجلاً إلى رسول الله ﷺ وكَتَبَتْ إليه كتاباً: ابْعَثْ إلينا رجلاً يفقهنا في الدين ويقرئنا القرآن[٣]، فبعث إليهم مصعب بن عُمَيْرٍ، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلِّمَهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئَ بالمدينة مصعبٌ[٤].

وحين تقاطرت وفود العرب على المدينة المنورة بعد فتح مكة تعلن إسلامها وطاعتها، كان رسول الله ﷺ يحرص على قراءة القرآن الكريم عليهم، وبيان شرائع الإسلام لهم، ولم يكن يتسع وقت رسول الله ﷺ لتعليم جميع من يفد عليه القرآن، فكان يستعين على ذلك ببعض أصحابه من القراء، ولم تكن إقامة الوفود في المدينة طويلة تكفي لتعلم الكثير من القرآن، والتفقه في الدين، فكان رسول الله ﷺ يرسل مع الوفود من يقوم بإكمال المهمة، وتعليم الداخلين في الإسلام من قبائل تلك الوفود القرآن وشرائع الإسلام، وفي أخبار الوفود ما يبين ما أجملته في هذه الأسطر، كما

---

(١) الطبقات الكبرى ٣/٣٥٥.
(٢) ينظر: المصدر نفسه ١/٢١٧ و٣/٦٠٨.
(٣) ينظر: المصدر نفسه ٣/١١٨.
(٤) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية ١/٤٣٤.

مكتبة المهتدين الإسلامية

يتضح من خلال الفقرات الآتية:

١. تلاوة القرآن على الوفود

تَشَرَّفَتْ جميع الوفود التي قصدت المدينة المنورة بالسلام على رسول الله ﷺ، والمثول بين يديه، وإعلان إسلامها ومبايعتها له، ولا شك في أنها حظيت جميعاً بالاستماع إلى جوامع الكلم منه ﷺ، ولكن لم يرد في كل روايات الوفود النص على سماعها القرآن الكريم منه ﷺ، ولا يعني هذا نفي حصول ذلك، وقد يُقَرِّبُ صورة ما وقع فعلاً استعراض الروايات التي تحدثت عن تلاوة رسول الله ﷺ القرآن الكريم على الوفود.

من ذلك دعوة النبي ﷺ وفد نجران إلى الإسلام، وتلاوته القرآن عليهم(١)، وحين قدم علقمة بن علاثة بن عوف وابنه، من بني عامر بن صعصعة، جلس إلى رسول الله ﷺ، فقص عليه رسول الله شرائع الإسلام، وقرأ عليه قرآناً، فأسلم هو وابنه(٢)، وكان في وفد عبد القيس القادمين من البحرين عبد الله بن عوف الأشج، كان يسائل رسول الله ﷺ عن الفقه والقرآن(٣)، وقدم أبو حرب بن خويلد في وفد بني عقيل، فقرأ عليه رسول الله ﷺ القرآن وعرض عليه الإسلام(٤).

وجاء في أخبار عدد من الوفود أنهم تعلموا القرآن، لكن لم يرد النص على من قام بتعليمهم، من ذلك وفد الرهاويين الذين أسلموا وتعلموا القرآن والفرائض(٥)، ووَفْدُ جَرْمٍ الذين قدموا المدينة وتعلموا القرآن(٦)، وكذلك وَفْدُ ثقيف الذين تعلموا القرآن(٧)، ويحتمل أن يكون تعليم هؤلاء على يد رسول الله ﷺ، ويحتمل أن يكون ذلك على يد بعض القراء من الصحابة، كما جاء في خبر وفد خولان الذين سألوا رسول الله ﷺ عن أشياء من أمر دينهم، فجعل يخبرهم بها، وأمر مَن يعلمهم القرآن والسنن(٨)، وهو ما سيتضح في الفقرة الآتية.

---

(١) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ١/٣٥٧.
(٢) ينظر: المصدر نفسه ١/٣١١.
(٣) ينظر: المصدر نفسه ١/٣١٤.
(٤) ينظر: المصدر نفسه ١/٣٠٢.
(٥) ينظر: المصدر نفسه ١/٣٤٤.
(٦) ينظر: المصدر نفسه ١/٣٣٦.
(٧) ينظر: المصدر نفسه ١/٣١٣.
(٨) ينظر: المصدر نفسه ١/٣٢٤، وابن كثير: البداية والنهاية ٥/٢٢١.

http://www.al-maktabeh.com

٢. تكليف الصحابة بتعليم الوفود القرآن

كان رسول الله ﷺ يُشْغَلُ بأمور الدعوة، وتدبير شؤون المسلمين في المدينة وخارجها، خاصة بعد فتح مكة، ومن ثم لم يكن يتيسر له تعليم الداخلين في الإسلام القرآن، كما كان يتاح له ذلك في السنين الأولى من الدعوة، فإذا دخل رجل في الإسلام قال لأصحابه: (فَقِّهُوا أخاكم في دينه، وأقرئوه وعَلِّمُوهُ القرآن)[١]، ويوضح ذلك قول عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وهو أحد مُعَلِّمِي[٢] القرآن الكريم في زمنه ﷺ: «كان رسول الله ﷺ يُشْغَلُ، فإذا قَدِمَ رجل مهاجر على رسول الله ﷺ، دفعه إلى رجل منا يُعَلِّمُهُ القرآن»[٣].

وجاء في أخبار عدد من الوفود أن الصحابي أبي بن كعب الأنصاري كان يُعَلِّمُ الوفود القرآن، فهذا وفد غامد انطلق إلى رسول الله ﷺ، فَسَلَّمُوا عليه، وأَقَرُّوا بالإسلام، وكَتَبَ لهم رسول الله كتاباً فيه شرائع الإسلام، وأَتَوْا أُبَيَّ بن كعب فعلَّمهم قرآناً[٤]، وكان رَحَّال بن عُنْفُوَةَ في وفد بني حنيفة الذين قدموا المدينة، وكان يتعلم القرآن من أبي بن كعب[٥]، وقد يحمل ذلك على الاعتقاد أن أبي بن كعب رضي الله عنه كان معلم الوفود القادمة إلى المدينة المنورة القرآن الكريم، وإن كان في الصحابة كثير من القراء غيره، لكنه هو الذي ورد ذكره في تعليم الوفود.

وكان رسول الله ﷺ وَصَفَ أُبَيَّ بن كعب بأنه أقرأ الأمة لكتاب الله[٦]، وقال ﷺ أيضاً: (خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب)[٧]، وهو أحد الذين جمعوا القرآن زمن النبي ﷺ من

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤٧٤/٢.

(٢) قال عبادة بن الصامت: «عَلَّمْتُ ناساً من أهل الصفة الكتابة والقرآن» (مسند الإمام أحمد ص ١٦٦٦ رقم الحديث ٢٣٠٦٥)، وكان عبادة أحد القراء الثلاثة من الصحابة الذين أرسلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام لتعليم الناس هناك القرآن (ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٧٢/٢).

(٣) مسند الإمام أحمد ص ١٦٧٢ (رقم الحديث ٢٣١٤٦).

(٤) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٤٥/١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٣١٦/١.

(٦) ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل ص ٨٨٨ (رقم الحديث ١٢٩٣٥)، وص ٩٥٩ (رقم ١٤٠٣٥)، وابن عبد البر: الاستيعاب ٦٦/١.

(٧) صحيح البخاري ص ٧٢٤ (رقم الحديث ٣٨٠٨).

مكتبة المهتدين الإسلامية

الأنصار[1]، وكان أول من كتب الوحي لرسول الله ﷺ مَقْدَمَهُ المدينة[2]، وجاء وَصْفُهُ بِسَيِّدِ القراء[3]، ومن ثم فهو القارئ المُقَدَّمُ لإقراء أهل الوفود[4].

٣. إرسال المعلمين مع الوفود

لم تكن الأيام القليلة التي تقضيها الوفود في المدينة كافية لإقرائهم القرآن الكريم كاملاً، وتفقيههم في كل أمور الدين، ولم يكن من اليسير عليهم المكوث في المدينة لفترات طويلة، ومن ثم أرسل رسول الله ﷺ المعلمين إلى أنحاء الجزيرة، ليعلِّموا الناس القرآن، ويُفَقِّهُوهُم في الدين، واقتدى الخلفاء الراشدون بهذه السُّنَّة، فأرسلوا المعلمين إلى الأمصار الإسلامية خارج العربية.

من ذلك ما كان من وفد بني الحارث بن كعب، فقد كان رسول الله ﷺ قد بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه في ربيع الأول (أو بعده بقليل) من سنة عشر إلى بني الحارث بنجران، يدعوهم إلى الإسلام، فأسلموا فأقام عندهم خالد يعلِّمهم كتاب الله وشرائع الإسلام، وكتب إلى رسول الله ﷺ بما فتح الله عليه من أهل نجران، فأجابه رسول الله ﷺ وأمره بالقدوم عليه، فقدم ومعه وفدهم، ثم انصرفوا إلى قومهم، في شهر شوال، وبعث معهم عمرو بن حزم الأنصاري، يفقههم في الدين، ويعلمهم السُّنَّة والقرآن، ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم[5].

وحين أسلم أهل عُمَانَ بعث إليهم رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي، ليعلِّمهم شرائع الإسلام، ويُصَدِّقَ أموالهم[6]، وكذلك أرسل معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قبل حجة الوداع، بعد أن أسلم أهلها، لتعليمهم شرائع الإسلام، وأَخْذِ

---

(١) ينظر: صحيح البخاري ص ٧٢٤ (رقم الحديث ٣٨١٠).
(٢) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٦٨/١، والخزاعي: تخريج الدلالات السمعية ص ١٢٠.
(٣) ينظر: الإصابة ٢٧/١.
(٤) ينظر: أنس أحمد كرزون: صحابة رسول وجهودهم في تعليم القرآن الكريم والعناية به ص ٢٢٢.
(٥) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٣٩/١، وابن هشام: السيرة النبوية ٥٩٤/٢، والطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٢٨/٣، وابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٢٥٨، والاستيعاب ١١٧٣/٣، وابن كثير: البداية والنهاية ٢٢٧/٥.
(٦) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٥١/١.

http://www.al-maktabeh.com

صدقات أموالهم، وأمرهما بأن يُيَسِّرَا ولا يُعَسِّرَا، ويُبَشِّرَا ولا يُنَفِّرَا[1].

وبذلك تكامل البناء الذي أسسه رسول اللهﷺ في نفوس من وفد إليه في المدينة، على يد أصحابه الذين حملوا عنه رسالة التبليغ وتعليم الناس القرآن وشرائع الإسلام، وتتابع حَمَلَةُ القرآن الكريم في كل عصر ومصر، حتى وصل إلينا القرآن غضاً كما أنزل، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) ينظر: صحيح البخاري ص ٨٢٠ (رقم الحديث ٤٣٤١-٤٣٤٥).

مكتبة المهتدين الإسلامية

المبحث الرابع

الدروس المستنبطة من تعليم الوفود القرآن الكريم

إنَّ قِصَصَ الوفودِ وأخبارَها، وكيفيةَ تعامل رسول الله ﷺ معها، من الأهمية بالمكان الكبير، فقد تركت لنا تلك الأخبار والقصص منهجاً نبوياً كريماً في تعامله ﷺ مع الوفود، يمكننا الاستفادة منه في التعامل مع النفس البشرية وتربيتها، ففيها ثروة هائلة من الفقه الذي يدخل في دوائر التعليم والتربية والتثقيف والدعوة[1]، ويمكن للمتأمل في وقائع هذه الأخبار أن يستخلص المعاني والدروس الآتية:

١. أولوية القرآن في التعليم

لا يخفى على المتأمل في أخبار الوفود مقدار حرص رسول الله ﷺ على تعليم القرآن الكريم لهم، وربطهم به، فكان يقرأ القرآن على الوفود الذي يَؤُمُّون مجلسه، ثم يُوَجِّهُ أصحابه إلى تعليم الوافدين القرآن وهم في منازلهم، ثم إرسال المعلمين إلى البلدان لإكمال تعليمهم، وما ذلك إلَّا لِأَنَّ القرآن الكريم هو أصل الدين ومصدر الهداية، وجاءت السُّنَّةُ النبوية المشرفة مُبَيِّنَةً لأحكامه، مُفَصِّلَةً لما أجملته آياته، وظلت للقرآن الكريم هذه المنزلة في حياة المسلمين في عصورهم المتعاقبة، وينبغي أن يظل هذا المعنى ماثلاً أمام أعين الدعاة والمصلحين والمربين، فالقرآن الكريم هو مصدر الهداية الدائم، ومنبع الفضائل المتجدد (مَن قال بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إليه هَدَى إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[2].

٢. اختيار أصحاب الكفاءة في التعليم

لم يَرِدْ في أكثر روايات أخبار الوفود التصريح بأسماء الصحابة الذي تَصَدَّوْا لتعليم الوفود القرآن، لكنَّ تَكَرُّرَ ذِكْرِ أُبَيِّ بن كعب في عدد من تلك الروايات، وهو أحد

---

(١) ينظر: علي محمد الصلابي: السيرة النبوية ٢/٥٩٠-٥٩١.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه (ص ٤٦٤ رقم الحديث ٢٩٠٦) عن علي رضي الله عنه موقوفاً.

http://www.al-maktabeh.com

الحفاظ، وسيد القراء، وأحد كُتَّابِ الوحي، يَدُلُّ على حرص رسول الله ﷺ على أن يقوم بتعليم الوفود القرآن أهل الإتقان والحفظ من أصحابه، ضماناً لجودة التعليم.

ونلمح ذلك الحرص أيضاً في اختيار المعلمين الذي أرسلهم رسول الله ﷺ لتعليم الناس القرآن، مثل مصعب بن عمير الذي عَلَّمَ أهل المدينة القرآن قبل الهجرة، ومثل معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري اللذين أرسلهما رسول الله ﷺ إلى اليمن.

٣. تأليف قلوب الوفود

تنوعت مظاهر التكريم التي خص بها رسول الله ﷺ الوافدين إلى المدينة، من حسن الاستقبال والترحيب، وإكرام النزل، وإجراء الضيافة، وتوزيع الجوائز العامة والخاصة، وذلك من أجل كسب قلوب هؤلاء الوفود، وربطهم بالدين الجديد، فيرجعون إلى أقوامهم وهم يحملون صورة رائعة تجتذبهم للدين الجديد، وتثير الشوق في نفوسهم للوفود إلى المدينة والتشرف برؤية النبي ﷺ، والسلام عليه، والتعلم منه.

٤. الأثر الإيجابي لزيارة الوفود للمدينة المنورة

جاءت وفود العرب إلى المدينة المنورة راغبة في الإسلام، فأعلنت أكثر الوفود إسلامها، وبايع رجالها رسول الله ﷺ عنهم، وعن أقوامهم من بعدهم، ومن قدم إليها وفي نفسه رواسب من الجاهلية جلس يستمع لرسول الله ﷺ ويحاوره، ورسول الله يتلطف به ويتلو عليه القرآن، ويبين له شرائع الإسلام، ويتعرف على المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة، حتى شرح الله صدره للإسلام، ولم يتخلف عن ذلك إلا قلة قليلة، من نصارى نجران أو الشام، أسلم عدد منهم، وبقي آخرون على ديانتهم.

ولا تخلو قصة وفد من الوفود من درس تربوي، ومَعْلَمٍ دعوي، جعل وفود العرب تتسابق إلى المدينة تعلن إسلامها، وتُعَجِّلُ بالعودة إلى بلدانها ليبشروا قومهم ويدعوهم إلى الإسلام، على نحو ما فعل ضِمَامُ بنُ ثعلبة حين أرسله قومه بنو سعد

مكتبة المهتدين الإسلامية

ابن بكر إلى المدينة، فجاء المدينة وسأل النبي ﷺ عن شرائع الإسلام، فرجع إلى قومه مُسْلِماً قد خلع الأنداد، فكان أول ما تكلم به أن قال: بِئْسَتِ اللات والعزى، فقالوا: مَهْ، يا ضِمَامُ، اتَّقِ البرصَ، اتَّقِ الْجُذَامَ، اتَّقِ الجنون، فقال: ويلكم، إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، فما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضِمَام بن ثعلبة[1].

ومثل ذلك وافد بني سُلَيْم، قيس بن نُشَبَةَ، قدم على رسول الله ﷺ فسمع كلامه، وسأله عن أشياء فأجابه، ووَعَى ذلك كله، ودعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم، ورجع إلى قومه بني سليم، فقال: قد سمعتُ ترجمة الروم، وهينمة فارس، وأشعار العرب، وكهانة الكهان، وكلام مَقَاوِلِ حِمْيَرَ، فما يُشْبِهُ كلام محمد شيئاً من كلامهم، فأطيعوني وخذوا نصيبكم منه، فلما كان عام الفتح خرجت بنو سُلَيْمٍ إلى رسول الله ﷺ فَلَقَوْهُ بقُدَيْدٍ وهم سبع مئة، وقيل كانوا ألفاً، شهدوا معه فتح مكة[2].

وكان أشقى القوم الذين وفدوا إلى المدينة المنورة عامر بن الطُّفَيْلِ، وأَرْبَد بن قيس، في وفد بني عامر، ومسيلمة الكذاب، في وفد بني حنيفة، أما عامر بن الطفيل وأربد بن قيس فإنهما قدما المدينة وقد أضمرا الغدر برسول الله ﷺ، فحفظه الله من كيدهما، ولم يلبث عامر أن مات بِغُدَّةٍ أصابته قبل أن يَصِلَ ديار قومه، وأصابت أربد صاعقة فأهلكته بعد يومين من وصوله إلى ديار قومه. وأما مسيلمة الكذاب فقد أغواه الشيطان، وحدثته نفسه بالأماني، فادَّعَى النبوة، وغَرَّرَ بقومه، فباء بإثمه وإثم من ارتد من قومه[3].

---

(١) ينظر: ابن هشام السيرة النبوية ٥٧٣/٢، وابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٩٩/١، والبيهقي: دلائل النبوة ٣٧٤/٥، وابن كثير: البداية والنهاية ١٩٢/٥.

(٢) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية ٤٤/٢و٤٢١، وابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٠٧/١، وابن كثير: البداية والنهاية ٢٢٠/٥.

(٣) ينظر: ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٢٥٣-٢٥٤.

http://www.al-maktabeh.com

٥. شمول الصغار بالتعليم

لم يكن تعليم القرآن الكريم للقادمين إلى المدينة من الوفود مقتصراً على كبار السن، بل شمل صغار السن أيضاً، وكانوا ينافسون الكبار في ذلك، مثل عمرو بن سلمة الجرمي، وعثمان بن أبي العاص الثقفي، ورَفَعَهُمْ تعلم القرآن الكريم حتى تقلدوا الإمامة أو الإمارة، على نحو ما سيرد في الفقرة اللاحقة.

٦. تقديم حملة القرآن

تشير أخبار الوفود إلى تقديم حملة القرآن على غيرهم في الإمامة والإمارة، فقد أَمَّرَ رسول الله ﷺ عثمان بن أبي العاص على أهل الطائف، بعد أن أسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ وأرادوا العودة إلى بلدهم، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتَعَلُّمِ القرآن، على صغر سنه، فقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن(١).

وقَدَّمَ بنو جَرْمٍ عَمْرَو بن سلمة بن قيس الجرمي ليصلي بهم، وهو غلام ابن ست أو سبع سنين، لأنه كان أكثر أهل الحي حفظاً للقرآن، وكان رسول الله ﷺ قد أوصاهم: لِيَؤُمَّكُمْ أكثرُكم قرآناً، وكان قومه ينزلون بحضرة ماء مَمَرُّ الناس عليه، وكان عمرو يحفظ ما يسمعه من القرآن من الركبان الذين يمرون بهم، فكان لا يسمع شيئاً إلا حفظه، حتى جمع قرآناً كثيراً، وكانت بُرْدَتُهُ مفتوقة، فقطعوا له قميصاً جديداً، فقال: ما فرحت بشيء ما فرحت بذلك القميص(٢).

وكان عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي مولاهم قد ولي مكة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه أَنَّ نَافِعَ بنَ عبد الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وكان عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ على مَكَّةَ، فقال: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ على أَهْلِ الْوَادِي؟

---

(١) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية ٥٤٠/٢، والطبري: تاريخ الرسل والملوك ٩٩/٣، وابن عبد البر: الاستيعاب ١٠٣٥/٣.

(٢) ينظر: صحيح البخاري ص ٨١٢ (رقم الحديث ٤٣٠٢)، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٣٦/١ و٨٩/٧.

مكتبة المهتدين الإسلامية

فقال: ابن أبزى، قال وَمَنْ ابن أبزى ؟ قال: مَوْلًى من مَوَالِينَا، قال: فَاسْتَخْلَفْتَ عليهم مَوْلًى ؟ قال: إنه قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ - عز وجل - وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قال عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قد قال: (إِنَّ اللَّه يَرْفَعُ بهذا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ)[1].

٧. الثبات في أوقات الفتن

كان من ثمار تعليم القرآن الكريم لوفود القبائل العربية ثبات كثير منهم في أحداث الردة التي وقعت بعد وفاة النبي ﷺ، وإذا كان في مقدمة عوامل ارتداد مَن ارتد من قبائل العرب خارج منطقة الحجاز عدم تغلغل الإيمان في قلوبهم لتأخر إسلامهم، وقِصَرِ الزمن الذي تم فيه تبليغ الدعوة لهم[2]، فإنَّ حملة القرآن من رجال الوفود ثَبَتُوا أمام رياح الفتنة، وكانوا سبباً لثبات قبائلهم، وقد تتبعت أخبار عدد من الذين كانوا ضمن الوفود وتميزوا بالحرص على تعلم القرآن والتفقه في الدين، فوجدتُ أن كثيراً منهم تمسكوا بدينهم، ودعوا أقوامهم إلى الثبات، وهذه أخبار عدد منهم:

١. عثمان بن أبي العاص الثقفي، كان في وفد ثقيف حين قدموا المدينة المنورة، وكان أحرصهم على تعلم القرآن والتفقه في الدين، فاستعمله رسول الله عليهم، كما تقدم في الفقرة السابقة، وقال ابن حجر في ترجمته: «وكان هو الذي مَنَعَ ثقيفاً عن الردة، خَطَبَهُم فقال: كنتم آخرَ الناسِ إسلاماً، فلا تكونوا أَوَّلَهُم ارتداداً»[3].

٢. الجارود بن عمرو، كان في وفد عبد القيس حين قدموا إلى المدينة من البحرين سنة عشر، وأسلم وتفقه في الدين، وحين توفي رسول الله ﷺ قال قومه: «لو كان محمد نبياً لما مات وارتدوا، وبلغه ذلك فبعث فيهم فجمعهم، ثم قام فخطبهم، فقال: يا معشر عبد القيس، إني سائلكم عن أمر فأخبروني به إن علمتموه ولا تجيبوني إن لم تعلموا، قالوا: سَلْ عما بدا لك، قال: تعلمون أنه كان لله أنبياء في ما مضى؟ قالوا: نعم، قال: تعلمونه أو ترونه؟ قالوا: لا بل نعلمه، قال: فما

(١) صحيح مسلم ص ٣١٨ (رقم الحديث ٨١٧)، وينظر: ابن حجر: الإصابة ٢٨٢/٤، وعبد السلام مقبل المجيدي: المنهج النبوي في التعليم القرآني ص ١٤٩.
(٢) ينظر: أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة ص ٣٩٢.
(٣) الإصابة ٤٥١/٤.

http://www.al-maktabeh.com

فعلوا؟ قالوا: ماتوا، قال فإن محمداً مات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأنك سيدنا وأفضلنا، وثبتوا على إسلامهم»[١].

٣. فروة بن مُسَيْكٍ المرادي، قدم وافداً على رسول الله ﷺ سنة تسع، فنزل على سعد بن عبادة، وكان يتعلم القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه، واستعمله رسول ﷺ على مراد وزُبيد ومذحج[٢]، وحين ارتد الأسود العنسي، واتبعه عوام مذحج، اعتزل فروة في مَن أقام معه على الإسلام، يدافع أهل الردة حتى قدمت جيوش المسلمين، وأظهرهم الله عليهم[٣].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٣٠٢/٣.
(٢) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٢٧/١.
(٣) ينظر: تاريخ الرسل والملوك ٣٢٧/٣.

مكتبة المهتدين الإسلامية

خاتمة

شهدت المدينة المنورة في السنة التاسعة من الهجرة تقاطر الوفود من أنحاء الجزيرة العربية لتعلن إسلامها بين يدي النبي ﷺ وتبايعه على السمع والطاعة، وكانت هذه الوفود تنزل في دار الضيافة المعدة لإنزال الوفود، وهي دار رملة بنت الحارث الأنصارية، وتحظى بالسلام على رسول الله ﷺ، والجلوس بين يديه، وسماع تلاوته للقرآن، ومواعظه وهو يدعوهم إلى الإسلام ويبين لهم شرائعه.

وكان يصاحب إقامة الوفود في المدينة حلقات لتعليمهم قراءة القرآن، وكان يتولى ذلك سيد القراء أُبَيُّ بن كعب الأنصاري رضي الله عنه، كما أشار إلى ذلك عدد من الروايات التي نقلت أخبار تلك الوفود، فكانوا يرجعون إلى بلدانهم وقبائلهم وهم فرحون بما تعلموه من القرآن، وشرائع الإسلام، ويتشوقون هم وأفراد قبائلهم للقاء رسول الله ﷺ، وسماع القرآن منه، والتفقه بالدين.

وكانت أخبار تلك الوفود موضع عناية المؤرخين والكُتَّاب في السيرة، وجاء هذا البحث لِيُعَرِّفَ بتلك الوفود، ويُبَيِّنَ ما حظيت به في المدينة من ترحيب وتكريم، ويقف عند تعليم الوفود قراءة القرآن، بدءاً بسماع القرآن من رسول الله ﷺ، ثم الجلوس لتعلم القرآن من الحفاظ من الصحابة في المدينة، وفي مقدمتهم أبي بن كعب الأنصاري، ومتابعة تلك الوفود إلى بلدانهم وهم يصطحبون واحداً أو أكثر من الصحابة الذين أرسلهم رسول الله ﷺ لتعليم أهل البلدان قراءة القرآن في منازلهم، وتفقيههم في الدين.

وانتهى البحث إلى الإشارة إلى ما تتضمنه حركة الوفود والأنشطة التي صاحبتها في المدينة المنورة من دروس تربوية ودعوية، منها ما يتبين من تركز الجهود على تعليم قراءة القرآن الكريم لجميع الوافدين إلى المدينة المنورة، وإرسال المعلمين إلى البلدان خارج المدينة المنورة، ومنها اضطلاع كبار الحفاظ من الصحابة بالقيام بتلك المهمة، ومتابعة التعليم في القرى والبلدان، وهذه الأنشطة التي حظيت بها الوفود هي جزء من سلسلة مستمرة لتعليم القرآن، بدأت في اليوم الذي نزلت فيه الآية الكريمة: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾.

http://www.al-maktabeh.com

وفي ثبات أهل القرآن في أحداث الردة ما يشير إلى الأثر الذي يتركه القرآن في النفوس، ويؤكد على أهمية أن يحظى كل مسلم بنصيب وافر منه ليكون زاداً له في رحلته في هذه الحياة.

وآمل أن يكون في هذا الجهد المتواضع ما ينفع المشتغلين بتعليم قراءة القرآن الكريم، حيثما كانوا، وأينما حلوا، والله تعالى ولي التوفيق، والهادي إلى سواء السبيل.

مكتبة المهتدين الإسلامية

(٢)

أَبو عبدِ الرحمنِ السُّلَميُّ
وجهودُهُ في الإقرَاءِ وتعليمِ القرآنِ الكريمِ[١]

مُقَدِّمَة

الحمـدُ للّهِ رَبِّ العالمـين، والعاقبة للمتقـين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدِنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّـا بَعْدُ فإنَّ شـهرةَ القُرّاءِ السـبعة الذين عاشـوا معظم حياتهـم في القرنِ الثاني الهجـري قـد اجتذبت اهتمام الدارسـين، فتركزت الدراسـات والبحـوث حولهم، ولم يحظَ شيوخهم من التابعين الذين أخذوا عنهم قراءة القرآن ما يستحقون من العناية، وقد يكون اندثار قراءاتهم واشـتغال الدارسـين برواية قراءات القراء السـبعة سـبباً لذلك.

ولا شـك في أنَّ الاقتـرابَ مـن عصـر النبـوة الزاهـر والبحـثَ في سِيَرِ الصحابـة والتابعين يُطلعنا على شخصَّيات تمثلت فيها قوَّةُ الإيمان، وحيويةُ العلم، وعُلُوُّ الهمة، وكان لها دورٌ أساسـيٌّ في إرسـاء أُسـس مدارس الإقراء بخاصة، والعلوم الإسـلامية بعامـة، ومـن بـين تلك الشـخصيات أبو عبد الرحمن السُّـلَمِيُّ، الذي نشـأ في المدينة المنورة، وتعلَّمَ القرآن على يد والده الذي صَحِبَ النبي ﷺ وشهد معه بعض غزواته، وأخـذ أبـو عبـد الرحمن القراءة من كبار علماء الصحابـة بالقرآن: عثمان بن عفان، وعلى بـن أبـي طالب، وأُبيِّ بنِ كعبٍ، وزيد بن ثابت، وعبد اللّه بن مسـعود رضي اللّه تعالى عنهم جميعاً.

وحين كُتِبَتِ المصاحف في خلافة عثمان بن عفان في المدينة حَمَلَ أبو عبد الرحمن السـلمي المصحف الذي أرسـله الخليفة إلى الكوفة واستقر فيها بقية حياته، وجلس في مسجدها الجامع يعلِّمُ القرآن أربعين سنة، إلى حين وفاته سنة ٧٤ هـ، وكان يقول

(١) مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول لجمعية المحافظة على القرآن الكريم في عمان - الأردن ١٤٢٧هـ.

http://www.al-maktabeh.com

للدارسين عنده: حدثنا عثمان بن عفان، قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُكم مَنْ تَعَلَّمَ القرآنَ وعَلَّمَهُ»، ثم يقول أبو عبد الرحمن لهم: وذاك الذي أقعدني هذا المقعد.

وكان من أشهر تلامذة أبي عبد الرحمن السلمي في القراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي صاحب القراءة المشهورة التي يقرأها أكثر المسلمين اليوم، وحين توفي أبو عبد الرحمن السلمي جلس عاصم في مكانه يُقْرِئُ الناس.

ووجدتُ أنَّ البحث في شخصية أبي عبد الرحمن السلمي والوقوف على جهوده في الإقراء وتعليم القرآن مفيد من ناحيتين:

الناحية الأولى: التَّعَرُّفُ على أصول قراءتنا التي نقرأ بها القرآن الكريم، وهي قراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي، فَجُلُّ اعتماد عاصم في قراءته التي رواها عنه حفص بن سليمان كان على أبي عبد الرحمن السلمي.

الناحية الثانية: التَّعَرُّف على منهج أبي عبد الرحمن السلمي في الإقراء والتعليم، فقد كانت له آداب وتقاليد يحرص عليها في نفسه وفي مَن يُعَلِّمُهُ، وهي مفيدة للقائمين على حلقات تعليم القرآن في زماننا، وكذلك هي مفيدة للمتعلمين، وهي في جملتها مستمدة من الهدي النبوي وآداب الدين.

وقد درست الموضوع في مبحثين:

الأول: التعريف بحياة أبي عبد الرحمن السلمي

الثاني: التعريف بجهوده في الإقراء والتعليم

هذا، وأسأل الله تعالى التوفيق للصواب، هو حسبنا ونعم الوكيل.

تكريت

الجمعة ٢٩/٦/٢٠٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

المبحث الأول

التعريف بحياة أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ

(١) اسمه ونسبه:

هو عبدُ اللهِ بنُ حَبيبِ بنِ رُبَيِّعَةَ - بالتصغير - أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ[١]، ولم تَزِدِ المصادرُ التاريخية على ذلك، لكنَّ خليفة بن خيَّاط قال: «مِن سُلَيْمِ بن منصور ابن عكرمة بن خَصَفَةَ بن قيس عيلان»[٢] وقيسُ عيلانَ بنُ مُضَر بن نزار بن مَعَدِّ ابن عدنان[٣].

والسُّلَمِيُّ: بضم السين وفتح اللام نسبة إلى بني سُلَيْم[٤]، «وهم أكثر قبائل قيس عدداً، وكانت مساكنهم في عالية نجد بالقرب من خيبر»[٥]. وكانت لقبيلة سُليم مواقف مشهودة في عصر النبوة، بدأت معاديةً للدعوة الإسلامية، فغزاها النبي ﷺ عدة غزوات[٦]، وقَتَلَ بعضُ بني سُليم القُرَّاءَ في بئر معونة[٧]، وشارك بنو سُليم في حصار المدينة في غزوة الخندق مع المشركين[٨]، لكنَّ الله تعالى أَعَزَّ بني سُليم بالإسلام بعد ذلك، فكان منهم في جيش الفتح تسعُ مئةِ مقاتلٍ، على الخيول جميعاً، مع كل رجل رمحه وسلاحه، وقالوا: يا رسول الله: قدمنا حتى تنظر كيف بلاؤُنا، فإنا صُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، فرسان على متون الخيل، فقال لهم رسول الله ﷺ: سِيرُوا، فجعلهم مقدمته، وعقد لهم ثلاثة ألوية[٩].

---

(١) ينظر: الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/١٤٦، وابن الجزري: غاية النهاية ١/٤١٣، وابن حجر: تهذيب التهذيب ٥/١٨٣.

(٢) طبقات خليفة ١/٢٥٧.

(٣) ينظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٢٦١- ٢٦٤.

(٤) ينظر: ابن الأثير: اللباب ٢/١٢٨.

(٥) القلقشندي: قلائد الجمان ص ٤٣، وينظر: الهمداني: صفة جزيرة العرب ص ٢٤٥.

(٦) ينظر: مغازي الواقدي ١/١٦ و ١٨٢ و ١٩٦.

(٧) ينظر: مغازي الواقدي ١/٣٤٦،وسيرة ابن هشام ٢/١٨٣.

(٨) ينظر: مغازي الواقدي: ٢/٤٤٢- ٤٤٤

(٩) ينظر: مغازي الواقدي ٢/٨١٢- ٨١٣، وسيرة ابن هشام ٢/٤٠٠ و ٤٢١.

http://www.al-maktabeh.com

(٢) ولادته، ونشأته، وأسرته:

وُلِدَ أبو عبد الرحمن في حياة النبي ﷺ[١]، لكنا لا نعلم السَّنَةَ التي وُلِدَ فيها ولا مكان ولادته، ويمكن أن نرجح أنه نشأ في المدينة المنورة، فقد كانت لوالده حبيبِ بن رُبَيِّعة صحبةٌ، وكان قد شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد[٢]، ولعله كان في جيش الفتح مع قومه بني سُليم، وكان أبو عبد الرحمن قد تعلَّم القرآن من والده، ولا نعلم متى توفي أبوه، لكننا نعلم أنه كان مع حذيفة بن اليمان في المدائن بعد فتحها سنة ست عشرة[٣].

ونظراً لاختلاف المؤرخين في سنة وفاة أبي عبد الرحمن واختلافهم في عمره حين وفاته - على نحو ما سَنُبَيِّنُ - فإنه من الصعب تحديد سنة ولادته بناء على ذلك، لكننا يمكن أن نؤكد أنه ولد في حياة النبي ﷺ وأنه نشأ في المدينة المنورة، لأنه أخذ القرآن عن عثمان بن عفان وزيد بن ثابت في المدينة المنورة، قبل أن ينتقل مع المصحف العثماني إلى الكوفة.

ولم يرد في المصادر التاريخية عن أُسرة أبي عبد الرحمن إلا الشيء اليسير، فقد ورد ذكر لأخيه خَرَشَةَ بنِ حبيب[٤]، وكانت لأبي عبد الرحمن ابنة تزوجها سعد بن عبيدة، أبو حمزة السُّلمي الكوفي[٥].

(٣) انتقاله إلى العراق واستقراره في الكوفة:

شارك حبيبُ بن رُبَيِّعَةَ السلميُّ والد أبي عبد الرحمن في فتوح العراق، ولدينا رواية تشير إلى أنه كان مع حذيفة بن اليمان في المدائن، فنقل الطبري عن أبي عبد

---

(١) ينظر: الذهبي: معرفة القراء ١٤٧/١، وسير أعلام النبلاء ٢٦٧/٤.

(٢) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣٢٢/١- ٣٢٣.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٢٣.

(٤) البخاري: التاريخ الكبير ٢١٤/٣.

(٥) ينظر: البخاري: التاريخ الكبير ٦٠/٤، وابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٨٩/٤، ولم أجد في المصادر التاريخية ما يفسر كنيته بأبي عبد الرحمن، لكني وجدت علم الدين السخاوي يذكر أن أبا بكر محمد ابن أحمد السلمي (ت٤٠٧هـ) من ذرية عبد الكريم بن عبد الله بن حبيب السلمي (جمال القراء ٢٥٦/٢و٤٦٠، وينظر: ابن الجزري: غاية النهاية٨٤/٢).

مكتبة المهتدين الإسلامية

الرحمن أنه قال: «نزلنا المدائن، فكنا منها على فرسخ فجاءت الجمعة، فحضر أبي وحضرتُ معه، فخطبنا حذيفة فقال: ألا إنَّ الله يقول: (اقتربتِ الساعةُ وانشقَّ القمرُ)[1] أَلَا وإنَّ الساعة قد اقتربت، أَلَا وإنَّ القمر قد انشقَّ، أَلَا وإنَّ الدنيا قد آذنت بفراق، أَلَا وإنَّ اليوم المضمار، وغداً السباق. فقلت لأبي: أَيَسْتَبِقُ الناس غداً؟ فقال: يا بُنَيَّ إنك جاهل! إنما هو السباق بالأعمال»[2].

وكان المسلمون قد دخلوا المدائن في شهر صفر سنة ست عشرة من الهجرة، بقيادة سعد بن أبي وقَّاص [3]، قال الطبري: «وكانت أول جمعة بالعراق جُمِّعَتْ جماعةً بالمدائن، في صفر سنة ست عشرة»[4]، وكان حذيفة بن اليمان قد وَلِيَ إمرة المدائن لعمر بن الخطاب حتى وفاته بعد مقتل عثمان بقليل[5].

ويبدو من الرواية السابقة أن أبا عبد الرحمن السلمي كان آنذاك في سن صغيرة، وليس هناك ما يشير إلى أنه أقام في العراق بشكل مستمر منذ ذلك التاريخ، فقد جاء في بعض الروايات أنه أخذ القرآن عن عثمان بن عفان في أيام خلافته، كما أنه أخذ القراءة عن زيد بن ثابت سنين عديدة، وهو ما يشير إلى رجوعه إلى المدينة بعد تلك الرحلة.

ويمكن القول: إن أبا عبد الرحمن السلمي استقر في الكوفة بعد نسخ المصاحف في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد ورد في رواية نقلها الجعبري عن أبي علي (الأهوازي) أنه قال: «أمر عثمان رضي الله عنه زيد بن ثابت أن يُقْرِئَ (بالمصحف) المدني، وبعث عبد الله بن السائب مع المكي، والمغيرة بن أبي شهاب مع الشامي، وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي، وعامر بن عبد قيس مع البصري» [6].

وقد اختُلِفَ في السنة التي نُسِخَتْ فيها المصاحف[7]، إِلَّا أن الثابت هو أن أبا عبد الرحمن السلمي استقرَّ في الكوفة يُعَلِّمُ الناس القرآن في مسجدها الجامع، قال ابن

(١) القمر: ١.
(٢) جامع البيان ٢٢/٥٦٧، وابن عبد البر: الاستيعاب ١/٣٢٣، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/٥٦٥.
(٣) ينظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/١٠.
(٤) ينظر: المصدر نفسه ٤/١٦.
(٥) ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/٣٦٣- ٣٦٤.
(٦) جميلة أرباب المراصد ص ٢٣٦، ونقلها المارغني في دليل الحيران ص١٧.
(٧) ينظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥/٤٠، وابن الأثير: الكامل ٢/٤٧٧ و٤٨١.

http://www.al-maktabeh.com

مجاهد: «فلم تزل قراءة عبد الله بالكوفة لا يعرف الناس غيرها، وأول من أقرأ بالكوفة القراءة التي جمع عثمان - رضي الله تعالى عنه - الناس عليها أبو عبد الرحمن السلمي، واسمه عبد الله بن حبيب، فجلس في المسجد الأعظم، ونصب نفسه لتعليم الناس القرآن، ولم يزل يُقْرِئُ بها أربعين سنة...»[1].

ولأبي عبد الرحمن السلمي في الكوفة آثار وأخبار، لا سيما بعد أن نزلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه واتخذها داراً للخلافة، سوف نستوفيها في الفقرة الآتية، إن شاء الله تعالى.

(٤) أبو عبد الرحمن السلمي مع أمير المؤمنين علي:

صَحِبَ أبو عبد الرحمن السلمي أميرَ المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالكوفة ما يقرب من أربع سنوات، بعد مسيره إلى العراق سنة ست وثلاثين، حتى استشهاده في شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، وحضر معه معركة صفين في أواخر سنة ست وثلاثين وأوائل سنة سبع وثلاثين[2].

وكان أبو عبد الرحمن من خاصة أصحاب أمير المؤمنين في الكوفة، فكان يَقْرَأُ عليه القرآن، وكان يُمْسِكُ له المصحف ليراجع حفظه للقرآن، قال ابن مجاهد: كان أبو عبد الرحمن يقول: «قرأت على أمير المؤمنين علي - رضي الله تعالى عنه - القرآنَ كثيراً، وأمسكتُ عليه المصحف فقرأ عليَّ، وأقرأتُ الحسن والحسين - رضي الله تعالى عنهما - حتى قرآ عليَّ القرآنَ، وكانا يدرسان على أمير المؤمنين علي - رضي الله تعالى عنه - فربما أخذ عَلَيَّ الحرفَ بعد الحرف»[3]، وقد وَصَفَ صاحب كتاب المُحَبَّرِ أبا عبد الرحمن بأنه مُعَلِّمُ الحسن والحسين لذلك[4].

وكان أبو عبد الرحمن لا تفوته الصلوات مع علي رضي الله عنه[5]، وربما صَحِبَ أبا عبد

---

(١) كتاب السبعة ص ٦٩.
(٢) ينظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥/٤٠، وابن الأثير: الكامل ٢/٦٦٣.
(٣) كتاب السبعة ص ٦٩.
(٤) المحبر ص ٤٧٥، وينظر الكاساني: بدائع الصنائع ٢/٢٠٧.
(٥) ينظر: الدولابي: الكنى والأسماء ٣/٣٢٢ (رقم الحديث ٦٤٥٩).

مكتبة المهتدين الإسلامية

الرحمن معه في بعض خلواته، يقول أبو عبد الرحمن: «أخذ عليٌّ - رضي الله عنه - بيدي، فانطلقنا حتى جلسنا على شاطئ الفرات...»[1]، وظلت علاقة أبي عبد الرحمن بأمير المؤمنين متميزة حتى يوم استشهاده رضي الله عنه في شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة[2].

ولا شك في أنَّ مما يثير دهشة القارئ أن يجد بعض الروايات التي تشير إلى انحراف أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه فقد نقل ابن حجر عن الواقدي: أنه شَهِدَ مع عليٍّ صفين ثم صار عثمانياً [3]. وورد في بعض الروايات ما يشير إلى ذلك، فقد أخرج البخاري والإمام أحمد عن سعد بن عبيدة أنه قال: تنازع أبو عبد الرحمن السلمي، وكان عثمانياً، وحِبَّانُ بن عطية، وكان علوياً، فقال أبو عبد الرحمن لحبان: إني لأعلم ما الذي جرَّأ صاحبك - يعني علياً - على الدماء، سمعته يقول: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم والزبير... فقال صلى الله عليه وسلم: «ما يدريك، لعل الله اطَّلَعَ على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم»، فهذا الذي جَرَّأَهُ[4].

ووجدت ابن الجوزي في صيد الخاطر يُخَطِّئُ أبا عبد الرحمن السلمي في فهمه للحديث، فقال: «وهذا سوء فهم من أبي عبد الرحمن حين ظنَّ أنَّ علياً قاتل وقَتَلَ اعتماداً على أنه قد غُفِرَ له... فقد غلط أبو عبد الرحمن غلطاً قبيحاً، حمله عليه أنه كان عثمانياً»[5].

ولكن لا يعني ما يُنْسَبُ إلى أبي عبد الرحمن من أنه كان عثمانياً أنه كان يتعصب ضد علي، فقد رأيناه في جيش عليٍّ في صفين، وظل معه إلى حين استشهاده، حتى إن ابن عبد البر قال وهو يناقش ما نسب إلى أبي عبد الرحمن من اعتزاله الفتنة: «فالصحيح أنه كان مع علي بن أبي طالب - كرَّم الله وجهه»[6]، وأحسب أنه ظل على حب الشيخين كليهما، وقد يكون بَدَرَ منه ما يقدِّم به عثمان على علي - رضي الله

(١) ابن أبي عاصم: كتاب السنة ص ٩٨.
(٢) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٢٧.
(٣) ينظر: تهذيب التهذيب ٥/١٨٤.
(٤) ينظر: مسند الإمام أحمد ص ٩١(الحديث ٨٢٧)، وصحيح البخاري ص ٥٨٩ (الحديث ٣٠٨١) و ص ١٣٢٤ (الحديث ٦٩٣٩).
(٥) صيد الخاطر ص ٤٥٣.
(٦) الاستيعاب ١/٧٧.

http://www.al-maktabeh.com

عنهما - شأنه في ذلك شأن أكثر السلف.

ولم يكن الاختلاف بين حبان بن عطية وأبي عبد الرحمن في تفضيل أحد الشيخين على الآخر، أعني عثمان وعلياً، يحملهما على القطيعة أو الخصومة أو التباغض، على ما يتوقع من يعيش في زماننا، قال ابن حجر: «وكان حبَّان بن عطية سُلَمِياً أيضاً ومؤاخياً لأبي عبد الرحمن السلمي، وإن كانا مختلفين في تفضيل عثمان وعلي»[1]، وكانوا كما قال إبراهيم النخعي: يتزاورون وهم مختلفون[2].

وسأل عطاء بن السائب شيخه أبا عبد الرحمن السلمي، وهو يعرف ميله إلى تفضيل عثمان، قال: «قلتُ لأبي عبد الرحمن - وكان عثمانياً - كأنَّك أزهدُ في ما سَمِعْتَ مِن عليٍّ بن أبي طالب؟ فقال أبو عبد الرحمن: لَمَّا سَمِعْتُ مِن عليٍّ أحبُّ إليَّ مِن حُمْرِ النَّعَمِ»[3].

ولم ينشغل أبو عبد الرحمن السلمي بالسياسة، بل تفرغ للإقراء وتعليم القرآن، وكان المسجد الكبير في الكوفة مدرسته التي يعقد فيها حلقات التعليم، وكان هو إمام المسجد[4]، واستمر على ذلك أربعين سنة، لا يشغله عن ذلك شيء، حتى توفاه الله تعالى، على نحو ما سنبين في الفقرات اللاحقة، إن شاء الله تعالى.

(٥) هل كان أبو عبد الرحمن أعمى:

ورد في عدد من المصادر التاريخية وصف أبي عبد الرحمن السلمي بالضرير[5]، كما قال عنه ابن قتيبة: «وكان مكفوفاً»[6]. فهل يدل ذلك على أنه وُلِدَ ضريراً أو

---

(١) فتح الباري ١٢/٣٠٦.

(٢) ينظر: البسوي: المعرفة والتاريخ ٣/١٣٤، وذكر رواية عن أبي الجهم، قال: «صحبتُ عبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الله بن عكيم عشرين سنة، هذا علوي وهذا عثماني، فكان هذا يدخل بيت هذا في اليوم كذا وكذا، ويدخل هذا في اليوم كذا وكذا مرة...» ونقل قول الأعمش: أدركت أشياخاً: زرّاً وأبا وائل شقيق بن سلمة، منهم مَن عثمان أحب إليهم من علي، ومنهم مَن عليٌّ أحب إليهم من عثمان، وكانوا أشدَّ شيء تحابّاً وأشدَّ شيء توادّاً.

(٣) ينظر: البسوي: المعرفة والتاريخ ٢/٥٨٩.

(٤) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٧٢، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٢٦٩.

(٥) ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٢٧٠.

(٦) المعارف ص ٥٤٧.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أصابه العمى في وقت مبكر من حياته؟

إن الأنشطة التي شارك فيها أبو عبد الرحمن السلمي لا يمكن أن تصدر عن رجل أعمى، وذلك مثل خروجه في جيوش الفتح مع أبيه إلى العراق، وهو فتىً، وقراءته القرآن في المدينة وحمله المصحف إلى الكوفة، وجلوسه في المسجد الجامع فيها لتعليم الناس القراءة، وإمساكه المصحف على الإمام علي رضي الله عنه وهو يقرأ القرآن من حفظه. وتدلُّ مشاركته في معركة صفين دلالة بينة على أنه لم يكن وقتئذ كفيفاً، فقد جاء أنه قال: «ورأيت عماراً لا يأخذ وادياً من أودية صفين إلا تبعه مَن كان هناك من أصحاب محمد ﷺ ورأيته جاء إلى المرقال هاشم بن عتبة، وهو صاحب راية عليٍّ... فلمَّا كان الليل قلتُ: لأدخلن إليهم... فركبت فرسي وقد هدأت الرِّجْلُ»[1].

وقال الذهبي: «ويقالُ: أضرَّ بِأَخَرَةٍ، رحمه الله تعالى»[2]، وهذا أمرٌ ممكنٌ لا سيما أنه كان من المُعَمَّرين، وذكر ابن سعد أنه كان إمام المسجد، وكان يُحمل في اليوم المطير[3]، ونقل ابن المبارك عن خَتَنِهِ سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن أنه كان يأمرهم أن يحملوه في الطين والمطر إلى المسجد، وهو مريض[4]. ونقل البسوي عن أبي حصين، قال: كنت مع أبي عبد الرحمن نَلْقَى شقيقاً الضبي، فقال: أنت يا عَمِّ تنهى الناس عن مجالستي، فقال: من هذا ؟ قلنا: شقيق، قال: إني لم أرك إلا مُضِلّاً دينك تطلبه تقول: رأيتك رأيتك[5].

وفي هذه الروايات ما يدل على أن أبا عبد الرحمن كان قد كُفَّ بصره في آخر عمره، ولكن ذلك لم يمنعه من استمراره في تعليم القرآن.

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥/٤٠- ٤١.
(٢) تاريخ الإسلام ٢/٨٩٧.
(٣) الطبقات الكبرى ٦/١٧٢.
(٤) كتاب الزهد ص ١٤١.
(٥) المعرفة والتاريخ ٢/٧٧٩، ونقل علم الدين السخاوي في جمال القراء (٢/٤٣٧) عن أبي حصين قوله: «كنا نذهب بأبي عبد الرحمن من مجلسه، وكان أعمى»، ولعل ذلك كان في آخر عمره بعد أن أضرَّ.

http://www.al-maktabeh.com

(٦) وفاة أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ:

كان أبو عبد الرحمن السلمي من المُعَمَّرِين [١]، لكن المؤرخين لم يتفقوا على تاريخ وفاته، وأكثرهم على أنه توفي سنة ٧٤ هـ، وفي تحديد سنة وفاته قولان مشهوران:

الأول: أنه تُوُفِّيَ في ولاية بشر بن مروان على العراق[٢].

الثاني: أنه توفي في إمارة الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق[٣].

وكان بشر بن مروان قد وَلَّاهُ أخوه عبد الملك على الكوفة سنة اثنتين وسبعين، بعد مقتل مصعب بن الزبير[٤]، وفي سنة ثلاث وسبعين ضَمَّ إليه البصرة فخرج إليها، واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث[٥]. ولم تطل ببشر الحياة فقيل: إنه توفي سنة ثلاث وسبعين، وقيل: سنة أربع وسبعين[٦]، ووَلَّى عبدُ الملك الحجَّاجَ بن يوسف الثقفي العراق، بعد وفاة أخيه بشر، فقَدِمَ الكوفة ودخلها سنة خمس وسبعين[٧].

ويترجح عندي أن وفاة بشر بن مروان كانت سنة أربع وسبعين، لأن الخليفة عبد الملك بن مروان وَلَّى الحجاج على العراق بعد وفاة أخيه، ولو كانت وفاته سنة ثلاث وسبعين لَمَا تأخَّرَ قدوم الحجاج إلى سنة خمس وسبعين، ومن ثم فإن سنة أربع وسبعين هي سنة وفاة بشر وتولية الحجاج على العراق، وهي أيضاً سنة وفاة أبي عبد الرحمن السلمي[٨]، ولما كانت تواريخ هذه الأحداث الثلاثة متقاربة وتفتقر إلى تحديد اليوم والشهر فإنه يصعب وضع ترتيب تاريخي لها، ويبدو أن ذلك حمل الذهبي على القول في وفاة أبي عبد الرحمن: «... مات في سنة ثلاث وسبعين أو بعدها في إمرة بشر بن مروان على العراق»[٩].

وذكر البخاري أنهم مَرُّوا بجنازة أبي عبد الرحمن على أبي جُحَيْفَةَ السُّوائي

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام ٨٩٧/٢.
(٢) تاريخ خليفة ٢١٠/١.
(٣) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ٦٨.
(٤) ينظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٦٤/٦.
(٥) المصدر نفسه ١٩٤/٦.
(٦) المصدر نفسه ١٩٣/٦.
(٧) المصدر نفسه ٢٠٢/٦.
(٨) ينظر: ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ص ١٠٢.
(٩) تذكرة الحفاظ ٥٨/١- ٥٩.

مكتبة المهتدين الإسلامية

(وهب بن عبد الله)، فقال: مستريحٌ ومستراح منه [١]، وورد في بعض المصادر أن أبا جُحَيْفَةَ توفي في ولاية بشر على العراق أيضاً[٢]، وفي بعضها أنه توفي سنة أربع وسبعين[٣]، وقال الذهبي: والأصح موته في سنة أربع وسبعين[٤].

ومهما يكن من أمر فإن أبا عبد الرحمن ظل يواصل جهوده في الإقراء والتعليم في مسجده حتى توفاه الله تعالى فيه، وقد أخرج ابن المبارك في كتاب الزهد عن عطاء ابن السائب أنه قال: «دخلنا على أبي عبد الرحمن السلمي، وهو عبد الله بن حبيب، وهو يقضي أي ينزع في المسجد، فقلنا له: لو تحولت إلى الفراش فإنه أوثر، قال: حدثني فلان أن النبي ﷺ قال: لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مُصَلَّاهُ ينتظر الصلاة[٥]، وزاد ابن سعد في روايته: والملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، قال: فأريد أن أموت وأنا في مسجدي!»[٦].

وروى ابن سعد عن عطاء بن السائب، قال: ذهبنا نُرَجِّي أبا عبد الرحمن عند موته، فقال: أنا لا أرجو وقد صُمْتُ ثمانين رمضان!»[٧].

---

(١) التاريخ الكبير ٥/٧٣.

(٢) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٦٤.

(٣) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ص ٤٦.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣/٢٠٣، لكن ابن حجر قال في تهذيب التهذيب (١١/١٦٤): «قال الواقدي مات في ولاية بشر، وقال غيره: مات سنة أربع وسبعين، وقال أبو بكر بن أبي شيبة: مات أبو جحيفة قبل أبي عبد الرحمن السلمي !».

(٥) كتاب الزهد ص ١٤١- ١٤٢، وأخرجه البخاري عن أبي هريرة (ص٥٩ رقم الحديث ١٦٧ ومواضع أخرى).

(٦) الطبقات الكبرى ٦/١٧٣- ١٧٤.

(٧) الطبقات الكبرى ٦/١٦٤، وينظر: البخاري: التاريخ الكبير ٥/٧٣، لكن الذهبي قال في سير أعلام النبلاء (٤/٢٧١): «ما أعتقد أنه صام ذلك كله». وقد نقل ابن الجوزي أن أبا عبد الرحمن السلمي توفي سنة خمس ومئة، وله تسعون سنة (ينظر: المنتظم ٧/١٠١ وصفوة الصفوة ٣/٥٨)، ونسب الذهبي هذه الرواية إلى عبد الباقي بن قانع (ت٣٥١هـ)، لكنه قال (معرفة القراء ١/١٥١): وأما قول ابن قانع مات سنة خمس ومئة فغلط فاحش (وينظر: سير أعلام النبلاء ٤/٢٧٢، وابن الجزري: غاية النهاية ١/ ٤١٤).

http://www.al-maktabeh.com

المبحث الثاني

جهود أبي عبد الرحمن السلمي في الإقراء وتعليم القرآن

(١) تكوينه العلمي:

نشأ أبو عبد الرحمن بين أصحاب رسول الله ﷺ وهو في طبقة الصغار منهم، لكنه لم يحظَ برؤية النبي ﷺ في ما يبدو، ومن ثم لم يُعَدَّ منهم، ولعله بقي في منازل قومه في بني سُلَيْمٍ في السنين التي أدركها من عمر النبي ﷺ بينما حضر والده إلى المدينة وحظي بشرف الصحبة والمشاركة في بعض الغزوات، ثم انتقل إلى المدينة في عصر الخلافة الراشدة، قبل أن يرحل إلى العراق بعد ذلك.

واتَّجه أبو عبد الرحمن إلى العلم في سن مبكرة من حياته، وكان أول مَن تعلَّم منه والده، فقد روى ابن سعد عن أبي إسحاق السَّبِيعِي، تلميذ أبي عبد الرحمن، قال: قال عبد الله بن حبيب: والدي الذي علَّمني القرآن[1]، ثم إنه أخذ بعد ذلك القرآن والحديث عن كبار علماء الصحابة، وسوف أذكر هنا شيوخه الذين أخذ عنهم القرآن، وشيوخه الذين أخذ عنهم الحديث.

أما شيوخه الذين أخذ عنهم القرآن فقد قال أبو عمرو الداني: أخذ القراءة عرضاً عن:

١. عثمان بن عفان
٢. علي بن أبي طالب
٣. زيد بن ثابت
٤. أُبي بن كعب
٥. عبد الله بن مسعود، رضي الله عنهم[2].

أما شيوخه في الحديث الشريف من الصحابة فقد بلغوا عشرة، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: «روى عن عمر، وعثمان، وعلي، وسعد، وخالد بن الوليد، وابن

(١) الطبقات الكبرى ١٧٣/٦، وينظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٥٦٥/١، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٤، ومعرفة القراء الكبار ١٤٩/١.

(٢) نقلاً عن الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٦٨/٤، ومعرفة القراء الكبار ١٤٧/١، وينظر: علم الدين السخاوي: جمال القراء ٤٦٢/٢ و ٤٧١، وابن الجزري: غاية النهاية ٤١٢/١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

مسعود، وحذيفة، وأبي موسى الأشعري، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، رضي الله عنهم»[1].

ولا يتسع البحث للحديث المفصل عن شيوخه في الحديث ومروياته، لكن يحسن بنا الإشارة إلى قول شعبة بن الحجاج: «لم يسمع أبو عبد الرحمن السلمي من عثمان ولا من عبد الله بن مسعود، ولكنه قد سمع من عليٍّ»[2]. قال البخاري: «سمع علياً وعثمان وابن مسعود، رضي الله عنهم»[3]، وقال الذهبي: «قال شعبة: لم يسمع من عثمان، ولم يُتَابَعْ شعبة على هذا»[4]. وقال في موضع آخر: «وقول حجاج عن شعبة إن أبا عبد الرحمن لم يسمع من عثمان ليس بشيء، فإنه ثبت لُقِيُّهُ لعثمان، كان أبو عبد الرحمن ثبتاً في القراءة وفي الحديث، حديثه مخرج في الكتب الستة»[5].

وأخذ أبو عبد الرحمن السلمي عن شيوخه من الصحابة القرآن، والحديث، والتفسير، والفقه، ومروياته عنهم في ذلك كثيرة مبثوثة في المصادر القديمة، وأحسب أن دراسة مروياته وجهوده في كل موضوع من هذه الموضوعات يستحق أن يفرد له بحث مستقل، ومن ثم فإن تركيزنا في هذا البحث سيكون حول موضوع القراءات وجهوده في تعليم القرآن، حتى لا يخرج البحث عن حجمه المعهود.

ونقل الذهبي رواية عن عدد من تلامذة أبي عبد الرحمن السلمي في القراءة، وفيها أنهم: «قرؤوا علي أبي عبد الرحمن، وذكروا أنه أخبرهم أنه قرأ على عثمان عامة القرآن، وكان يسأله عن القرآن، فيقول: إنك تشغلني عن أمر الناس، فعليك بزيد بن ثابت، فإنه يجلس للناس، ويتفرغ لهم، ولست أخالفه في شيء من القرآن. قال: وكنت أَلْقَى عليّاً فأَسْأَلُهُ، فيخبرني ويقول: عليك بزيد، فأقبلتُ على زيد، فقرأت عليه القرآن ثلاث عشرة سنة»[6].

وأُتيحت لأبي عبد الرحمن السلمي فرصة عرض القرآن على أمير المؤمنين بعد

(١) تهذيب التهذيب ٥/١٨٤، وينظر: أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/١٩٣.
(٢) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٧٢، وابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١/١٣١.
(٣) التاريخ الكبير ٥/٧٣.
(٤) معرفة القراء الكبار ١/١٤٨، وسير أعلام النبلاء ٤/٢٦٩.
(٥) معرفة القراء الكبار ١/١٤٨، وينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ١/٤١٤.
(٦) معرفة القراء الكبار ١/١٥٠، وفي سير أعلام النبلاء ٤/٢٧١: «ثلاث عشرة مرة»، وقال الذهبي: «قلت: ليس إسنادها بالقائم».

http://www.al-maktabeh.com

أن نـزل الكوفـة، قـال ابـن مجاهـد: «وكان أخذ القراءة عن عثمـان، وعن علي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسـعود، وأُبي بن كعب -رضي الله عنهم- وكان يقول: قرأت على أمير المؤمنين عَلِيٍّ - رضي الله تعالى عنه - القرآنَ كثيراً، وأمسكت عليه (المصحف) فقرأ عَلَيَّ...»[١].

وسـبق أبـو عبـد الرحمـن السُّـلَمِيُّ عصـر التأليف وتدويـن العلوم، لكـن علمه لم يندثـر، فقـد أخـذه عنـه تلامذتـه، ورَوَوْهُ ونقلوه إلـى مَن جاء بعدهم، وسـوف أتناول بالحديث تلامذته الذين عرضوا عليه القراءة وأخذوا عنه القرآن في الفقرة الخاصة بالحديـث عـن جهوده في الإقراء، وأكتفي هنا بذكر تلامذته الذين رووا عنه الحديث خاصة، وقد يتكرر ذكر بعضهم لاحقاً لأخذهم عنه القراءة والحديث.

قـال الذهبـي: «حدَّث عنه... عدد كبير»[٢]، وذكر منهم ابن حجر اثني عشـر ممن حدَّث عنه، قال: «وعنه إبراهيم النخعي، وعلقمة بن مرثـد، وسـعد بن عبيدة، وأبو إسـحاق السـبيعي، وسـعيد بـن جبير، وأبـو الحصين الأسـدي، وعطاء بن السـائب، وعبد الأعلى بن عامر، وعبد الملك بن أعين، ومسـلم البطين، وأبو البختري الطائي، وعاصم بن بهدلة، وغيرهم»[٣].

(٢) جهوده في الإقراء:

كان أبـو عبـد الرحمـن قـد قـرأ القرآن وجـوَّده ومَهَرَ فيـه[٤]، وتصـدَّر للإقراء في خلافة عثمان، ونصب نفسه لتعليم القرآن أربعين سنة في مسجد الكوفة الجامع[٥]، فازدحم المتعلمون حوله، من طلبة العلم وغيرهم، وسجلت كتب التراجم أسمـاء من اشتهر من تلامذته بالإقراء، قال ابن الجزري[٦]: «وأخذ القراءة عنه عرضاً:

---

(١) كتاب السبعة ص ٦٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/٢٦٩.

(٣) تهذيب التهذيب ٥/١٨٤.

(٤) ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٢٦٨.

(٥) ينظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ٦٨.

(٦) غاية النهاية ١/٤١٣.

مكتبة المهتدين الإسلامية

١. عاصم (بن أبي النجود).
٢. وعطاء بن السائب.
٣. وأبو إسحاق السبيعي.
٤. ويحيى بن ثابت.
٥. وعبد الله بن عيسى بن أبي ليلى.
٦. ومحمد بن أبي أيوب.
٧. وأبو عوف محمد بن عبيد الله الثقفي.
٨. وعامر الشعبي.
٩. وإسماعيل بن أبي خالد.
١٠. والحسن (بن علي).
١١. والحسين (بن علي) رضي الله عنهما»[١].

واضطلع أبو عبد الرحمن السلمي بدور مهم في تعضيد القراءة بمصحف عثمان ابن عفان، في وقت كانت القراءة الغالبة على أهل الكوفة قراءة عبد الله بن مسعود، قال ابن مجاهد: «وأما أهل الكوفة فكان الغالب على المتقدمين منهم قراءة عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه لأنه الذي بعث به إليهم عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - ليعلمهم، فأُخذت عنه قراءته قبل أن يجمع عثمان - رضي الله تعالى عنه - الناس على حرف واحد، ثم لم تزل في صحابته من بعده يأخذها الناس عنهم... فلم تزل قراءة عبد الله بالكوفة لا يعرف الناس غيرها، وأول من أقرأ بالكوفة القراءة التي جمع عثمان - رضي الله تعالى عنه- الناس عليها أبو عبد الرحمن السلمي، واسمه عبد الله بن حبيب، فجلس في المسجد الأعظم، ونصب نفسه لتعليم الناس القرآن، ولم يزل يقرئ أربعين سنة»[٢].

ونُقِلَ عن أبي عبد الرحمن السلمي قوله: «كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة»[٣]. وسمَّاها الزركشي (قراءة العامة)، وقال: هي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قُبِضَ

(١) ينظر أيضاً: الذهبي: معرفة القراء ١/١٤٧.
(٢) كتاب السبعة ص ٦٨.
(٣) الهندي: كنز العمال ١/٢٥٠ (رقم ٤٧٩٩)، وينظر: علم الدين السخاوي: جمال القراء ٢/٤٦٢.

http://www.al-maktabeh.com

فيه، وكان زيد قد شهد العرضة الأخيرة، وكان يُقْرِئُ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده الصديق في جمعه، ووَلَّاهُ عثمانُ كَتَبَةَ المصحف[1].

وفسَّر أبو بكر بن الأنباري قول أبي عبد الرحمن السلمي السابق بقوله: «يعني أنهم لم يكونوا يختلفون في ما تنقلب فيه الألفاظ، وتختلف من جهة الهجاء»[2].

وانتشرت قراءة العامة في الكوفة بعد أبي عبد الرحمن على يد تلامذته، فكان تلميذه سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) يَؤُمُّ الناس في رمضان، فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله ابن مسعود وليلة بقراءة زيد بن ثابت[3]، لكن قراءة ابن مسعود ما لبثت أن أفسحت المجال لقراءة العامة التي قد تعرف أحياناً بقراءة زيد، فنجد الأعمش (ت ١٤٨ هـ) يقول: «أدركتُ الكوفة وما قراءة زيد فيهم إلا كقراءة عبد الله فيكم اليوم، ما يقرأها إلا الرجل والرجلان»[4].

وإذا كنا نقرأ القرآن الكريم بقراءة عاصم بن أبي النجود برواية حفص بن سليمان عنه، فإن معظم هذه القراءة أخذها عاصم عن شيخه أبي عبد الرحمن السلمي، فقد نقل ابن مجاهد عن عاصم أنه قال: «ما أقرأني أحدٌ حرفاً إلا أبو عبد الرحمن السلمي، وكان أبو عبد الرحمن قد قرأ على علي - رضي الله تعالى عنه - وكنت أرجع من عند أبي عبد الرحمن، فأعرض على زر بن حُبَيْشٍ، وكان زِرٌّ قد قرأ على عبد الله»[5].

وأخذ القراءة عن عاصم « خَلْقٌ لا يحصون»[6]، لكن أشهر تلامذته اثنان: حفص ابن سليمان أبو عمر الأسدي (ت ١٨٠هـ)، وأبو بكر شعبة بن عياش (ت ١٩٣هـ). وكان عاصم قد أقرأ حفصاً قراءته التي أخذها عن أبي عبد الرحمن السلمي، وأقرأ شعبة قراءته التي أخذها عن زر بن حبيش[7].

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٢٣٧/١.
(٢) نقلاً عن كنز العمال ٢٥٠/١.
(٣) ينظر: الذهبي: معرفة القراء الكبار ١٦٨/١، وابن الجزري: غاية النهاية ٣٠٥/١.
(٤) ينظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ٦٧.
(٥) كتاب السبعة ص ٧٠، وينظر: أبو عبيد: فضائل القرآن ص ٣٥٩.
(٦) ابن الجزري: غاية النهاية ٣٤٧/١.
(٧) ينظر: ابن سوار البغدادي: المستنير ٣٢٧/١، وعلم الدين السخاوي: جمال القراء ٤٦٧/٢، وابن الجزري: غاية النهاية ٣٤٨/١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وعلى الرغم من أن أصول قراءة عاصم برواية حفص عنه ترجع إلى قراءة أبي عبد الرحمن السلمي إلا أن الذي أخذ الشهرة وغلب إطلاق اسمه على هذه القراءة هو عاصم بن أبي النجود، شأنه في ذلك شأن القراء السبعة الذين غلبت اختياراتهم في القراءة قراءات شيوخهم من التابعين، وقد تجاوز ذلك إلى وصفها بالشذوذ أحياناً.

وبَقِيَتْ بعض أخبار قراءة أبي عبد الرحمن السلمي، ووردت إشارات إليها في بعض كتب القراءات، فذكر ابن الجزري في ترجمة نُعَيْمِ بن ميسرة الكوفي (ت ١٧٤هـ) أنه روى حروف أبي عبد الرحمن السلمي، عن عطاء بن السائب (ت ١٣٦هـ)، وعطاء من تلامذة أبي عبد الرحمن الذين أخذوا القراءة عنه [(١)].

وقد أحصيتُ ثمانين حرفاً من حروف قراءة أبي عبد الرحمن السلمي في مختصر شواذ القراءة من كتاب البديع لابن خالويه، ولاحظت مثل ذلك العدد تقريباً في المصادر الأخرى، ولا يتسع المقام لعرض تلك القراءات وموازنتها بقراءات القراء السبعة وغيرهم[(٢)]، ولكني أشير إلى بعض الملاحظات حولها، منها:

١. انقطاع سندها، فلم تصل إلينا بالسند المتصل لاشتغال علماء القراءة برواية القراءات السبع أو العشر.

٢. موافقتها لخط المصحف العثماني، خلافَ كثير من القراءات الشاذة المخالفة للخط، ولا عجب في ذلك فإنَّ جهود أبي عبد الرحمن السلمي انصبت على ترسيخ القراءة بالمصحف العثماني.

٣. موافقة أبي عبد الرحمن السلمي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أربعة وثلاثين حرفاً منها، ولا غرابة في متابعة التلميذ شيخه في القراءة[(٣)].

---

(١) ينظر: غاية النهاية ٢/٣٤٢ و ١/٥١٣.

(٢) ذكر ابن الجزري في غاية النهاية (٢/٣٧٥) عن يحيى بن عقيل الخزاعي أنه قرأ على كل من أبي عبد الرحمن السلمي ويحيى بن يعمر فلم يختلفا إلا في حرفين !

(٣) روى ابن أبي شيبة (المصنف ٧/٢٠٢) عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: «إذا اختلفتم في القرآن في ياء أو تاء فاجعلوها ياء، فإن القرآن نزل بالياء»، ولاحظت اختيار أبي عبد الرحمن الياء في عشرة مواضع من الحروف التي ذكرها ابن خالويه.

http://www.al-maktabeh.com

وكان أبو عبد الرحمن السلمي يَعُدُّ جميع القراءات الثابتة مما تصح القراءة به، ولا يُفَضِّلُ قراءة على أخرى، فقد سأله رجل عن حرف من كتاب الله - عز وجل - له وجهان، فأخبره بهما، فقال له الرجل: أيهما أحبُّ إليك ؟ فغضب، فقال الرجل: ما الذي أغضبك ؟ قال قولك: أحَبُّ إليك، إني أُحِبُّ هذا وهذا، قال: فكيف أقول ؟ قال: قُلْ بأيهما تأخذ ؟[1].

(٣) منهجه في التعليم:

اتخذ أبو عبد الرحمن السلمي من المسجد مكاناً للتعليم، فكان يعقد مجلس الإقراء فيه [2]، وكان يجلس للإقراء بعد صلاة الفجر وبعد صلاة العصر[3]، لكنه لم ينقطع عن إفادة الناس في جميع أوقاته، حتى أنه ربما أقرأ بعض تلامذته وهو ماشٍ في الطريق[4].

ويمكن للمتتبع أخبار أبي عبد الرحمن السلمي في تعليمه للقرآن أن يلاحظ بعض ملامح منهجه في الإقراء والتعليم، ويمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

١. ابتغاؤه الثواب من الله تعالى:

كان أبو عبد الرحمن يُعَلِّمُ حسبة لله تعالى ولا يؤخذ على التعليم أجراً، وربما أهداه بعض مَن يقرأ عنده هديةً فيردُّها ولا يقبلها، جاء يوماً وفي الدار جِلالٌ وجُزُرٌ[5]، قالوا: بعث بهذا عمرو بن حريث[6]، لأنك علمت ابنه القرآن، قال: رَدٌّ، إنا لا نأخذ على كتاب الله أجراً[7].

---

(١) ينظر: علم الدين السخاوي: جمال القراء ٤٦٣/٢.
(٢) ينظر: المصدر نفسه ٤٨٦/٢.
(٣) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٧٢/٦.
(٤) ينظر: علم الدين السخاوي: جمال القراء٤٦٣/٢.
(٥) الجِلالُ: جمع جُلَّة: وهي القفة من التمر، والجزُرُ: جمع جزور، وهي ما يصلح أن يذبح من الإبل. ينظر: ابن منظور: لسان العرب ١١٨/١١ (جلل)، و١٣٤/٤ (جزر).
(٦) عمرو بن حريث المخزومي: من صغار الصحابة، نزل الكوفة، وولي إمارتها لبشر بن مروان سنة ثلاث وسبعين، وكانت وفاته سنة ٨٥ هـ (ينظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٩٤/٦، وابن عبد البر: الاستيعاب ٣٦٣/١).
(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٧٣/٦، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٤.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وروى تلميذه عطاء بن السائب، قال: كان رجل يقرأ على أبي عبد الرحمن، فأهدى له قوساً، فردَّها، وقال: ألا كان هذا قبل القراءة[1].

ولم يكن أبو عبد الرحمن السلمي يرفض الهدية ممن يقرأ عليه فقط، وإنما كان لا يقبلها من الأمراء أيضاً، فقد رفض هدية والي العراق بشر بن مروان، ورَدَّها وأبى أن يقبلها[2].

وكان أبو عبد الرحمن السلمي يُحَدِّثُ رُوَّاد مجلسه بحديث النبي ﷺ الذي يرويه عن عثمان بن عفان: «خَيْرُكُم مَن تَعَلَّمَ القرآنَ وعَلَّمَهُ»، ويقول لهم: وذاك الذي أقعدني هذا المقعد[3].

وقال عطاء بن السائب: «أقرأني أبو عبد الرحمن القرآن، وكان إذا قرأ عليه أحدنا القرآن قال: قد أخذتَ علم الله، فليس أحدٌ اليوم أفضل منك إلا بعمل، ثم قرأ: (أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ والملائكةُ يَشْهَدُونَ، وكَفَى باللّهِ شهيداً) (النساء: ١٦٦)»[4].

٢. التزامه بمقدار ثابت من الآيات في المجلس الواحد:

نقل ابن سعد عن إسماعيل بن أبي خالد، وهو تلميذ أبي عبد الرحمن، أنه قال: «كان أبو عبد الرحمن يُقْرِئُ عشرين آية بالغداة، وعشرين آية بالعشي، ويخبرهم بموضع العَشْرِ والخَمْسِ، ويُقْرِئُ خَمْساً خَمْساً، يعني خمس آيات»[5].

وكان أبو عبد الرحمن يحدِّث تلامذته عما سمعه من شيوخه من الصحابة عن كيفية تعلمهم القرآن، وكان يقول: «حدثني الذين كانوا يقرئوننا: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب - رضي الله تعالى عنهم - أنَّ رسول الله ﷺ

---

(١) معرفة القراء (١/١٥٠-١٥١) وسير أعلام النبلاء (٢٧١/٤) وفي غاية النهاية (٤١٣/١) لابن الجزري: فرساً.

(٢) ينظر: ابن أبي الدنيا: الورع ص ١١٥، والدولابي: الكنى والأسماء ١٦٠/٦ (رقم الأثر ١٠٠٣٦٦).

(٣) رواه البخاري (٥٠٢٧) وغيره، وينظر: الآجري: أخلاق حملة القرآن ص٤٧، وأبو نعيم: حلية الأولياء ١٩٤/٤.

(٤) علم الدين السخاوي: جمال القراء ٤٦٢/٢، وتفسير ابن كثير ٤٧٦/٢.

(٥) الطبقات الكبرى ١٧٢/٦، وابن مجاهد: كتاب السبعة ص ٦٩.

http://www.al-maktabeh.com

كان يُقْرِئُهُمُ العَشْـرَ، فلا يجاوزونها إلى عَشْـرٍ أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فتعلموا القرآن والعمل جميعاً»[1].

٣. مراعاة حال المتعلمين:

كان أبو عبد الرحمن السلمي إذا ازدحم المتعلمون حوله بعد صلاة الفجر يبدأ بأهل السوق، لئلا يَحْتَبِسُوا عن معايشهم، وقد اقتدى به عاصم بن أبي النجود في ذلك[2]. وذكر علم الدين السخاوي أنَّ نافع بن أبي نعيم كان يبدأ بمَن سَبَقَ ولا ينظر إلى حاله، وكذلك كان الكسائي، وكان حمزة يُقَدِّمُ الفقهاء[3].

وورد في بعض الروايات أنَّ أبا عبد الرحمن ربما عَلَّمَ الآية مراراً [4]، ترسيخاً لها في ذهن المتعلم.

٤. حرصه على اجتناب أهل البدع مجلسه:

كان أبو عبد الرحمن يقول حين يعقد مجلس الإقراء: لا يجالسنا حَرَوْرِيٌّ[5]، وكان يوصي تلامذته ويُحَذِّرُهم من مجالسة القصاصين وأصحاب الأهواء، قال عاصم ابن أبي النجود: كنا نأتي أبا عبد الرحمن السلمي، ونحن أُغَيْلِمَةٌ أَيْفَاعٌ، فيقول: لا تجالسوا القُصَّاصَ غير أبي الأحوص، ولا تجالسوا شَقِيقاً، وليس بأبي وائل، ولا سعد بن عبيدة [6]، وسعد بن عبيدة هذا ختنه زوج ابنته، كان يرى رأي الخوارج، ثم تركه[7].

---

(١) ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ٦٩، وينظر: الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/١٤٨، وابن الجزري: غاية النهاية ١/٤١٣.

(٢) ابن الجزري: غاية النهاية ١/٣٤٧، ومنجد المقرئين ص ٨.

(٣) جمال القراء ٢/٤٤٧.

(٤) ينظر: الكاساني: بدائع الصنائع ٢/٢٠٧.

(٥) ينظر: العقيلي: الضعفاء ٢/١٨٦، والحَرَوْرِيُّ نسبة إلى حَرَوْرَاء، وهي قرية بظاهر الكوفة، اجتمع فيها الخوارج الذين خالفوا علياً – رضي الله عنه – فَنُسِبُوا إليها. (ينظر: صفي الدين البغدادي: مراصد الاطلاع ١/٣٩٤).

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٧٣.

(٧) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٤/٨٩.

مكتبة المهتدين الإسلامية

٥. تعليمه عدد الآي:

كان أبـو عبـد الرحمن يُخْبِرُ مَن يقـرأ عنده بأعداد الآيات، لأن المصاحف لم تكن مرقمة الآي، ويخبرهم عن الخَمْسِ والعَشْرِ من الآيات[١]، وقد أخذ أهل الكوفة عدد الآيـات عـن أبـي عبـد الرحمن السـلمي[٢]، وهو العـدد الذي يكتـب في المصاحف في زماننا.

---

(١) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٧٢/٦.

(٢) ينظر: الداني: البيان في عدّ آي القرآن ص ٦٩.

http://www.al-maktabeh.com

خاتمة

في مكانته وأقوال العلماء فيه

أجمع الذين ترجموا لأبي عبد الرحمن السلمي على إمامته في القراءات، وعدالته وتوثيقه في الحديث، وسأكتفي بنقل بعض الأقوال التي تشير إلى ذلك، من غير استقصاء، خشية الإطالة.

قال ابن سعد: «كان ثقةً كثيرَ الحديث»[١].

ووصفه ابن حِبَّان بأنه: «من قرَّاء القرآن، وأهل الورع في السر والإعلان»[٢].

وقال الحافظ أبو نعيم في وصفه: «ومنهم ذو الصيام والقيام، مقرئ الأئمة الأعلام، على مدى السنين والأعوام، في التعبد لبيب، وفي التعليم أريب، أبو عبد الرحمن السلمي عبد اللّه بن حبيب»[٣].

وقال ابن عبد البر: «تابعي ثقة... أحد الأئمة في القراءة»[٤].

ووصفه النووي بالتابعي الجليل[٥].

ووصفه الذهبي بأنَّهُ: الإمامُ العَلَمُ، مقرئُ الكوفةِ وعالِمُهَا بلا مدافعة، كان ثقة رفيعَ المحَلِّ[٦].

ووصفه ابن الجزري بقوله: مقرئ الكوفة، إليه انتهت القراءة تجويداً وضبطاً [٧].

وكان أبو عبد الرحمن إلى جانب إمامته بالقراءات وشهرته في رواية الحديث له معرفته بالتفسير، مع إتقانه لمسائل الفقه، وهو جدير ببحث أكثر تفصيلاً يُبَيِّنُ اختياره في القراءة، ويعرض جهوده في الحديث والفقه والتفسير، رحمه اللّه تعالى ورضي عنه.

---

(١) الطبقات الكبرى ١٧٥/٦.
(٢) مشاهير علماء الأمصار ص ١٠٢.
(٣) حلية الأولياء ١٩١/٤
(٤) الاستيعاب ٣٢٢/١.
(٥) التبيان ص ٨٤.
(٦) سير أعلام النبلاء ٢٦٧/٤، و تذكرة الحفاظ ٥٩/١.
(٧) غاية النهاية ٤١٣/١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

(٣)

أبو عُبَيْدٍ القاسمُ بنُ سَلَّامٍ البغداديُّ: حياتُهُ وجهودُهُ في دراسة القراءات[١]

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين، وبعد

فإن القاسم بن سلَّام المشهور بأَبِي عُبَيْدٍ كان واحداً من الذين رفعهم العلم منازل عليا، وخلَّد ذكرهم في التاريخ، فقد كان أبوه عبداً رومياً لرجل من أهل هَرَاة، لا يأبه بذكره أحد من الناس، لكنه أرسل ابنه القاسم إلى الكُتَّاب ووَجَّهَهُ إلى العلم، فتدرَّج الابن في العلم ورحل في طلبه، حتى صار أحد الأعلام الذين يتردد ذكرهم في أرجاء بلاد الإسلام، ويعتني بمؤلفاته الدارسون على اختلاف الأماكن والأزمان.

وكان أبو عبيد إماماً في كل فن من العلم، وألَّف في ذلك كتباً كثيرة، في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب، وكان كتابه في (القراءات) قد اشتهر عند المتقدمين، واعتمد عليه كثير منهم، وقد وصفه أبو جعفر النحاس بأنه (أصل من الأصول) في القراءات، وقال ابن درستويه عنه بأنه كتاب (جيِّد، ليس لأحد من الكوفيين قبله مثله)، والكتاب اليوم مفقود، لا نعرف عنه إلا ما يرد في المصادر من ذكره أو النقل عنه، وكان لأبي عبيد اختيارٌ في القراءة وافق فيه العربية والأثر، ذكره في كتابه في (القراءات) مشروحاً مُعَلَّلاً.

وقد قصدتُ في هذا البحث إلى التعريف بجهود أبي عبيد في دراسة القراءات القرآنية متتبعاً نصوص كتابه، مبيناً أهمية المادة التي ذكرها فيه، موضحاً اختياره والأسس التي بناه عليها، ولمَّا كانت حياة أبي عبيد وجهوده العلمية لم يُكْتَبْ عنها حديثاً إلا القليل فقد جعلت المبحث الأول من هذه الدراسة عن حياة أبي عبيد، وما يتصل بذلك من ذكر شيوخه وتلامذته ومؤلفاته وعلاقاته ورأي العلماء فيه، وجعلت المبحث الثاني خاصاً بجهود أبي عبيد في دراسة القراءات، والله الموفق للصواب.

---

(١) البحث منشور في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد، العدد التاسع ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م، (ص ١٥١- ٢١١).

http://www.al-maktabeh.com

المبحث الأول

حياة أبي عبيد وجهوده العلمية

أولاً: اسمه وكنيته ولقبه:

هو القاسمُ بنُ سَلَّام، بتشديد اللام[1]، وكنيته (أبو عُبَيْدٍ)[2]، كان أبوه عبداً رومياً لرجل من أهل هَرَاة[3]، وكان يتولى الأَزْد[4]، ومِن ثَمَّ لُقِّبَ بالأزدي[5]. ولَقَّبَتْهُ بعض المصادر بالخُزَاعي[6]، وخُزَاعة حَيٌّ من الأزد[7]، وأكثر المصادر تلقبه بالبغدادي، وذلك لإقامته الطويلة في بغداد[8]، ولم أجد في المصادر القديمة من لَقَّبَهُ بالهروي، نسبة إلى مدينة هراة، كما لم أجد ما يوضح سبب كنيته.

ثانياً: مولده، ونشأته، ورحلاته، ووفاته

وُلِدَ القاسم بن سَلَّام في مدينة هَراة، قال الزبيدي في كتاب التقريظ: سنة ١٥٤هـ[9]، وقال ابن الجوزي: سنة ١٥٠هـ[10]، وهو ما أُرَجِّحُهُ، لأنه يتناسب مع ما ذكرته المصادر من عمره حين وفاته، على ما سيرد عند الكلام على وفاته.

وكانت نشأة أبي عبيد في مدينة هَرَاة، وأرسله أبوه إلى الكُتَّاب وهو صغير[11]، فتعلَّم القراءة والكتابة ومبادئ العلوم العربية والإسلامية، ولما شبَّ طمحت نفسه إلى الخروج إلى العراق، مركز الحضارة الإسلامية، وكان أقدم شيوخه وفاةً في العراق

---

(١) ينظر: الداودي: طبقات المفسرين ٢/٣٢، والبغدادي: هدية العارفين ١/٨٢٥.

(٢) وصفته بعض المصادر بأنه (أبو عبد الله)، ينظر: البيهقي: مناقب الشافعي ١/٢٦٩.

(٣) هَرَاة بالفتح: مدينة عظيمة من أمهات مدن خراسان (ياقوت: معجم البلدان ٥/٣٩٦) وهي اليوم إحدى مدن دولة أفغانستان.

(٤) ابن سعد: الطبقات ٧/٣٥٥، وابن قتيبة: المعارف ص ٥٤٩.

(٥) الفيروزآبادي: البلغة ص ١٨٦.

(٦) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص١٩٩.

(٧) ابن منظور: لسان العرب ٨/٧٠ (خزع).

(٨) البخاري: التاريخ الكبير ٧/١٧٢. والشيرازي: طبقات الفقهاء ص٩٢، وابن حجر: تهذيب التهذيب ٨/٣١٥.

(٩) نقلاً عن: ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/٦٢، والسيوطي: المزهر ١/٨٣.

(١٠) نقلا عن: ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/٦٢، والعليمي: المنهج الأحمد ١/٨٠.

(١١) الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/٣٩٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

سعيد بن عبد الرحمن الجمحي، الذي توفي سنة ١٧٤هـ[١]، وكان من شيوخه شريك ابن عبد الله النخعي الكوفي، الذي توفي سنة ١٧٧هـ[٢]. كما أن المصادر تذكر قدوم أبي عبيد إلى البصرة للسماع من حماد بن زيد فوجده قد توفي، ووفاته كانت سنة ١٧٩هـ[٣]. وهذا كله يدل على وفود أبي عبيد إلى العراق وإقامته الطويلة فيه يتلقى العلم عن شيوخ الحديث والفقه والقراءات واللغة.

وذكر ابن عساكر أن أبا عبيد قَدِمَ دمشق طالب علم[٤].

وعاد أبو عبيد بعد هذه الجولة الطويلة إلى موطنه، واشتغل مؤدباً[٥]، أي معلماً، وقد ذكره الجاحظ وابن قتيبة في المعلمين[٦]، وكان يُؤدب أولاد هرثمة بن أعين[٧]، القائد المشهور الذي ولاه هارون الرشيد خراسان سنة ١٩١هـ[٨]. والتقى أبو عبيد في أثناء ذلك بطاهر بن الحسين، وكان هذا اللقاء بداية علاقة طيبة بينه وبين آل طاهر[٩].

ولم تستمر إقامة أبي عبيد في خراسان، فانحدر إلى بغداد، وأقام فيها[١٠]، قال الخطيب: «ثم اتصل بثابت بن نصر بن مالك الخزاعي يؤدب ولده، ثم وُلِّيَ ثابتٌ طرسوس[١١] ثمانيَ عشرةَ سنة، فَوُلِّيَ أبو عبيد القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة»[١٢]. وكانت ولاية ثابت في سنة ١٩٢هـ[١٣].

وعاد أبو عبيد إلى بغداد، بعد أن ترك القضاء في طرسوس، قال ابن سعد: «ووُلِّيَ

---

(١) البسوي: المعرفة والتاريخ ١/١٦٥.
(٢) السبكي: طبقات الشافعية ٢/١٥٤، والسيوطي: طبقات الحفاظ ص٩٨.
(٣) الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/٣٩٨، والسيوطي: طبقات الحفاظ ص ٩٧.
(٤) نقلاً عن الداودي: طبقات المفسرين ٢/٣٤.
(٥) ابن سعد: الطبقات ٧/٣٥٥.
(٦) المعارف ص٥٤٩، وينظر: ياقوت: معجم الأدباء ٥/٢١٩٩.
(٧) ابن النديم: الفهرست ص٧٨، والخطيب: تاريخ بغداد ١٤/٢٩٣.
(٨) تاريخ خليفة ٢/٧٣٨ وابن الأثير: الكامل ٥/٣٨٠.
(٩) الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/٣٩٥.
(١٠) الفراء: طبقات الحنابلة ١/ ٢٦٠، وابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٣٢١.
(١١) طَرَسُوس، بفتح الطاء والراء، مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم (ينظر: ياقوت: معجم البلدان ٤/٢٨، وابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/٦٢) وهي اليوم في تركيا.
(١٢) تاريخ بغداد ١٤/٤٠٦.
(١٣) ابن الأثير: الكامل ٥/٣٨٤. وذكر خليفة في تاريخه (٢/٧٧١) أن ثابت بن نصر توفي سنة ٢٠٨هـ.

http://www.al-maktabeh.com

قضـاء طرسـوس أيـام ثابت بن نصر بـن مالك، ولم يزل معه ومع ولـده، وقدم بغداد ففَسَّـرَ بها غريب الحديث، وصَنَّفَ كُتباً، وسـمع الناس منه»[1]. وظل أبو عبيد مقيماً في بغداد، وكان ينزل بدرب الريحان[2]، ويبدو أنه كان له مسـجد في بغداد يلقي فيه دروسه[3].

وخـرج أبـو عبيـد مـن بغداد إلـى مصر سـنة ٢١٣هـ مـع صديقه المحـدِّث الكبير يحيى بن معين، وكَتَبَ هناك[4]، قال الربيع بن سليمان المرادي، تلميذ الإمام الشافعي: «جاءنـي أبـو عبيـد الى مصر، فكَتَبَ كُتُبَ الشـافعي»[5]، ثم عاد إلى بغداد، وفي سـنة ٢١٩هـ خـرج إلـى الحج[6]، ولـم يكن في نيته الإقامة في مكة بعـد الحج، لكنه بعد أن قضى نُسُكَهُ وعزم على الرحيل رأى رؤيا، فَعَدَلَ عن السفر، وسَكَنَ مكة حتى وفاته، رحمه الله تعالى[7].

وكانت وفاة أبي عبيد في مكة سنة ٢٢٤هـ، قال تلميذه علي بن عبد العزيز: «تُوُفِّيَ أبـو عبيـد في المحـرم سـنة أربع وعشـرين ومئتين بمكـة، و(دُفِـنَ)[8] في دور جعفر بن محمد، وعاش ثلاثاً وسبعين سنة»[9].

ثالثاً: شيوخه وتلامذته

دَرَسَ أبـو عبيـد الحديـث والفقـه والقـراءات والعربيـة، وأخذ كل علـم عن أهله، وقـد ذكـر الخطيب البغدادي شـيوخه في الحديث حيث قال: «طلـب أبو عبيد العلم،

(١) الطبقات ٣٢١/٧.
(٢) الفراء: طبقات الحنابلة ٢٦٠/١، والخطيب: تاريخ بغداد ٣٩٣/١٤.
(٣) ينظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١١١/٧.
(٤) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣١٥/٨.
(٥) البيهقي: مناقب الشافعي ٢٦٩/١.
(٦) الخطيب: تاريخ بغداد ٤٠٦/١٤، ومـا ذكره ياقوت مـن أنـه خـرج سـنة ٢١٤هـ (معجـم الأدبـاء ٢١٩٨/٥) غيـر صحيح، لأن أبـا عبيـد شـهد محنـة الإمـام أحمـد بـن حنبـل في بغداد سـنة ٢١٨ و٢١٩ هـ (ينظـر: ابـن الجـوزي: مناقـب الإمـام أحمـد ص٤١٦).
(٧) ينظر: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٠٠، والقفطي: إنباه الرواة ٢١/٣.
(٨) الزيادة من إنباه الرواة للقفطي ٢١/٣.
(٩) الزبيـدي: طبقـات النحويـين واللغويـين ص١٤٩، ونَقَـلَ الخطيـب (تاريـخ بغـداد ٤٠٦/١٤) بعـض الروايـات التي تقـول إنـه تـوفي سـنة ٢٢٢ أو٢٢٣ هـ، ولكـن أكثـر المصـادر علـى أنـه تـوفي سـنة ٢٢٤هـ كمـا أن الخطيـب قـال: (٤٠٧/١٤):(بلغنـي أنـه بلـغ سـبعاً وسـتين سـنة)، والراجـح مـا رواه تلميـذ أبـي عبيـد مـن أنـه عـاش ٧٣ سـنة، لاسـيما أننـا نجـد في بعـض الروايـات أن عمـره كان لا يقـل عـن ٦٨ سـنة، وهـو لا يـزال في بغـداد (الزبيـدي: طبقـات النحويـين واللغويـين ص٢٠١).

مكتبة المهتدين الإسلامية

وسمع الحديث، ودرس الأدب، ونظر في الفقه، وسَمِعَ: إسماعيل بن جعفر، وشريكاً، وإسماعيل بن عياش، وهُشَيْمَ بن بشير، وسفيان بن عيينة، وإسماعيل بن عُلَيَّة، ويزيد بن هارون، ويحيى بن سعيد القطان، وحجاج بن محمد، وأبا معاوية الضرير، وصفوان بن عيسى، وعبد الرحمن بن مهدي، وحماد بن مسعدة، ومروان بن معاوية، وأبا بكر بن عياش، وعمر بن يونس، وإسحاق الأزرق، وغيرهم»[١].

وما ذكره الخطيب من شيوخ أبي عبيد في الحديث لا يمثل إلا شيئاً قليلاً من العدد الكبير من الشيوخ الذين روى عنهم، فقد تتبعت شيوخ أبي عبيد في أربعة من مؤلفاته، وهي كتاب الأموال، وفضائل القرآن، والجزء الأول من غريب الحديث، والناسخ والمنسوخ في القرآن، فأحصيتُ أكثر من مئة وعشرين اسماً، لا يتسع المقام لذكرهم، ولكن نذكِّرُ كل مَن أراد أن يقف على شيوخ أبي عبيد أَلَّا يكتفي بكتب التراجم، وأن يبحث في مؤلفاته، فإنها أغنى مصدر في ذلك.

وذكر ابن درستويه شيوخ أبي عبيد في اللغة فقال: روى عن أبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة، والأصمعي، واليزيدي، وغيرهم من البصريين، وروى عن ابن الأعرابي، وأبي زياد الكلابي، وعن الأُموي، وأبي عمرو الشيباني، والكسائي، والأحمر، والفراء، من الكوفيين[٢].

وذكر ابن الجزري شيوخه في القراءة، فقال: «أَخَذَ القراءة عرضاً وسماعاً عن علي بن حمزة الكسائي، وشجاع بن أبي نصر، وسليمان بن حماد، وإسماعيل بن جعفر، وحجاج بن محمد، وهشام بن عمار، وعبد الأعلى بن مسهر، وسليم بن عيسى، ويحيى بن آدم»[٣].

وأخذ عن أبي عبيد عَدَدٌ من اللغويين والمحدِّثين وعلماء القراءة، وقد أحصيتُ أربعة وثلاثين ممن ورد ذكرهم في كتب التراجم، أكتفي بذكر أشهرهم هنا، قال ابن حجر: «روى عنه سعيد بن أبي مريم المصري، وهو من شيوخه، وعباس العنبري،

---

(١) تاريخ بغداد ٣٩٢/١٤.
(٢) ينظر المصدر نفسه ٩٢/١٤٢ والقفطي: إنباه الرواة ١٣/٣. وينظر أيضاً د. رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية ص ٢٣١ -٢٣٢.
(٣) غاية النهاية ١٨/٢.

http://www.al-maktabeh.com

وعباس الدوري، وعبد الله الدارمي، ومحمد بن إسحاق الصغاني، والحارث بن أبي أسامة، وعلي بن عبد العزيز، وابن أبي الدنيا، وأحمد بن يوسف التغلبي، ومحمد بن يحيى المروزي، وآخرون»[1]. وسوف أتحدث عن تلامذته في القراءة مفصلاً، إن شاء الله، في المبحث الثاني.

وقد اشتهر كثير من تلامذة أبي عبيد الذين لازموه، وأكثروا الأخذ عنه، قال القفطي: «وعادت بركة أبي عبيد، رحمه الله، على أصحابه، فكلهم نبغ في العلم واشتهر ذكره، وأُخذ عنه، وتصدر للإفادة»[2].

وأشهر من روى عن أبي عبيد ثلاثة، هم: علي بن عبد العزيز، وثابت بن أبي ثابت، مؤلف كتاب خَلْق الإنسان[3]، ومحمد بن وهب المسعري، فهم الذين رووا كتبه، وأخذها الناس عنهم، وقد اقتصر ابن النديم، على ذكرهم، حين تحدث عن أصحاب أبي عبيد[4].

رابعاً: علاقة أبي عبيد بمعاصريه

عاش أبو عبيد في عصر الازدهار العلمي والسياسي للدولة الإسلامية، فقد خرج لطلب العلم في خلافة هارون الرشيد، وعاصر خلافة الأمين والمأمون، وتوفي في خلافة المعتصم. كما عاصر كبار العلماء والفقهاء والتقى بهم، وكانت له علاقات ببعض الولاة والعلماء تكشف عن جانب مهم من حياته وشخصيته.

أما العلماء فإن أبا عبيد حضر بعض مجالس الشافعي ببغداد، وكان الشافعي يُجِلُّهُ[5]، ويُرْوَى أنهما تناظرا في القُرْءِ، فكان الشافعي يقول: إنه الحيض، وأبو عبيد يقول: إنه الطُّهْرُ، فلم يزل كل منهما يُقَرِّرُ قوله، حتى تَفَرَّقَا وقد انتحل كل واحد منهما مذهب صاحبه وتَأَثَّرَ بما أورده من الحجج والشواهد، قال السبكي: «وإنْ صَحَّتْ هذه الحكاية ففيها دلالة على عظمة أبي عبيد، فلم يبلغنا عن أحد أنه ناظر

---

(١) تهذيب التهذيب ٨/٣١٥.
(٢) إنباه الرواة ٣/٢١.
(٣) طبع في الكويت سنة ١٩٦٥م بتحقيق عبد الستار أحمد فراج.
(٤) الفهرست ص٨٧.
(٥) البيهقي: مناقب الشافعي ١/٢٦٨.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الشافعي، ثم رجع الشافعي إلى مذهبه»[1].

وكان أبو عبيد يُكِنُّ للشافعي أكبر تقدير، قال تلميذه علي بن عبد العزيز: «سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول: ما رأيت رجلاً قط أعقل ولا أورع ولا أفصح ولا أنبل رأياً من الشافعي»[2]. وكان يقول أيضاً: «كان الشافعي ممن يؤخذ عنه اللغة»[3]. وحملت هذه المنزلة أبا عبيد أن يسافر إلى مصر سنة ٢١٣هـ، وينسخ كتب الشافعي، على نحو ما سبق.

وكان الإمام أحمد بن حنبل أصغر سِنّاً من أبي عبيد، وهو مذكور في تلامذته، لكن أبا عبيد كان يجله وينزله منزلة الأستاذ، لعلمه وعلو منزلته في السُّنَّة وحفظها، وصبرِه على المحنة وصلابته فيها، وكان الإمام أحمد يُكِنُّ كل خير لأبي عبيد، فكان يقول: «أبو عبيد أُستاذ»[4]. ويقول: «أبو عبيد القاسم بن سلَّام ممن يزداد كل يوم عندنا خيراً»[5].

وكان أبو عبيد يزور الإمام أحمد في بيته، فيحتفي به ويكرمه[6]، وحين امْتُحِنَ الإمام أحمد بقضية خلق القرآن وسُجِنَ في أواخر خلافة المأمون وأشهراً من خلافة المعتصم وتعرض للضرب، وقف أبو عبيد مواسياً لصديقه، فكان يزوره في السجن ليسلم عليه[7]، وكان أبو عبيد يوم ضُرِبَ الإمام أحمد واقفاً بباب المعتصم، وهو يتحرَّق لهذه المصيبة، على نحو ما روى ابن الجوزي عن أبي شعيب الحراني، قال: «كنا مع أبي عبيد القاسم بن سلام بباب المعتصم، وأحمد بن حنبل يُضْرَبُ، قال: فجعل أبو عبيد يقول: أيُضْرَبُ سَيِّدُنا؟ لا صَبْرَ! أَيُضْرَبُ سيِّدنا؟ لا صَبْرَ»[8].

وكانت لأبي عبيد علاقة وثيقة بعبد الله بن طاهر بن الحسين، وهي علاقة ترجع بدايتها إلى والد عبد الله، فقد كان عبد الله بن طاهر معجباً بمؤلفات أبي عبيد،

---

(١) طبقات الشافعية ٢/١٥٩.
(٢) البيهقي: مناقب الشافعي ٢/٢٥١.
(٣) المصدر نفسه ٢/٤٤.
(٤) السبكي: طبقات الشافعية ٢/١٥٥.
(٥) الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/٤٠٦.
(٦) ينظر: الفراء: طبقات الحنابلة ١/٢٥٩، وابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد ص ١٥٢-١٥٣.
(٧) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد ص ٢٧٤.
(٨) المصدر نفسه ص ٤١٦.

http://www.al-maktabeh.com

وحمله ذلك الإعجاب على أن يجري له عشرة آلاف درهم في الشهر[1]، ولم تحمل أبا عبيد هذه الأيادي على إذلال العلم، فقد ذكر ياقوت الحموي أنه « قَدِمَ طاهر ابن عبد الله بن طاهر، وهو حَدَثٌ، في حياة أبيه يريد الحج، فنزل في دار إسحاق ابن إبراهيم، صاحب الشرطة ببغداد، فوجَّه إسحاق إلى العلماء، فأحضرهم ليراهم طاهر ويقرأ عليهم، فحضر أصحاب الحديث والفقه، وأُحْضِرَ ابن الأعرابي، وأبو نصر صاحب الأصمعي، ووجَّه إلى أبي عبيد القاسم بن سلام في الحضور، فأبى أن يحضر، وقال: العلم يُقْصَدُ »[2].

خامساً: مؤلفاته

كان أبو عبيد صاحب ذاكرة حافظة، وكان يقول: «ما كان عليَّ من حفظ خمسين حديثاً مؤونة»[3]، ومع أنه لم يكن ذا أسلوب أدبي خَلَّاب، لكنه كان يجيد التأليف، قال ابن راهويه: «ولم يكن عنده ذلك البيان، إلا أنه إذا وَضَعَ وَضَعَ»[4]. وكان أبو عبيد يُقَسِّمُ الليل أثلاثاً، فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويضع الكتب ثلثه[5]. قال ابن درستويه: «ورَوَى الناس من كتبه المصنفة بضعة وعشرين كتاباً في القرآن، والفقه، وغريب الحديث، والغريب المصنف، والأمثال، ومعاني الشعر، وغير ذلك. وله كتب لم يُرَوِّهَا، قد رأيتها في ميراث بعض الطاهريين تُبَاعُ كثيرة في أصناف الفقه كله»[6].

وأقدم قائمة لمؤلفات أبي عبيد جاءت في كتاب (الفهرست) لابن النديم، وهي تضم عشرين كتاباً[7]، وقد نقلها ياقوت[8]، والقفطي[9]، وابن خلكان[10]، والداودي[11]، والبغدادي[12]. وأورد بروكلمان قائمة استقصى فيها كتب أبي عبيد المخطوطة منها

(١) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٦، وياقوت: معجم الأدباء ٢١٩٩/٥.
(٢) معجم الأدباء ٢٢٠١/٥، وينظر: ابن الجوزي: صفة الصفوة ٣٢١/٢.
(٣) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص ١٩٩.
(٤) المصدر نفسه، وينظر: ياقوت: معجم الأدباء ٢١٩٩/٥.
(٥) الخطيب: تاريخ بغداد ٣٩٨/١٤، والقفطي: إنباه الرواة ١٨/٣.
(٦) الخطيب: تاريخ بغداد ٣٩٣/١٤.
(٧) الفهرست ص٧٨.
(٨) معجم الأدباء ٢٢٠١/٥.
(٩) إنباه الرواة ٢٢/٣.
(١٠) وفيات الأعيان ٦١/٤ و٦٢-٦٣.
(١١) طبقات المفسرين٣٤/٢.
(١٢) هدية العارفين ٨٢٥/١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

والمفقودة[1]، وهي قائمة نافعة على الرغم من أنه نسب إلى أبي عبيد بعض الكتب التي ليست له[2]. وهذه هي مؤلفات أبي عبيد مما صحت نسبته إليه، معتمداً فيها على المصادر التي ذكرتها، وما ورد في غيرها سوف أشير إليه في الهامش:

١. كتاب آداب الإسلام.
٢. كتاب الأحداث.
٣. كتاب أدب القاضي.
٤. كتاب أمالي أبي عبيد[3].
٥. كتاب الأمثال السائرة. مطبوع[4].
٦. كتاب الأموال، مطبوع[5].
٧. كتاب الأيْمَان والنذور[6].
٨. الحَجْرُ والتفليس.
٩. كتاب الحيض.
١٠. كتاب الشعراء.
١١. كتاب شواهد القرآن[7].
١٢. كتاب الطهارة.
١٣. كتاب عدد آي القرآن.
١٤. كتاب غريب الحديث، مطبوع[8].
١٥. كتاب غريب القرآن.
١٦. كتاب الغريب المصنف، مطبوع[9].

---

(١) تاريخ الأدب العربي ٢/١٥٦-١٥٩.
(٢) مثل (مقاتل الفرسان) و(فضائل الفرس) وكلاهما لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ينظر:البغدادي: هدية العارفين ٢/٤٦٧).
(٣) ذكره السيوطي في المزهر ٢/٣٢٣.
(٤) تحقيق د. عبد المجيد قطاش، دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٨٠.
(٥) طبعات كثيرة، منها بتحقيق خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت.
(٦) تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.
(٧) ذكره ابن خير في فهرسته ص٧١.
(٨) طبعات كثيرة، أولها بتحقيق محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.
(٩) طبعات كثيرة، منها بتحقيق د. محمد المختار العبيدي، دار سحنون، تونس ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

http://www.al-maktabeh.com

١٧. كتاب فضائل القرآن[١].

١٨. كتاب القراءات (سنتحدث في المبحث الثاني).

١٩. كتاب المجاز في القرآن[٢].

٢٠. كتاب المذكر والمؤنث.

٢١. كتاب معاني الشعر[٣].

٢٢. كتاب معاني القرآن، قال ابن مجاهد: «عَمِلَهُ إلى سورة طه»[٤].

٢٣. كتاب المقصور والممدود.

٢٤. كتاب المناسك[٥].

٢٥. كتاب مواعظ الأنبياء[٦].

٢٦. الناسخ والمنسوخ في القرآن، مطبوع[٧].

٢٧. كتاب النسب.

٢٨. كتاب النكاح[٨].

سادساً: من أقوال العلماء في أبي عبيد

حاز أبو عبيد ثقة العلماء من معاصريه وغيرهم، فكانت مؤلفاته مرغوبة، وأقواله مقبولة، قال الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ): «المقبول عند الكل أبو عبيد»[٩]. وهذه عدة أقوال للعلماء تبين مقدار ما بلغه أبو عبيد من الثقة والقبول:

---

(١) طبعات كثيرة، منها بتحقيق مروان العطية وصاحبيه، دار ابن كثير، دمشق ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

(٢) ينظر: الداودي: طبقات المفسرين ٢/ ٣٤.

(٣) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/٣٩٣.

(٤) كتاب السبعة ص ٣٩٦، ونقل منه الداني في جامع البيان في القراءات السبع ٣/١٣١٦.

(٥) ذكره البيهقي في مناقب الشافعي ٢/ ٣٢٨.

(٦) ابن خير: فهرسة ابن خير ص ٢٩١، وطُبِعَ كتاب الخطب والمواعظ لأبي عبيد بتحقيق د. رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.

(٧) نشره د. فؤاد سزكين في فرانكفورت بتصوير مخطوطة (أحمد الثالث) ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، وصدر بتحقيق محمد بن صالح المديفر، دار الرشد، الرياض.

(٨) ذكره امتياز علي عرشي في مقدمة كتاب (الأجناس من كلام العرب ص ١٧) نقلاً عن السندي في كتابه (حصر الشارد)، وكتاب (الأجناس) مستخرج من كتاب غريب الحديث وقام الرامفوري بنشره في الهند سنة ١٩٣٨م.

(٩) نقلاً عن الذهبي: معرفة القراء ١/٣٦٣.

مكتبة المهتدين الإسلامية

١. يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ): سئل عن الكتابة عن أبي عبيد والسماع منه، فتبسم، وقال: مثلي يُسأل عن أبي عبيد؟ أبو عبيد يُسأل عن الناس[١]. وقال عنه: ثقة[٢].

٢. ابن راهويه (إسحاق بن إبراهيم ت ٢٣٨هـ): قال: «أبو عبيد أوسعنا علماً، وأكثرنا أدباً، وأجمعنا جمعاً، إنا نحتاج إلى أبي عبيد، وأبو عبيد لا يحتاج إلينا»[٣]. وقال أيضاً: «يُحِبُّ الله الحق، أبو عبيد أعلم مني، ومن أحمد بن حنبل، ومحمد بن إدريس الشافعي»[٤].

٣. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ): ذكره الجاحظ في (كتاب المعلمين)[٥]، وقال: «ومن المعلمين، ثم الفقهاء والمحدِّثين، ومن النحويين، والعلماء بالكتاب والسنة والناسخ والمنسوخ وبغريب القرآن وإعراب القرآن، وممن قد جمع صنوفاً من العلم، أبو عبيد القاسم بن سلام، وكان مؤدِّباً لم يَكْتُبِ الناسُ أصحَّ مِن كتبه، ولا أكثر فائدة»[٦].

٤. أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ): سئل عنه فقال: «ثقة مأمون»[٧].

٥. ابن حبان (محمد بن حبان ت ٣٥٤هـ): «ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان أحد أئمة الدنيا، صاحب حديث وفقه وورع ودين ومعرفة بالأدب وأيام الناس، ممن جمع وصَنَّفَ واختار، وذَبَّ عن الحديث ونصره، وقمع مَن خالف وحاد عنه»[٨].

٦. أبو عمرو الداني (عثمان بن سعيد ت ٤٤٤هـ): قال عنه: «إمام أهل دهره في جميع العلوم، صاحب سنة ثقة مأمون»[٩].

---

(١) الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/ ٤٠٥.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه ١٤/٤٠٠، وابن الانباري: نزهة الأولياء ص١١٢.
(٤) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص ١٩٩.
(٥) ياقوت: معجم الأدباء ٢١٩٩/٥.
(٦) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص ١٩٩.
(٧) الخطيب: تاريخ بغداد ٤٠٦/١٤.
(٨) الفاسي: العقد الثمين ٢٤/٧.
(٩) الذهبي: معرفة القراء ٣٦١/١، وابن الجزري: غاية النهاية ١٨/٢.

http://www.al-maktabeh.com

المبحث الثاني

جهود أبي عبيد في دراسة القراءات

كان نصيب الدراسات القرآنية لدى أبي عبيد أكبر من غيرها، فالمؤلفات التي كَتَبَهَا في علوم القرآن تتناول موضوعات متعددة، وإنَّ نظرة واحدة إلى عناوين الكتب التي ألفها توضح ذلك، وأكتفي هنا بالإشارة إلى أسماء الكتب التي تتصل بدراسة القرآن الكريم:

١. كتاب فضائل القرآن.
٢. كتاب عدد آي القرآن.
٣. كتاب القراءات.
٤. كتاب معاني القرآن.
٥. كتاب غريب القرآن.
٦. كتاب المجاز في القرآن (إن صحت نسبته إليه).
٧. الناسخ والمنسوخ في القرآن.
٨. شواهد القرآن.

وليس الهدف في هذا البحث دراسة كل تلك الجهود، ولكني سوف أقتصر على تتبع جهود أبي عبيد في دراسة القراءات القرآنية، وهي جهود تتسم بالشمول لكل جوانب الموضوع، فلأبي عبيد عناية برواية القراءات وتعليمها، ثم التأليف فيها، وبلغ تَعَمُّقُهُ في دراسة القراءات حَدَّ اختيار قراءة رواها تلامذته عنه، وذكرها في كتابه الذي أَلَّفَهُ في القراءات، وهذا عرض لتلك الجهود.

أولاً: رواية أبي عبيد للقراءات ومعرفته بها

قراءة القرآن سُنَّةٌ يأخذها الآخِرُ عن الأَوَّلِ، وهذا أمر مقرر من زمن أصحاب رسول الله ﷺ، وقد رُوِيَ هذا القول عن عدد من الصحابة والتابعين، ذكر منهم ابن مجاهد[1]: عمر بن الخطاب (ت٢٣هـ)، وزيد بن ثابت (ت٤٥هـ)، وعروة بن الزبير

(١) كتاب السبعة ص ٤٩-٥٠.

مكتبة المهتدين الإسلامية

(ت ٩٣هـ)، ومحمد بن المنكدر (ت١٣٠هـ)، وعمر بن عبد العزيز (ت١٠١هـ)، وعامر بـن شـراحيل الشـعبي (ت١٠٣هـ)، وقد قال أبو عمرو الدانـي: «والأخبار الواردة عن السلف والأئمة والعلماء بهذا المعنى كثيرة»[1].

وكان أبـو عبيـد من أوائل الذيـن عُنُوا ببيان هذه الحقيقة، فعقد في كتابه (فضائل القرآن) باباً مستقلاً لتقريرها وتوضيحها، هو (باب عرضِ القراء القرآن وما يُسْتَحَبُّ لهم من أخذه عن أهل القراءة، واتباع السـلف فيها، والتمسـك بما تَعَلَّمَهُ به منهَا)[2]، وقـد أورد فيـه عدداً من الأحاديث والأخبار والأقـوال التي تبين حرص علماء القراءة على أخذها عمن هو أقدم منهم، فتابعو التابعين أخذوها عن التابعين، وهؤلاء أخذوها عن الصحابة، والصحابة تلقوها عن رسول الله ﷺ، الذي أُنزل عليه القرآن الكريم.

وقـد عَقَّبَ أبـو عبيد على ذلـك بقوله: «قال أبو عبيد: وإنما نـرى القراء عَرَضُوا القـراءة علـى أهـل المعرفـة بها ثم تَمَسَّـكُوا بما علمـوا منها مخافـة أن يزيغوا عن ما بين اللوحين بزيادة أو نقصان، ولهذا تركوا سائر القراءات التي تخالف الكِتَاب، ولم يلتفتـوا إلـى مذاهـب العربية فيها، إذا خالف ذلك خط المصحـف، وإن كانت العربية فيهـا أظهـر بياناً مـن الخط، ورأوا تتبع حروف المصاحف، وحفظها عندهم كالسـنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعداها. وقد وجدنا هذا المعنى في غير حديث مرفوع وغيـر مرفـوع.. حدثنـا حجاج، عن ابن أبي الزنـاد، عن أبيه، قال: قال لي خارجة بن زيـد، قـال لـي زيد بن ثابت: القراءةُ سُـنَّةٌ. قال أبو عبيد: فقـول زيد هذا يُبَيِّنُ لك ما قلنـا، لأنـه الذي وَلِيَ نَسْـخَ المصاحـف التي اجتمع عليها المهاجـرون والأنصار، فرأى اتباعها سُنَّةً واجبة....»[3].

وكان أبـو عبيد قد عاش سـنوات الطلب مـن حياته العلمية في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وهو القرن الذي عاش فيه القراء السبعة المشهورون في قراءة القرآن الكريم، وأدرك منهم الكسـائي (علي بن حمزة ت ١٨٩هـ) وأخذ عنه القراءة، وأدرك عدداً من تلامذة القراء السـبعة، وروى عنهم القراءة، وكان أبو عبيد حريصاً علـى روايـة القـراءات عن علمـاء القراءة في الأمصار الخمسـة المشـهورة في القرون

---

(١) جامع البيان ١/ ١٥٠.
(٢) فضائل القرآن ص ٣٥٧.
(٣) المصدر نفسه ص ٣٦١- ٣٦٢.

http://www.al-maktabeh.com

الأولى: مكة والمدينة والكوفة والبصرة ودمشق، وقد حفظت لنا المصادر أسماء أشهر أساتذته الذين أخذ عنهم تلك القراءات، على نحو ما ذكر أحمد بن أبي عمر الأندرابي (ت٤٧٠هـ) في كتابه (الإيضاح في القراءات العشر واختيار أبي عبيد وأبي حاتم)، فقد رُوِيَ عن علي بن عبد العزيز البغوي (ت ٢٨٧ هـ)، أحد أشهر تلامذة أبي عبيد، أنه قال: «حدثنا أبو عبيد بقراءة أهل المدينة، فقال: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن عيسى بن وردان، عن أبي جعفر بحروفه، قال: وحدثنا إسماعيل عن شيبة ونافع بحروفهما.

قال: وحدَّثنا بقراءة أهل مكة حجاج بن محمد، عن أبي عبد الله هارون بن موسى العتكي عنهم.

قال: وحدثنا بقراءة أهل الكوفة علي بن حمزة الكسائي، فذكر لنا أنه سمع ما كان من قراءة يحيى بن وثاب، عن زائدة بن قدامة يُحَدِّثُ عن الأعمش عن يحيى، وما كان من قراءة عاصم فإنه سمعه من أبي بكر بن عياش عنه، وما كان من قراءة حمزة فإنه سمعه منه، وما كان من قراءة الأعمش فإنه سمعه عن حمزة يُحَدِّثُ عنه.

قال: وحدثنا بقراءة أهل البصرة حجاج بن محمد، عن هارون بن موسى الأعور، عن أبي عمرو وابن أبي إسحاق، قال: وحدثنا أبو نعيم شجاع بن أبي نصر، عن أبي عمرو نفسه.

قال وحدثنا بقراءة أهل الشام عَمَّارٌ الدمشقي، عن أيوب بن تميم القارئ، عن يحيى بن الحارث، عن عبد الله بن عامر»[1].

وهذا النص مهم من ناحيتين: الأُولى أنه حدَّد القراءات المشهورة في زمن أبي عبيد في كل مصر من الأمصار الخمسة، والثانية أنه حَدَّدَ أساتذة أبي عبيد الذين أخذ عنهم القراءة، وهم الذين كان الداني قد ذكرهم بقوله الذي يرويه الذهبي: «قال أبو عمرو الداني: أخذ القراءة عرضاً وسماعاً: عن الكسائي، وشجاع بن أبي نصر،

(١) كتاب الإيضاح ص ٣٩٠-٣٩١، وينظر: كتاب (قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين) ص١٤٣- ١٤٥. وهو الباب الثاني والثلاثون من كتاب (الإيضاح) للأندرابي، الذي قام بتحقيقه ونشره الدكتور أحمد نصيف الجنابي.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وإسماعيل بن جعفر، وعن حجاج بن محمد، وعن أبي مسهر، وهشام بن عمار»[1] وهؤلاء هم المذكورون في النص السابق ما عدا أبا مسهر.

وقد بلغ مجموع من أخذ عنهم أبو عبيد القراءات تسعة، فقد زاد ابن الجزري ثلاثة أسماء أخرى على الذين سبق ذكرهم، وهذه هي أسماؤهم[2]:

١. إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير المدني، نزيل بغداد (ت١٨٠هـ).
٢. حجاج بن محمد، أبو محمد الأعور المصيصي الحافظ (ت٢٠٦هـ).
٣. سليم بن عيسى، أبو محمد الكوفي (ت١٨٨هـ).
٤. سليمان بن حماد (؟).
٥. شجاع بن أبي نصر، أبو نعيم البلخي ثم البغدادي (ت١٩٠هـ).
٦. عبد الأعلى بن مسهر، أبو مسهر الغساني الدمشقي (ت٢١٨هـ).
٧. علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ).
٨. هشام بن عمار، أبو الوليد الدمشقي (ت٢٤٥هـ).
٩. يحيى بن آدم بن سليمان، أبو زكريا الصلحي (ت٢٠٣هـ).

ولم يكتف أبو عبيد بتعلم القراءات، بل قام بتعليمها لتلامذته، وذكر ابن الجزري ثمانية من تلامذته الذين أخذوا القراءات منه ورووها عنه، وهم أولاء مرتبين على حروف المعجم[3]:

١. أحمد بن إبراهيم بن عثمان، أبو العباس الورَّاق، ورَّاق خلف (ت في حدود ٢٧٠هـ).
٢. أحمد بن الحسن بن عبد الله، أبو العباس المقرئ.
٣. أحمد بن يوسف التغلبي، أبو عبد الله البغدادي (ت٢٧٣هـ).
٤. ثابت بن عمرو بن حبيب بن أبي ثابت، ورَّاق أبي عبيد، وقد قرأ عليه اختياره[4].
٥. الحسن بن محمد بن زياد القرشي.
٦. علي بن عبد العزيز بن عبد الرحمن، أبو الحسن البغوي البغدادي، نزل مكة، قال

---

(١) معرفة القراء١/٣٦١.
(٢) ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ١٨/٢.
(٣) المصدر نفسه، وينظر: الذهبي: معرفة القراء ١/٣٦١.
(٤) ابن الجزري: غاية النهاية ١٨٨/١.

http://www.al-maktabeh.com

الداني: وهو من أجل أصحاب أبي عبيد وأثبتهم فيه[1]، (ت٢٨٧هـ).

٧. محمد بن أحمد بن عمر، أبو بكر البابي.

٨. نصر بن داود بن طوق أبو منصور الصاغاني (ت٢٧١هـ). قال ابن الجزري: «روى القراءة عن أبي عبيد القاسم بن سلام، وضَبَطَ عنه الوقف. قال الداني: وهو أجل أصحابه»[2].

وما اطلعنا عليه من كتب أبي عبيد يدل على معرفة تامة بالقراءات المروية، ولو وصل إلينا كتابه في (القراءات) لأغنى عن تكلف القول في التدليل على ذلك، وأكتفي هنا بمثال واحد من كتابه (الناسخ والمنسوخ في القرآن)، حيث ناقش أبو عبيد في بدايته القراءات الواردة في قوله تعالى:﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ البقرة:١٠٦، وقد استغرق ذلك حوالي ثماني صفحات من مخطوطة الكتاب، أقتصر منها على النصوص الآتية:

«حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد وعطاء قرآها: (ما نَنْسَخْ من آية أو نَنْسَأْهَا)».

أخبرنا علي[3]، قال: حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا حجاج عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن علي الأزدي، عن عبيد بن عمير الليثي: أنه قرأها كذلك (أو ننسأها).

قال أبو عبيد: فمن قرأ هذه القراءة التي قرأ بها عبيد بن عمير ومجاهد وعطاء وكثير من القراء، منهم أبو عمرو بن العلاء وغيره من أهل البصرة فإنهم يريدون بالنَّسْخِ ما نَسَخَهُ الله، عز وجل، لمحمد ﷺ، من اللوح المحفوظ، فأنزله عليه...»[4].

«قال أبو عبيد: وأما الذي نذهب إليه ونختاره فغير ذلك، وهو أن يكون المنسوخ ما تعرفه الأمة من ناسخ القرآن ومنسوخه، وتكون القراءة (أو نُنْسِهَا) بمعنى النسيان،

---

(١) ينظر المصدر نفسه ١/٥٤٩.

(٢) المصدر نفسه ٢/٣٣٥.

(٣) هو علي بن عبد العزيز تلميذ أبي عبيد، راوي الكتاب.

(٤) الناسخ والمنسوخ ص٧، وينظر ابن مجاهد: كتاب السبعة ص١٦٨.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وهـي قـراءة الأكابـر مـن أصحاب رسـول الله ﷺ، منهم أبي بن كعـب، وعبد الله بن مسـعود، وسـعد بـن أبـي وقاص، وعبـد الله بن عباس، علـى أنه قد اخْتُلِـفَ عن ابن عباس فيها.

وقرأ بها من التابعين سعيد بن المسيب، والضحاك بن مزاحم، وأهل المدينة وأهل الكوفـة... حدثنـا أبو عبيد، قال: حدثنا إسـماعيل بن جعفر، عـن أبي جعفر القارئ وشيبة بن نصاح، ونافع بن أبي نعيم أنهم قرؤوها: (أو نُنْسِهَا)، قال أبو عبيد: وكذلك قرأ الكوفيون»[1].

ثانياً: البحث في أصول القراءات:

كان أبو عبيد من الرواد الأوائل في كثير من المجالات العلمية، ونجده قد بحث في كتبـه قضايـا مهمة تتصل بأصـول القراءات وتاريخها، ولو جاءتنـا كتبه كاملة لجاءنا علـم كثيـر، وقـد لاحظتُ من النظر في كتبه الموجـودة، وفي الروايات المنقولة عنه، أنه كان أول من فَسَّـرَ الحديث النبوي الشـريف (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسـر منه) تفسـيراً واضحاً مُبَيَّناً بالأدلة والشـواهد، وكان أول من تكلم على أصول القراءة الصحيحة، أو أركان القراءة المقبولة، وهذا عرض موجز لما قاله أبو عبيد في هاتين القضيتين:

١. تفسير حديث (إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف):

درس أبـو عبيـد هذا الموضوع في كتابين مـن كتبه التي وصلت إلينا، وهما (غريب الحديث) و(فضائل القرآن)، ولا نعلم إن كان قد درسـه في كتابه في القراءات، وهذا الحديث الشـريف قد تواتر نقله من طرق كثيرة وروايات متعددة[2]، وهو أسـاس مهم في تاريـخ قـراءة القـرآن الكريم، وصَـرَفَ الباحثون من المتقدمـين والمتأخرين جهوداً كبيرة في تفسيره وبيان علاقته بقراءة القرآن، وكان أولهم - في ما اطلعت عليه - أبو

---

(١) الناسخ والمنسوخ ص٩-١٠.

(٢) ينظر تلك الروايات: أبو عبيد: فضائل القرآن ص ٣٣٤- ٣٣٩، وصحيح البخاري ص ٩٩٣ (باب أنزل القرآن على سبعة أحرف) رقم الحديث ٤٩٩٢ و٤٩٩٢، وصحيح مسلم ص ٣١٨ (باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف) رقم الحديث ٨١٨ و ٨١٩، والطبري: جامع البيان ١/٢١-٧١، ومكي: الإبانة ص٦٢-٦٩، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص٧٧-٨٩.

http://www.al-maktabeh.com

عبيد القاسم بن سلام، ولا نريد هنا أن نعرض كل ما قيل في هذا الحديث[1]، وإنما نكتفي بذكر تفسير أبي عبيد له.

قال أبو عبيد في كتابه (غريب الحديث): «قوله (سبعة أحرف) يعني سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، هذا ما لم نسمع به قط، ولكن نقول هذه اللغات متفرقة في القرآن، فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة أهل اليمن، وكذلك سائر اللغات، ومعانيها مع هذا كله واحدة... وليس يكون المعنى في السبعة الأحرف إلا على اللغات لا غير، بمعنى واحد، لا يختلف فيه حلال ولا حرام، ولا خبر ولا غير ذلك»[2].

وعقد أبو عبيد في كتابه (فضائل القرآن) باباً سماه (باب لغات القرآن وأيُّ العربِ نزل القرآنُ بلغته) أورد فيه روايات الحديث، ثم وَضَّحَ معنى السبعة فقال: «وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يُقْرَأُ على سبعة أوجه، هذا شيء غير موجود، ولكنه عندنا أنه على سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف منها بلغة قبيلة، والثاني بلغة أخرى سوى الأولى، والثالث بلغة أخرى سواهما، كذلك إلى السبعة، وبعض الأحياء أسعد بها من بعض، وأكثر حظاً فيها من بعض، وذلك بَيِّنٌ في أحاديث تترى...»[3].

٢. تقرير أركان القراءة الصحيحة:

قراءة القراءة سُنَّةٌ، يأخذها الآخِرُ عن الأَوَّل، لكن ليس كل ما رُوِيَ تجوز القراءة به، فقد وضع علماء القراءة ضوابط لتمييز القراءة الصحيحة من القراءة الشاذة، وجعلوا من شروط القراءة الصحيحة أن تتوفر فيها ثلاثة أركان هي: ثبوتها بالنقل الصحيح، وموافقة خط المصحف، وموافقة العربية، وتحدثوا كثيراً عن هذا الموضوع[4].

---

(١) راجع إن شئت ما ورد في كتابنا: رسم المصحف (ص١٣٠-١٥١)، ومحاضرات في علوم القرآن (ص ١٠٦- ١١٣).

(٢) غريب الحديث ٣/١٥٩-١٦١.

(٣) فضائل القرآن ص ٣٣٩.

(٤) ينظر: مكي: الإبانة ص ١٨ وأبو شامة: المرشد الوجيز ص١٧١-١٧٢، والزركشي: البرهان ١/٣٣١، وابن الجزري: النشر ١/٩، ومنجد المقرئين (له) ص ١٨، والسيوطي: الإتقان ١/٢١٠.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وليس من هدفي استعراض ما قالوه، فقد سبق أن تحدَّثتُ عن هذا الموضوع في بحوث سابقة[1]، ولكن ما أريد تقريره هو أن أبا عبيد كان أول مَن نَبَّهَ إلى أركان القراءة الصحيحة وأنه طَبَّقَهَا في دراسته للقراءات، إذ قد ذهب بعض المحدثين إلى أن ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) هو الذي وضع هذه الشروط أو الأركان للقراءة الصحيحة[2].

ولم أعثر على كلام أبي عبيد في هذا الموضوع في واحد من كتبه الموجودة، وإنما نقله أبو بكر بن الأنباري (ت٣٢٨هـ) في كتابه (إيضاح الوقف والابتداء). ويبدو أنه نقله من كتاب (القراءات) لأبي عبيد، كما يفهم من سياق الكلام.

فقد كان ابن الأنباري يتحدث عن هاء الوقف أو السكت في القرآن الكريم، وكيفية الوقف عليها، فقال: «وقوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾ (البقرة:٢٥٩) اختلف القراء في الهاء، فكان أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وابن كثير يثبتون الهاء في (يَتَسَنَّهۡ) إن وصلوا وإن قطعوا، وكذلك: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ (الأنعام:٩٠)، و﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ۝٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ﴾(الحاقة:٢٥و٢٦)، وكذلك ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ (القارعة:١٠)، وكان أبو عمرو يوافقهم في هؤلاء الحروف كلهن إلا في الحرف الذي في الأنعام فإنه كان يحذف الهاءَ منه في الوصل ويُثْبِتُهَا في الوقف، كذا ذكر أبو عبيد في كتابه»[3].

وقول ابن الأنباري في آخر هذا النص (كذا ذكر أبو عبيد في كتابه) يدل على أنه نقل الكلام السابق من كتاب (القراءات) لأبي عبيد، ثم مضى ابن الأنباري في ذكر مذاهب القراء في هذه القضية، ويختم كلامه بنقل نص عن أبي عبيد، وهو النص الذي تضمن الإشارة إلى أركان القراءة، قال ابن الأنباري: «وقال أبو عبيد القاسم أبي سلام الأَسَدِيُّ: الاختيار عندي في هذا الباب كله الوقوف عليها بالهاء بالتعمد لذلك، لأنها إذا أُدْمِجَتْ[4] في القراءة مع إثبات الهاء كان خلاف الكِتَاب، فإذا صار قارئها إلى السكت عندها على ثبوت الهاءات اجتمعت له المعاني الثلاثة وهي: أن

---

(١) ينظر: محاضرات في علوم القرآن ص١٣٤، ورسم المصحف ص١٣٣.

(٢) د. شوقي ضيف: مقدمته لكتاب السبعة، ص١٧.

(٣) إيضاح الوقف ١/٣٠٣-٣٠٤.

(٤) في إحدى نسخ كتاب إيضاح الوقف (أدرجت) ينظر ١/٢١١ هامش ٤.

http://www.al-maktabeh.com

يكون مصيباً في العربية، وموافقاً للخط، وغير خارج من قراءة القرّاء»[1].

وهذا النص غاية في الأهمية لأنه يشير إلى سبق أبي عبيد إلى تقرير أركان القراءة الصحيحة، ولأنه يدل على أن دراسة القراءات القرآنية كانت تخضع منذ وقت مبكر لضوابط علمية محددة، ولم يزد من تناول هذا الموضوع بعد أبي عبيد شيئاً يذكر، اللهم إلا في الشرح والتفصيل.

ثالثاً: كتاب (القراءات) لأبي عبيد:

كتاب (القراءات) واحد من مؤلفات أبي عبيد التي لم يبق لمخطوطاتها ذكر، فلم أعثر في فهارس المخطوطات التي اطلعت عليها على أي ذكر له، كما أني لم أَرَ أحداً أشار إلى وجود مخطوطة له، والكتاب مع ذلك ثابت النسبة إلى أبي عبيد، فقد ذكره أصحاب الفهارس وكتب التراجم، مثل ابن النديم[2]، والخطيب[3]، وابن خير[4]، وغيرهم[5]. وقد درسه كثير من العلماء ورَوَوْهُ، ونقل عنه عدد من المؤلفين واعتمدوا عليه في موضوع القراءات، وسوف أتحدث عمن روى الكتاب من العلماء، ثم أذكر من نقل منه واعتمد عليه.

أ. العلماء الذين رَوَوْا الكتاب:

احتفظت لنا المصادر بثلاث سلاسل من الأسانيد لرواية الكتاب وهي:

١. رواية أبي بكر محمد بن عمر الأموي الاشبيلي (ت٥٧٥هـ)، قال: «كتاب القراءات، لأبي عبيد القاسم بن سلام، رحمه الله: حدثني به شيخنا أبو الحسن شريح بن محمد المقرئ، رحمه الله، قراءة عليه وأنا أسمع، قال: حدثني به أبي رحمه الله،

---

(١) إيضاح الوقف ٣١١/١.
(٢) الفهرست ص٣٨و٧٨.
(٣) تاريخ بغداد ٣٩٤/١٤.
(٤) فهرسة ابن خير ص٢٣.
(٥) مثل: ياقوت: معجم الأدباء ٢٢٠١/٥، والقفطي: إنباه الرواة ٢٢/٣، وابن خلكان: وفيات الأعيان ٦٢/٤ والذهبي: معرفة القراء ٣٦٣/١، وابن الجزري: غاية النهاية ١٠٣/١ و٥٨٤، والداودي: طبقات المفسرين ٣٤/٢، والبغدادي: هدية العارفين ٨٢٥/١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

سماعاً، قال: سمعته على أبي جعفر أحمد بن محمد النحوي، في ربيع الأول من سنة ٤٣٤هـ، قال: أخبرنا به أبو الحسن علي بن حاتم بن محمد الصواف، قال: أنا أبو مروان عبد الملك بن بحر بن شاذان الجوهري، قال: أنا علي بن عبد العزيز، عن أبي عبيد القاسم بن سلام مؤلفه، رحمه الله»[١].

٣. رواية الحاكم النيسابوري (أبي عبد الله ت ٤٠٥هـ):

قال ابن الجزري: «محمد بن محمد بن الحسن أبو الحسن الكارزي، روى القراءات من كتاب أبي عبيد، عن علي بن عبد العزيز المكي، عنه. رواها عنه محمد بن عبد الله الحافظ الحاكم»[٢].

٤. رواية الحافظ السلفي (أبي طاهر أحمد بن محمد ت ٥٧٦هـ):

ذكر ابن الجزري أن السِّلفي سمع «من محمد بن محمد بن عبد الرحمن (أبي عبد الله المديني الأصبهاني)[٣] كتاب أبي عبيد في القراءات، بفوت من سورة ق.

أنا علي بن يحيى بن عبدكويه (الشرابي)[٤]، أنا الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ت٣٦٠هـ)[٥]، أنا علي بن عبد العزيز، عنه»[٦].

وهذه الروايات الثلاث تدل على اشتغال العلماء بدراسة الكتاب وروايته، وأنه كان موجوداً في القرن السادس الهجري، في بلدان المشرق الإسلامي وفي بلاد الأندلس أيضاً، وربما كان لا يزال موجوداً ومتداولاً في القرن السابع الهجري أيضاً، على ما سيرد عند الحديث عمن نقل من الكتاب.

ب. العلماء الذين نقلوا من الكتاب:

لم يصل إلينا شيء من كتب القراءات التي أُلِّفَتْ في القرن الثالث، لنرى فيها مقدار ما استفاده مؤلفوها من كتاب أبي عبيد، لكن الكتب التي وصلت إلينا وترجع

(١) فهرسة ابن خير ص٢٣.
(٢) غاية النهاية ٢/٢٣٩.
(٣) المصدر نفسه ٢/٢٤١.
(٤) المصدر نفسه ١/٥٨٤.
(٥) المصدر نفسه ١/٣١١.
(٦) المصدرنفسه ١/١٠٢.

http://www.al-maktabeh.com

إلى الحقبة التالية للقرن الثالث يتردد فيها ذكر أبي عبيد وكتابه، وسأذكر هنا مَنْ ذكر كتاب أبي عبيد ونقل منه.

١. الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري ت ٣١١هـ).

اعتنى الزجاج في كتابه (معاني القرآن وإعرابه) بذكر القراءات وتفسيرها، وكان يعتمد في إيرادها على كتاب أبي عبيد، فقد قال: «وأكثر ما أرويه من القراءة في كتابنا هذا فهو عن أبي عبيد، مما رواه إسماعيل بن إسحاق، عن أبي عبد الرحمن، عن أبي عبيد»[١]، وصرَّح الزجاج باسم أبي عبيد في عدة مواضع من كتابه[٢]. ويترجح لدي أنه ينقل من كتاب (القراءات) لأبي عبيد، لأنه المصدر الذي خصصه أبو عبيد لدراسة القراءات القرآنية.

٢. ابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى ت ٣٢٤هـ):

نقل ابن مجاهد في كتابه (السبعة في القراءات) من كتاب أبي عبيد، وذلك حيث قال: «وروى أبو عبيد، عن الكسائي، عن أبي بكر، عن عاصم، في كتاب القراءات: (لُدْني) بضم اللام وتسكين الدال، وهو غلط [٣]. وقال في كتاب المعاني الذي عمله الى سورة طه، عن الكسائي، عن أبي بكر، عن عاصم: (لَدْني) مفتوحة اللام ساكنة الدال. وقال حفص عن عاصم: (لَدُنِّي) مثل أبي عمرو وحمزة»[٤].

ونقل ابن مجاهد كثيراً من القراءات عن طريق أبي عبيد، وقد ذكر في باب الأسانيد أنه روى قراءة الكسائي بواسطة أبي عبيد، قال: «وأخبرني أحمد بن يوسف، عن أبي عبيد، عن الكسائي»[٥].

وكذلك قراءة أبي عمرو حيث قال: «وحدثنا أحمد بن يوسف عن أبي عبيد، عن

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٨٠.

(٢) ينظر: ١/ ٨١ و٣٥٣، و٤/ ٨٩ و٥/ ٢٢١، ويبدو أن قول الزجاج (٧٩/١): «أبو عبيدة لا يحكي إلا ما سمع، لأنه الثقة المأمون عند العلماء» إنما هو (أبو عبيد) وحصل تصحيف في الاسم، وذلك لأن الزجاج صرح بأنه يروي القراءات عن أبي عبيد لا عن أبي عبيدة.

(٣) قال أبو علي الفارسي في الحجة (هو غلط في الرواية لا من جهة اللغة ومقاييسها) ينظر: كتاب السبعة ص٣٩٦ هامش١.

(٤) السبعة ص ٣٩٦.

(٥) المصدر نفسه ص ٩٨.

مكتبة المهتدين الإسلامية

شجاع بن أبي نصر، عن أبي عمرو»[1].

وروى ابن مجاهد عن طريق أبي عبيد قراءات أخرى في كتابه، وإن لم يشر إلى ذلك في باب الأسانيد، مثل قراءة نافع، حيث قال: «وكذلك روى أبو عبيد، عن إسماعيل، عن نافع»[2]، وقراءة حمزة[3]، وقراءة ابن عامر[4] وغيرهم. ويترجح لديَّ أن ابن مجاهد كان ينقل هذه القراءات من كتاب أبي عبيد، لأنه صرَّح بالنقل عنه في أحد المواضع، ولأن من عادة المؤلفين إهمال التصريح بأسماء الكتب، ويكتفون بذكر المؤلف في كثير من الأحيان.

٣. ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ت ٣٢٨هـ):

ذكر ابن الأنباري أسانيد القراءات التي أوردها في كتابه (إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل) ومما قاله في ذلك: «وما كان فيه عن أبي عبيد القاسم بن سلام فحدثني به أبي، عن أبي منصور نصر بن داود بن طوق الصاغاني عنه»[5]. وقد تأكد أن ابن الأنباري كان يستخدم (كتاب القراءات) لأبي عبيد فقد صرح بذكره في أحد المواضع[6].

٤. أبو جعفر النحاس (أحمد بن محمد بن إسماعيل ت ٣٣٨هـ):

نقل النحاس في كتابه (إعراب القرآن) عشرات المرات من كتاب أبي عبيد، وصرح بذكره ثلاث مرات، ووصفه في إحداها بأنه (أصلٌ مِنَ الأصول)[7]، وأكثر منقولات النحاس هذه تدور حول اختيار أبي عبيد في القراءة، وسوف نشير إليها وننقل منها عند الكلام على ذلك الاختيار.

---

(١) المصدر نفسه ص١٠٠.
(٢) المصدر نفسه ص١٥٠، وينظر ص٣٢٥ و٤٨٥.
(٣) المصدر نفسه ص٦٤٦.
(٤) المصدر نفسه ص٣٢٥.
(٥) إيضاح الوقف ١/١١٥.
(٦) ينظر:المصدر نفسه ١/٣٠٤.
(٧) إعراب القرآن ٢/٥١٥، وينظر: ٢/٦٣٤، و٧٨١.

http://www.al-maktabeh.com

٥. أبو عمرو الداني (عثمان بن سعيد ت ٤٤٤هـ):

ذكر الداني كتاب أبي عبيد في نظمه المعروف باسم (المنبهة) عند ذكره للمؤلفين في القراءات، فقال[١]:

ثُمّتَ صَنَّف أبو عُبَيْـــدِ　　كتابَــهُ مُقَيَّـــداً بِقَيْـــدِ

مِن المعاني ومِنَ الإعرابِ　　فهو في الكُتْبِ كالشِّهَابِ

وليست بين أيدينا نسخة كاملة من (المنبهة)، كما لا تتيسر لدينا الآن نسخة من كتابه الكبير (الجامع في القراءات السبع المشهورة) لنطلع على مقدار ما استفاده الداني من كتاب أبي عبيد[٢].

٦. علم الدين السخاوي (أبو الحسن علي بن محمد ت ٦٤٣هـ):

نقل علم الدين السخاوي في كتابه (جمال القراء وكمال الإقراء)، الذي لا يزال مخطوطاً[٣]، نصاً بالغ الأهمية من كتاب أبي عبيد في القراءات، وهو يمثل مقدمة الكتاب على ما أرجح[٤]، وكنتُ قد عثرتُ على هذا النص في أثناء مراجعتي لكتاب (جمال القراء) منذ سنوات، وأوردت ذلك النص في كتاب (رسم المصحف)[٥]. ولا أجد ضرورة لإعادة نشره مرة أخرى هنا، وإنما أكتفي بالإشارة إلى محتواه.

يبدأ النص بـ «قال أبو عبيد القاسم بن سلام، رحمه الله، في كتاب القراءات له: هذه تسمية أهل القرآن من السلف على منازلهم». وبدأ بذكر النبي ﷺ، ثم ذكر من

(١) المنبهة ص ١٥١، البيت ٣٧٩ و٣٨٠.

(٢) ينبغي الإشارة هنا إلى أن الأرجوزة المنبهة قد طبعت كاملة، وكذلك حُقِّقَ كتاب (جامع البيان في القراءات السبع) للداني، وطُبِعَ أكثر من طبعة، وقد روى الداني عن أبي عبيد عدداً من القراءات في الكتاب (ينظر: جامع البيان ١/٧٦، و١/٨٢، و١/٨٣، و١/٨٤، و١/١٦٥، و١/٢١٨، و١/٢٧٩، و١/٢٨١، و١/٣٣٠، و١/٣٣٩، و١/٤٠٧...)، وصرح الداني بذكر كتاب أبي عبيد بقوله: «وكذلك ذكره أبو عبيد في كتابه»(ينظر: جامع البيان ٢/٨٦٨) وقال الداني (٢/٨٩٤): «ولم أجد ذلك في كتاب أبي عبيد»، وقال أيضاً (٣/١٣١٦): «وقال أبو عبيد في كتاب القراءات عنه عن أبي بكر يُشِمُّ اللام الضمة مع جزم الدال، وإشمام اللام خطأ منه، وقد قال في كتاب المعاني عن الكسائي عن أبي بكر بفتح اللام، وهو الصواب»، وصرح الداني بالنقل عن كتاب معاني القرآن لأبي عبيد في مواضع أخرى (ينظر: جامع البيان ٢/٨٦٠، و٢/٢٩٠).

(٣) كان مخطوطاً وقت إعداد هذا البحث، وقد حُقِّقَ وطُبِعَ أكثر من طبعة.

(٤) جمال القراء ١/٤٢٤.

(٥) رسم المصحف ص٦٣٩، وينظر: محاضرات في علوم القرآن ص ١٢٧-١٣٠.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الصحابة سبعة عشر صحابياً من المهاجرين، وستة من الأنصار، وثلاثاً من أزواج النبي ﷺ.

ثم ذكر القراء من التابعين من الأمصار الخمسة: المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام، فذكر خمسة وثلاثين، وذكر بعدهم علماء القراءة الذين اشتهروا بعد التابعين في الأمصار الخمسة، وهم خمسة عشر رجلاً، في كل مِصْرٍ ثلاثة، ومن بينهم القراء السبعة المشهورون، وبعض أساتذتهم أو تلامذتهم.

٧. أبو شامة المقدسي (عبد الرحمن بن إسماعيل ت ٦٦٥هـ):

وهو تلميذ علم الدين السخاوي، وقد نقل في كتابه (المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز) معظم النص السابق الذي نقله شيخه من قبل، لكنه مفرق في موضعين، ويبدو لي أنه لم ينقله عن كتاب (جمال القراء)، وإنما نقله من كتاب أبي عبيد مباشرة، وذلك لأنه أضاف إلى النص شيئاً جديداً، وهو تحديده موضع النص من كتاب أبي عبيد، قال في الموضع الأول: «وقد سَمَّى الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام أهل القرآن من الصحابة في أول (كتاب القراءات) له...»[1].

وقال في الموضع الآخر: «وقد ذكر الإمام أبو عبيد في أول كتابه في القراءات ما يُعَرِّفُكَ كيف كان هذا الشأن من أول الإسلام إلى آخر ما ذكره...»[2]. وقول أبي شامة: (في أول كتابه) يجعلنا نرجح أن هذا النص هو مقدمة الكتاب أو جزء منها.

وقد نقل الزركشي (ت ٧٩٤هـ) من النص المذكور أسماء القراء من الصحابة، وذلك عن طريق أبي شامة[3]، وكذلك فعل ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) والسيوطي (ت ٩١١هـ)[4]، لكنهما لم يُصَرِّحَا بالمصدر الذي نقلا منه، فإذا نقلا عن الكتاب مباشرة فإن ذلك يعني أن الكتاب لا يزال موجوداً حتى القرن التاسع والعاشر الهجريين.

وَتَسَرَّب النص المذكور إلى دراسات المحدثين عن طريق المتأخرين، كابن الجزري

---

(١) المرشد الوجيز ص٤٠. وقد ذكر بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي (١٥٨/٢) أن أبا شامة نقل النص في كتابه شرح الشاطبية أيضاً، وهو كذلك (ينظر: إبراز المعاني ص ٣-٤).

(٢) المرشد الوجيز ص١٦٣.

(٣) ينظر: البرهان ٢٤٢/٢.

(٤) ينظر: النشر ٨/١، والإتقان ٢٠٢/١.

http://www.al-maktabeh.com

والسيوطي، وقد ذهب بروكلمان إلى احتمال أن يكون النص منقولاً عن كتاب (فضائل القرآن) لأبي عبيد[1]، لكن خلو هذا الكتاب من النص، وروده منسوباً الى كتاب (القراءات) ينفي ما ذهب اليه بروكلمان.

وقد استخدم عدد من الذين كتبوا في (علوم القرآن) من المحدثين جزءاً من هذا النص، وهو المتعلق بأسماء الصحابة، وصرحوا بأن هؤلاء الصحابة الذين ذكرهم أبو عبيد كانوا من حفاظ القرآن، ومن ثمَّ راحوا يردون الأحاديث الواردة في عدد مَنْ حفظ القرآن من الصحابة[2]، وهذا وهمٌ ظاهر، لأن أبا عبيد لم يُرِدِ المعنى الذي ذهبوا إليه، إنما كان يذكر من نُقِل عنه شيء من وجوه القراءة من الصحابة.

هذه هي أهم الكتب التي نقلت من كتاب أبي عبيد، وهناك كتب أخرى يرد فيها اسم أبي عبيد، وتذكر اختياره في القراءة، لكنها لا تذكر اسم كتابه، وسوف نذكرها عند الحديث عن اختيار أبي عبيد، وإن كنت أرجح أن معظم ما نُقِلَ عن أبي عبيد في موضوع القراءات إنما هو من كتابه المؤلَّف فيها.

جـ. منهج أبي عبيد في كتاب (القراءات)، وأهميته:

كتاب أبي عبيد في (القراءات) أول كتاب جامع يُؤَلَّفُ في موضوعه في ما هو معروف، وغطت شهرته على المؤلفات التي سبقته، وقد قال ابن الجزري: «فكان أولَّ إمام معتبر جمع القراءات في كتابٍ أبو عبيد القاسم بن سلام، وجعلهم في ما أحسب خمسة وعشرين قارئاً»[3].

ولكي يتضح لنا منهج أبي عبيد في كتابه ينبغي علينا أن نميز بين مرحلتين من مراحل التأليف في القراءات، وهما مرحلة ما قبل ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، ومرحلة ما بعد ابن مجاهد، وذلك لأن ابن مجاهد كان قد رسم منهجاً سار عليه المؤلفون

---

(١) تاريخ الأدب العربي ١٥٨/٢.

(٢) ينظر: عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان ٢٣٥/١، ود. صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن ص٦٦ ود. محمد محمد أبو شهبة المدخل لدراسة القرآن ص٢٦٤، ومناع القطان: مباحث في علوم القرآن ص١٢٢.

(٣) النشر ٣٣/١-٣٤، وينظر أيضا: القسطلاني: لطائف الاشارات ٨٥/١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

من بعده إلى حد كبير، ذلك المنهج هو الاقتصار على قراءات سبعة من القراء، وقد قال ابن الجزري في وصف ابن مجاهد بأنه (شيخ الصنعة، وأول من سبَّع السبعة)[1]. وذكر ابن مجاهد في كتابه (السبعة) قراءة: نافع، وابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبي عمرو بن العلاء، وابن عامر. واقتدى المؤلفون بعد ابن مجاهد بصنيعه في الاقتصار على هؤلاء السبعة، وقصارى ما فعله بعضهم أن ضم إلى هؤلاء السبعة ثلاثة من القراء هم: أبو جعفر، ويعقوب، وخلف. وصارت القراءات الأخرى توصف بالشذوذ[2].

أما قبل ابن مجاهد فإن المؤلفين كانوا يحرصون على ذكر كل ما صح لديهم من قراءات، من غير تقيد بعدد معين، فأبو عبيد ذكر قراءة خمسة وعشرين قارئاً على ما رَجَّحَ ابن الجزري، وكذلك فعل معظم الذين أَلَّفُوا بعده حتى عصر ابن مجاهد، قال ابن الجزري بعد قوله السابق عن كتاب أبي عبيد: «وكان بعده أحمد بن جبير ابن محمد الكوفي، نزيل إنطاكية، جمع كتاباً في قراءات الخمسة، من كل مصر واحد، وتوفي سنة ثمان وخمسين ومئتين، وكان بعده القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي، صاحب قالون، أَلَّفَ كتاباً في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماماً، منهم هؤلاء السبعة، توفي سنة اثنتين وثمانين ومئتين، وكان بعده الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جمع كتاباً حافلاً سماه (الجامع)[3]، فيه نيف وعشرون قراءة، توفي سنة عشر وثلاثمائة...»[4].

ويترجح لدي ما ذكره ابن الجزري من أن كتاب أبي عبيد في القراءات جمع قراءة خمسة وعشرين قارئاً، لا سيما إذا قرأنا مقدمة الكتاب التي نقلها علم الدين السخاوي وأبو شامة المقدسي، وما ورد من إشارات عن الكتاب في (غاية النهاية في طبقات القراء) لابن الجزري يؤكد ذلك، فأبو عبيد ذكر قراءات القراء الذين جاءوا

---

(١) غاية النهاية ١/١٣٩، وينظر: النشر (له) ١/٣٤.

(٢) ينظر: محاضرات في علوم القرآن ص ١٤٣-١٤٧

(٣) ذكره الطبري في تفسيره (١٤٨/١)، وجاء في فهرس المكتبة الأزهرية أن المكتبة تحتفظ بمخطوطة من كتاب (الجامع في القراءات للطبري) رقمها: (١١٧٨) حليم ٣٢٨٦٧، وقد اطلعت على نسخة مصورة على المكروفلم من هذا الكتاب بدار الكتب المصرية، سنة ١٩٧٥م، فوجدت انه من تأليف أبي معشر الطبري (عبد الكريم بن عبد الصمد ت ٤٧٨هـ).

(٤) النشر ١/٣٤.

http://www.al-maktabeh.com

بعد التابعين، وهذان نصان مما نقله ابن الجزري من الكتاب، يدلان على ما قلناه:

١. وقال أبو عبيد في كتابه (القراءات): «ثنا أبو الأسود، عن ابن لهيعة، قال: سمعت أبا طعمة يقرأ: (على رفاريف خضر، وعباقريٍّ حسان) (الرحمن: ٧٦)، قال: وكان أبو طعمة (هلال مولى عمر بن عبد العزيز) من قراء المدينة»[١].

٢. قال أبو عبيد في كتابه (القراءات): «ثنا حجاج، عن هارون، أنا واصل مولى أبي عيينة، عن يحيى بن عقيل، قال: قرأت على أبي عبد الرحمن السلمي ويحيى بن يعمر، فما اختلفا إلا في حرفين، قال أبو عبد الرحمن: ﴿مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾ (نوح: ٢١) بفتح الواو، وقال ابن يعمر: (وَوُلْدُه) بضم الواو. وقال أبو عبد الرحمن: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ (المدثر: ٣٣)، وقال ابن يعمر: (إذا دَبَرَ)»[٢].

وأتوقع من خلال ما وردنا من نصوص من كتاب (القراءات) لأبي عبيد، ومن أقوال العلماء فيه أن الكتاب جمع معظم المادة المعروفة في موضوع القراءات القرآنية في عصر المؤلف، الذي توفي سنة ٢٢٤هـ، وقد أدرك عصر تابعي التابعين الذين ظهر من بينهم أشهر قراء القرآن الكريم الذين رووا القراءات عن سلفهم، ولا أظن أن ابن درستويه كان مبالغاً حين أظهر إعجابه بالكتاب بقوله: «وله في القراءات كتاب جيد، ليس لأحد من الكوفيين قبله مثله»[٣]، وكذا النحاس بقوله بأنه (أصل من الأصول)[٤].

رابعاً: اختيار أبي عبيد في القراءة

اعتنى أبو عبيد بالقراءات عناية كبيرة، فدرسها على علماء القراءة من شيوخه، وأقرأها لتلامذته، وأَلَّفَ فيها كتاباً كبيراً، وهو بعد ذلك له اختيار في القراءة شاع ذكره في كتب القراءات من بعده، والكلام على اختيار أبي عبيد يتطلب توضيحَ معنى (الاختيار) في القراءة، ثم نذكرُ اختيار أبي عبيد ومَنْ رواه عنه، ونُبَيِّنُ الأسس التي بنى عليها أبو عبيد اختياره.

---

(١) غاية النهاية ٢/٣٥٦-٣٥٧.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٣٧٥.

(٣) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/٣٩٤، والقفطي: إنباه الرواة ٣/ ١٥، والذهبي: معرفة القراء ١/٣٦٣.

(٤) إعراب القرآن ٢/٥١٥.

مكتبة المهتدين الإسلامية

١. معنى (الاختيار) والفرق بينه وبين (القراءة):

الاختيار في اللغة معناه الاصطفاء والانتقاء[١]، وهو يقتضي وجود عدة أشياء يُختار واحد من بينها، ومعنى الاختيار في الاصطلاح قريب من هذا المعنى، قال مكي: «وهؤلاء الذين اختاروا إنما قرؤوا لجماعة، وبروايات، فاختار كلٌّ واحدٍ مما قرأ وروى قراءةً تُنْسَبُ إليه بلفظ الاختيار»[٢].

وقول مكي هذا يعني أن الذي يختار قراءة لا بد أن يقوم أولاً بدراسة القراءات ومعرفة وجوهها على أيدي أساتذة القراءة، وبعد ذلك له أن يختار وجهاً من وجوه القراءة التي رواها، يتمسك به ويُقْرِئُهُ لتلامذته، فالأمر في الاختيار لا يخرج عن الرواية إلى اختراع قراءات جديدة، فالوجوه المروية في لفظة (الصراط) في فاتحة الكتاب مثلاً هي: أن تُلْفظ الكلمة بالصاد أو بالسين أو بالزاي، أو بإشمام الصاد صوت الزاي (وهو صوت الصاد المجهورة)[٣]، ولا تخرج القراءة في هذا الحرف عن هذه الوجوه الأربعة، وإنما يختار القارئ أحد تلك الوجوه لأمر يترجح لديه مثل موافقة خط المصحف، أو الشيوع في لغة العرب، أو التماثل الصوتي، وليس لأحد أن يأتي بوجه آخر لم ينقله علماء القراءة بزعم الاختيار، لأن الاختيار أساسه الرواية كما هو ظاهر من تأريخ القراءات، ولا تعني إضافة الاختيار إلى أحد علماء القراءة أنه اخترعه، وإنما هي كما قال الداني: «وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد»[٤].

وظاهرة الاختيار قديمة في القراءة، ترجع إلى عصر التابعين، أو أقدم من ذلك، فقد نقل ابن الجزري أن عبد الله بن عباس « كان يقرأ القرآن على قراءة زيد بن ثابت، إلا ثمانية عشر حرفاً، أخذها من قراءة ابن مسعود»[٥]. وكان القراء المشهورون الذين عاشوا في القرن الثاني يؤلفون قراءاتهم عن طريق الاختيار من القراءات التي أخذوها عن التابعين، فكان نافع بن عبد الرحمن المدني (ت ١٦٩هـ) قد قال بعد أن

---

(١) ينظر مادة (خير) في لسان العرب ٢٦٦/٤، وفي المعجم الوسيط ٢٦٣/١.
(٢) الإبانة ص٤٩.
(٣) ينظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص١٠٥.
(٤) جامع البيان ١٣٠/١، وينظر: ابن الجزري: النشر ٥٢/١.
(٥) غاية النهاية ٤٢٦/١.

http://www.al-maktabeh.com

ذكر من أخذ عنهم القراءات من شيوخه: «فنظرت إلى ما اجتمع عليه اثنان منهم فأخذته، وما شذَّ فيه واحد تركته، حتى أَلَّفْتُ هذه القراءة»[1]. و«كان علي بن حمزة الكسائي قد قرأ على حمزة ونظر في وجوه القراءات، وكانت العربية علمه وصناعته، واختار من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار مَن تقدَّم من الأئمة»[2].

وأشار ابن الجزري في كتابه (غاية النهاية في طبقات القراء) إلى كثير من أصحاب الاختيارات في القراءة، منهم يحيى بن المبارك اليزيدي (ت٢٠٢هـ)[3]، وخلف بن هشام (ت٢٢٩)[4]، وأبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت٢٥٥هـ)[5]، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠)[6]، وغير هؤلاء كثيرون.

ولم تستمر ظاهرة الاختيار، فقد تلاشت في بدء القرن الرابع الهجري، حين اختار ابن مجاهد قراءات القراء السبعة، وأَلَّفَ منها كتابه الكبير في القراءات السبع، ولم يختر ابن مجاهد قراءة تُنْسَبُ إليه، على عِظمِ قَدْرِهِ، وقد قال تلميذ ابن مجاهد أبو طاهر بن أبي هاشم: «سأل رجل ابن مجاهد: لِمَ لا يختارُ الشيخ لنفسه حرفاً يُحْمَلُ عنه؟ فقال: نحن أحوج إلى أن نُعْمِلَ أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا، أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به مَن بعدنا»[7].

أما الفرق بين القراءة والاختيار فيبدو أن القراءة كان يراد بها الطريقة التي يقرأ بها كل واحد من علماء الصحابة بالقراءة، مثل قراءة زيد بن ثابت، وقراءة أبي بن كعب، وقراءة عبد الله بن مسعود، وأن الاختيار هو تأليف علماء القراءة من التابعين قراءة من قراءات الصحابة، وتأليف علماء تابعي التابعين قراءة من قراءات التابعين بحيث لا يخرج أحد منهم على شيء مما رُوِيَ من قراءات الصحابة.

ويبدو أن إطلاق كلمة (قراءة) على اختيارات علماء القراءة الأوائل كان نوعاً من

---

(١) ينظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص٦٢.
(٢) المصدر نفسه ص٧٨.
(٣) غاية النهاية ٢/٣٧٦.
(٤) المصدر نفسه ١/١٠و٣٤و٤٣... الخ.
(٥) المصدر نفسه ١/٦ و٤٢٩، ٢/٣٩٤.
(٦) المصدر نفسه ٢/١٠٧.
(٧) ينظر: الذهبي: معرفة القراء ١/٥٣٧.

مكتبة المهتدين الإسلامية

التوسع أو التسامح في استخدام الكلمة، فقيل مثلاً: قراءة نافع، وقراءة الكسائي، وقراءة أبي عمرو، وقد وجدت ابن الجزري يستخدم أحياناً مصطلح (اختيار حمزة)[1]، و(اختيار نافع)[2]، و(اختيار أبي عمرو)[3]، و(اختيار الكسائي)[4]، ولكن غلب في الاستعمال أن تطلق كلمة (قراءة) على اختيارات القراء السبعة، وكان استخدام كلمة (اختيار) في قراءة خلف بن هشام، ويعقوب الحضرمي أكثر، فيقال: (اختيار خلف)[5]، و(اختيار يعقوب)[6]. أَمَّا المتأخرون من أصحاب الاختيارات فإن كلمة (اختيار) هي المستعملة، فيقال: اختيار أبي عبيد، واختيار أبي حاتم... وهكذا، لا سيما أنهم دَوَّنُوا اختياراتهم في كتبهم، واحتجوا لها.

ولا يزال موضوع الاختيار في القراءة، في ما أعتقد، بحاجة إلى دراسة أوسع مما أشرت إليه هنا، من حيث تحديد مفهوم الاختيار، وبيان أسسه، وتحديد أثره، وإحصاء أصحابه، لكنَّ ما ذكرتُهُ كافٍ في توضيح ما يتعلق بالكلام على اختيار أبي عبيد، إن شاء الله[7].

٢. اختيار أبي عبيد، ومن رواه عنه:

قال ابن الجزري عن أبي عبيد: «وله اختيار وافق فيه العربية والأثر»[8]، وقد سمَّى الذهبي اختيار أبي عبيد (قراءة)، فقال: «وله قراءة منقولة في كتاب (المنتهى) لأبي الفضل الخزاعي»[9]، لكن المشهور استعمال كلمة (اختيار).

وكان أبو عبيد قد ذكر اختياره في القراءة في كتابه الذي أَلَّفَهُ في القراءات، فكان

---

(١) غاية النهاية ٢٦٢/١.
(٢) المصدر نفسه ٢/٢.
(٣) المصدر نفسه ٣٥١/١.
(٤) المصدر نفسه ٢٦/٢.
(٥) المصدر نفسه ١٥٤/١ و٤٩/٢.
(٦) المصدر نفسه ٣٨٧/٢.
(٧) كتبتُ بحثاً عن (الاختيار في قراءة القرآن)، وهو منشور ضمن كتاب (أبحاث في علوم القرآن)، دار عمار، عمان ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٦م (ص ٣٥-٧١)، وكتب أمين بن إدريس بن عبد الرحمن فلاته رسالته للماجستير: (الاختيار عند القراء: مفهومه، مراحله، وأثره في القراءات) في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ١٤٢١هـ.
(٨) غاية النهاية ١٨/٢.
(٩) ينظر: الفاسي: العقد الثمين ٢٤/٧.

http://www.al-maktabeh.com

يذكر قراءات القراء، ثم يذكر اختياره، مع الاحتجاج له، وقد أشار إلى ذلك أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) في (الأرجوزة المنبهة) في الباب الذي ذكر فيه أصحاب الاختيار، حيث قال[1]:

٤٣٧. والقاسمُ الإمَامُ في الحروفِ أبُو عُبَيْد صاحبُ التصنيــفِ

٤٣٨. اختارَ مِنْ مذاهبِ الأئمــه ما قد فَشَا وصَحَّ عندَ الأُمَّــه

٤٣٩. وذاك في تصنيفهِ مُسَطَّــرُ مُـعَـلَّــل مُـبَـيَّــن مُــحَــرَّرُ

وكان أبو عبيد قد أقرأ باختياره بعضَ تلامذته، منهم ثابت بن أبي ثابت المشهور بـوَرَّاقِ أبـي عبيد، قال ابن الجـزري عنه: «قرأ عليه اختياره»[2]، كذلك قرأ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله أبو بكر البيساني على أبي عبيد باختياره[3]، وقرأه على أبي بكر البيساني هارون بن موسى الأخفش الدمشقي (ت٢٩٢هـ)[4].

وقـد أورد اختيـار أبـي عبيـد بعـض المؤلفين في كتـب القراءات، مثـل أبي الفضل محمد بن جعفر بن عبد الكريم الخزاعي (ت٤٠٨هـ)، في كتابه (المنتهى في الخمسة عشر)[5]، على نحو ما ورد في قول الذهبي الذي نقلناه في أول هذا الموضوع[6].

ومـن الكتـب التـي نقلـت اختيار أبـي عبيد كتـاب (الإيضـاح في القراءات العشـر واختيار أبي عبيد وأبي حاتم) لأبي عبد الله أحمد بن أبي عمر الأندرابي الخراساني المتوفى سنة ٤٧٠هـ[7]. وقد بقيت نسخة مخطوطة من هذا الكتاب تحتفظ بها مكتبة جامعة إستانبول، ومنها نسخة مصورة على الميكروفلم في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة[8]. لكن التصوير كان رديئاً، بحيث لا يمكن الاستفادة من النسـخة المصورة

(١) الأرجوزة المنبهة ص١٦١.
(٢) غاية النهاية ١/١٨٨.
(٣) المصدر نفسه ٢/٨٥.
(٤) المصدر نفسه ٢/٣٤٧.
(٥) ينظر عن الخزاعي وكتابه: المصدر نفسه ٢/١٠٩.
(٦) صـدر كتـاب المنتهـى بتحقيـق الدكتـور محمـد شـفاعت ربانـي عـن مجمـع الملـك فهـد لطباعـة المصحـف الشـريف في المدينـة المنـورة سـنة ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م.
(٧) ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ١/٩٣.
(٨) رقم (٩ قراءات وتجويد) في فهرس المخطوطات المصورة، الجزء الأول.

مكتبة المهتدين الإسلامية

بشكل كامل[1].

وكان الدكتور أحمد نصيف الجنابي قد حقق الباب الثاني والثلاثين من الكتاب ونشره بعنوان (قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين)[2]، وتمام عنوان الباب في المخطوطة هو (الباب الثاني والثلاثون في ذكر الأسانيد التي نقلت إلينا قراءات القراء...)[3].

وقد أورد أحمد بن أبي عمر مؤلف كتاب (الإيضاح في القراءات) إسناده الذي روى عن طريقه اختيار أبي عبيد، وهو ينتهي إلى ثابت بن أبي ثابت ورَّاق أبي عبيد، الذي ذكرنا قبل قليل أنه قرأ على أبي عبيد اختياره.

قال أحمد بن أبي عمر: «كان أبو عبيد إمام المسلمين في زمانه في علم القراءات والحديث والفقه والعربية، وله في كل نوع من ذلك كتب مصنفة مشهورة، مرضية عند العلماء، وكان ذا دين وصدق وورع واتباع، قد عَرَفَ وجوه القراءات، فاختار منها للعامة قراءة، أكثرها من الأئمة أهلاً[4]، وأعربها في كلام العرب لغة، وأصحها في التأويل مذهباً عنده، من غير أن يخالف في شيء من ذلك الأئمة الذين تقدَّم ذكرهم في الكتاب، واجتمع على ذلك لاختياره كثير من العوام[5] في كثير من أمصار المسلمين من وقته إلى وقتنا. قرأت القرآن كلَّهُ من أوله إلى آخره على الأستاذ الإمام أبي عبد الله الخبَّازي، وقرأ على... ثابت، ورَّاق أبي عبيد، عليه»[6].

٣. الأسس التي بنى عليها أبو عبيد اختياره:

إن الحديث عن أسس الاختيار أو المعايير التي اعتمد عليها أبو عبيد في اختياره يستلزم أولاً الاطلاع على الوجوه التي اختارها أبو عبيد ومعرفة احتجاجه لها، وكل ذلك مودع في كتابه الذي أَلَّفه في القراءات، فقد قال الداني عن اختيار أبي عبيد[7]:

---

(١) حققت الدكتورة منى عدنان غني قسم الأصول من الكتاب عن مصورة واضحة من مخطوطة إستانبول، في أطروحتها للدكتوراه في كلية التربية للبنات بجامعة تكريت سنة ٢٠٠٢م.

(٢) قامت بطبعه مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

(٣) الإيضاح ص ٣٣٣.

(٤) في قراءات القراء المعروفين (أصلاً)، والمناسب (أهلاً).

(٥) في قراءات القراء المعروفين: (العلوم) وهو غلط مطبعي في ما أعتقد.

(٦) الإيضاح ص ٣٩٠، وقراءات المعروفين ص١٤٢-١٤٣.

(٧) الأرجوزة المنبهة ص ١٦١.

http://www.al-maktabeh.com

وذاكَ في تصنِيفِهِ مُسَطَّرُ　　　مُعَلَّلٌ مُبَيَّنٌ مُحَرَّرُ

فاختياره مُسَطَّرٌ في الكتاب، مع بيان علل ذلك الاختيار. ولما كان الكتاب مفقوداً في الوقت الحاضر، فإن أهم طريق إلى معرفة اختيار أبي عبيد قد سُدَّتْ، ولَمَّا كان كتاب أبي عبيد هذا مُعْتَمَدَ كثير من الدارسين من المتقدمين فقد تسرب كثير من مادته إلى كتب القراءات وكتب إعراب القرآن ومعاجم اللغة، وستكون هذه الكتب وسيلتنا إلى التعرف على اختيار أبي عبيد.

ويتيسر من الكتب التي ذكرت اختيار أبي عبيد أو شيئاً منه أربعة كتب، هي:

١. إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) فقد نقل كثيراً من اختيار أبي عبيد مع ذكر احتجاجه في مواضع كثيرة.
٢. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، وقد أشار مكي إلى عدد من اختيارات أبي عبيد في القراءة.
٣. الإيضاح في القراءات العشر واختيار أبي عبيد وأبي حاتم، لأحمد بن أبي عمر الأندرابي، (ت ٤٧٠ هـ). نقل فيه المؤلف اختيار أبي عبيد مع وجوه القراءات التي ذكرها، والنسخة المصورة التي عندنا من هذا الكتاب صعبة القراءة في كثير من صفحاتها لرداءة التصوير، فلا يمكن الاعتماد عليها وهي بهذا الشكل في استخلاص اختيار أبي عبيد.
٤. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميري (ت٥٧٣هـ)، وهو معجم لغوي على طريقة الأبنية، ذكر فيه المؤلف عدداً من اختيارات أبي عبيد.

وقد لخص أبو عبيد الأسس التي بنى عليها اختياره في نص نقله الأندرابي، وهو: «قال أبو عبيد: إنما توخينا في جميع ما اخترنا[1] من القراءات أكثرها من

---

(١) في قراءات القراء المعروفين (ص١٤٥): (أخبرنا) ولم تنقط الباء في النسخة المخطوطة، وأرجح قراءتها بالتاء لأن آخر النص يدل على ذلك، ولأن الأندرابي قال (ص١٤٢ من قراءات القراء المعروفين):(فاختار منها للعامة قراءة أكثرها من الأئمة (أهلا)، وأعربها في كلام العرب لغة...) وهو يدل على ذلك أيضاً.

مكتبة المهتدين الإسلامية

القَرَأَةِ أهلاً[1]، وأعربها في كلام العرب لغة، وأصحها في التأويل مذهباً، بمبلغ علمنا، واجتهاد رأينا، والله الموفق للصواب، وذكر ما اختاره من أول القرآن إلى آخره»[2].

وإذا أضفنا قول أبي عبيد الذي نقله ابن الأنباري: «فإذا صار قارئها إلى السكت عندها على ثبوت الهاءات، اجتمعت له المعاني الثلاثة وهي: أن يكون مصيباً في العربية، وموافقاً للخط، وغير خارج من قراءة القراء»[3]، إلى قول أبي عبيد السابق تحصل من ذلك أربعة أسس بنى عليها أبو عبيد اختياره، وهي:

١. أن تكون القراءة موافقة لقراءة أكثر القراء.
٢. أن تكون موافقة لخط المصحف.
٣. أن تكون صحيحة في كلام العرب.
٤. أن تكون أصح مذهباً في التأويل (التفسير).

ويمكن أن نضيف أساساً خامساً وهو الحديث النبوي الشريف، فقد كان أبو عبيد يختار القراءات التي يُرْوَى في تعضيدها حديث عن رسول الله ﷺ أو خبر عن أصحابه -رضي الله عنهم-، وهذه أمثلة تُبَيِّنُ كيف استخدم أبو عبيد تلك الأُسس:

١. موافقة أكثر القراء:

أ. قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾(التوبة: ١٠٩): قرأ نافع وابن عامر بضم الهمزة وكسر السين من (أسس) ورَفْعِ نون (بنيانه)، والباقون بفتح الهمزة والسين ونصب النون[4]. قال النحاس: «وهو اختيار أبي عبيد لكثرة مَن قرأ به...»[5].

ب. قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾(الأنفال: ٦٧) قرأ أبو عمرو ويعقوب (تكون) بالتاء، والباقون (يكون)[6]، قال نشوان: «وهو اختيار أبي عبيد. قال

---

(١) في المطبوع (القراءة أصلا) والكلمة الثانية رُسِمَتْ في المخطوطة بالهاء هكذا (أهلا) وقد سها عنها المحقق، والكلمة الأولى رُسِمَتْ هكذا: (القراة) وأنا أرجح أن تُضْبَطَ (القَرَأَة) جمعاً لكلمة (قارئ)، لقول الأندرابي (ينظر الهامش السابق):(أكثرها من الأئمة أهلا)، فكلمة (القرأة) تقابل كلمة (الأئمة)، ولأن قصد أبي عبيد هو أن يكون أهل القراءة التي يختارها أكثر من أهل القراءة التي يتركها.

(٢) الإيضاح ص ٣٩١، والمطبوع منه (قراءات القراء المعروفين) ص١٤٥.

(٣) إيضاح الوقف والابتداء ١/٣١١.

(٤) ينظر: الداني: التيسير ص١١٩.

(٥) إعراب القرآن ٢/٤١.

(٦) ينظر: الداني: التيسير ص١١٧.

http://www.al-maktabeh.com

أبو عبيد: والياء أَحَبُّ إليَّ لكثرة أهل هذه القراءة...»[1].

جـ. قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾(الحديد:٨): قرأ القرَّاءُ غيرَ أبي عمرو بفتح الهمزة والخاء من (أخذ) ونصب القاف من (ميثاقكم)، وقرأ أبو عمرو وحده بضم الهمزة وكسر الخاء ورفع القاف[2]. قال النحاس: «غير أن أبا عبيد قال: والقراءة عندنا هي الأُولَى (وقد أخَذَ ميثاقكم) لأن الأُمَّة عليها ...»[3].

د. قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ (النور: ٢٣): قرأ مجاهد برفع (الحق) على أنه نعت لله عز وجل، قال أبو عبيد: «ولولا كراهة خلاف الناس لكان الوجه الرفع»[4].

٢. موافقة خط المصحف:

أ. قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾(مريم:١٩) قرأ أبو عمرو وورش (لِيَهَبَ) بالياء، والباقون بالهمزة (لِأَهَبَ)[5]. ونقل النحاس رأي أبي عبيد في الياء: «قال أبو عبيد: وهذا مخالف لجميع المصاحف كلها، قال: ولو جاز أن يُغَيَّرَ حَرْفٌ من المصحف للرأي لجاز في غيره، قال: وفي هذا تحويلٌ للقرآن حتى لا يُعْرَفَ المُنَزَّلُ منه من غيره»[6].

ب. قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (ق:٤١): قرأ عاصم والأعمش وحمزة والكسائي:(يومَ يُنَادِ المنادِ من مكان قريب) بغير ياء في الوصل والوقف، قال النحاس: «وهو اختيار أبي عبيد، اتِّبَاعاً للخط، وقد عارضه قوم فقالوا: ليس في هذا تغيير للخط...»[7].

٣. صحة الوجه في العربية:

أ. قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾(البقرة:٢٤٩): قرأ الكوفيون وابن

---

(١) شمس العلوم ٢٥٧/١.
(٢) ينظر: الداني: التيسير ص٢٠٨.
(٣) إعراب القرآن ٣٥١/٣.
(٤) المصدر نفسه ٤٣٦/٢.
(٥) الداني: التيسير ص١٤٨.
(٦) إعراب القرآن ٣٠٨/٢، ونقله نشوان في شمس العلوم (٧٣١٢/١١).
(٧) إعراب القرآن ٢٢٦/٣، وينظر أمثلة أخرى لموافقة الخط ٦٧٨/١ و٩٧/٢ و١١٣ و٧٨١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

عامـر بضـم الغـين من (غرفة) والباقـون بفتحها[1]. قال النحـاس: «واختار أبو عبيد (إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً) بضم الغين، قال: لأنه لم يقل: غَرَفَ، وإنما هو الماء بعينه»[2].

ب. قوله تعالى: ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾(الصافات:٨): قرأ سائر الكوفيين (يَسَّمَّعُونَ) على أن الأصل يستمعون، فأدغمت التاء في السين لقربها منها[3]. قال النحاس: «ومال أبو عُبَيْدٍ إلى هذه القراءة، واحتج في ذلك أن العرب لا تكاد تقول سمعت إليه، ولكن تَسَمَّعْتُ إليه...»[4].

جـ. قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ﴾(الحجر:٥٦): قرأ أبو عمرو والكسائي بكسر النون، والباقون بفتحها[5]. قال النحاس: «أبو عبيد القاسم بن سلام يختار قراءة أبي عمرو والكسائي في هذا، وزعم أنها أصح في العربية»، وقد رد النحاس على اختيار أبي عبيد هذا وقال: إنه ضَيَّقَ ما هو واسع في اللغة، وقال: لو كان الأمر كما قال لكانت القراءتان لحناً، وهذا شَيْءٌ لا يُعْلَمُ أنه يوجد أن يجتمعَ أهل الحرمين على شيء ثم يكون لحناً، ولا سيما ومعهم عاصم مع جلالته ومحله وعلمه وموضعه من اللغة[6].

٤. صحة التأويل (التفسير):

أ. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾(البقرة:١٦٥): قرأ أهل مكة وأهل الكوفة وأبو عمرو (يرى) بالياء، وهو اختيار أبي عبيد، وقرأ الباقون (ترى) بالتاء. قال النحاس: «زعم أبو عبيد أنه اختار القراءة بالياء لأنه يُروى في التفسير أن المعنى: لو يرى الذين ظلموا في الدنيا عذابَ الآخرة لعلموا أَنَّ القوة لله...»[7].

---

(١) الداني: التيسير ص٨١.
(٢) إعراب القرآن ٢٧٩/١.
(٣) الداني: التيسير ص١٨٦.
(٤) إعراب القرآن ٧٣٩/٢.
(٥) الداني: التيسير ص١٣٦.
(٦) إعراب القرآن ١٩٨/٢، وينظر أمثلة أُخرى: المصدر نفسه ١٧٣/١، ومكي: الكشف ١/ ٢٣٩ ونشوان: شمس العلوم ٧١٣٧/١١. ويستخدم نشوان أحياناً عبارة وهو (رأي أبي عبيد) (ينظر مثلاً ١٠٣/١ و١١٣ و٢٢٢... إلخ) وهو يريد (اختيار أبي عبيد)، وهو استخدام غير دقيق لأن كلمة (رأي) قد يُفْهَمُ منها معنى الاجتهاد المحض، وهو غير مقصود قطعاً من نشوان.
(٧) إعراب القرآن ٢٢٧/١، وينظر: مكي: الكشف ٢٧٣/١.

http://www.al-maktabeh.com

ب. قوله تعالى: ﴿نَكْتَلْ﴾(يوسف:٦٣): قراءة أهل الحرمين وأبي عمرو وعاصم بالنون، وقرأ الكوفيون (يكتل) بالياء، قال النحاس: «والأول اختيار أبي عبيد، ليكونوا كلهم داخلين في مَن يكتال...»[١].

جـ. قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾(البقرة:٢٥١): قرأ نافع (دِفَاعُ) والباقون (دَفْعُ)، وهو اختيار أبي عبيد وقال: «لأنَّ الله تعالى لا يُغَالِبُهُ أَحَدٌ»[٢].

٥. الاحتجاج بالحديث:

أ. قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة:١٢٥): قرأ نافع وابن عامر (واتَّخَذُوا) بفتح الخاء، والباقون بكسرها[٣]، وهو اختيار أبي عبيد، لرواية جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قرأ الآية، قال أبو عبيد: «فلا أَعْلَمُهُ قرأَهَا في حديثه إلَّا بكسر الخاء»[٤].

ب. قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ (المائدة:٤٥) قرأ الكسائي (والعينُ بالعينِ) وما بعده بالرفع، ورفع ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو (الجروح) فقط، وقرأ الباقون كُلَّ ذلك بالنصب[٥]. وقد روى أبو عبيد حديثاً عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قرأ: (والعينُ بالعينِ) بالرفع[٦]. وهو اختيار أبي عبيد، قال الترمذي: «وهكذا قرأ أبو عبيد (والعينُ بالعين) اتِّبَاعاً لهذا الحديث»[٧].

جـ. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾(النحل:٢٨): قرأ حمزة بالياء، والباقون بالتاء، واختار أبو عبيد القراءة بالياء، لقول ابن مسعود: (ذَكِّرُوا الملائكة)[٨].

---

(١) إعراب القرآن ١٤٧/٢.
(٢) المصدر نفسه ٢٨٠/١.
(٣) الداني: التيسير ص٧٦.
(٤) ينظر: مكي: الكشف ٢٦٤/١.
(٥) الداني: التيسير ص٩٩.
(٦) ينظر: النحاس: إعراب القرآن ٤٩٩/١.
(٧) جامع الترمذي ص ٤٨٦ رقم الحديث ٢٩٢٩.
(٨) ينظر: مكي: الكشف ٣٧/٢، وينظر أيضاً: النحاس: إعراب القرآن ٣٢٧/١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

٤. مذهب أبي عبيد في اختياره:

كان أبو عبيد كوفيَّ النزعة في النحو، أما اللغة فإنه أخذها عن علماء الكوفة والبصرة[١]، وأما الفقه فإنه « كان يجتهد ولا يُقَلِّدُ أحداً، ويُذْكَرُ في طبقة الشافعي وأحمد وإسحاقَ (بنِ راهويه)»[٢]. وكان له أتباعٌ تفقهوا على مذهبه، وكانوا يُفْتُونَ الناس عليه[٣].

وأما اختياره في القراءة فإنه لم يتقيد بقراءة بلد أو قارئ معين، على ما يبدو، وإنما كان يختار من القراءات ما يراه أصحَّ في العربية وأكثرَ شيوعاً بين القراء، وأوفقَ لخط المصحف، وأصحَّ في التأويل، على نحو ما سبق، لكن نجد أحمد بن أبي عمر الأندرابي يسلكه في قراء الكوفة، فقد قال في الباب الثالث والثلاثين من كتابه (الإيضاح): «في ترجمة أَسامي ذوي الاختيار على سبيل الاختصار: واعلم بأني أقول في أبي جعفر وشيبة ونافع معاً مدنيٌّ، وفي ابن كثير وابن محيصن معاً مكيٌّ، وفيها وفي مدني: حجازيٌّ، وإن شئت قلت: حرميٌّ، وفي ابن عامر شاميٌّ، وفي أبي عمرو ويعقوب وسهل بصريٌّ، وفي حمزة والكسائي اثنان، وفيهما وفي خلف ثلاثة، وفيهم وفي أبي عبيد: كوفيٌّ غير عاصم، وفيهم وفي عاصم: كوفيٌّ. وفي كوفيٍّ وبصريٍّ: عراقيٌّ»[٤].

ومع ملاحظة ميل أبي عبيد إلى روايات علماء الكوفة في القراءة، لكنه في أحيان كثيرة كان يختار قراءة غيرهم، إذا كانت أكثر مطابقة للمقاييس التي يعتمد عليها في اختياره، وهذه ثلاثة أمثلة خالف فيها أبو عبيد قراء الكوفة: عاصم وحمزة والكسائي، وهي على سبيل التمثيل، وغيرها كثير.

١. قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا ﴾ (البقرة:٥١) قرأ أبو عمرو وحده (وَعَدْنَا) والباقون بالألف، وأبو عبيد يختار قراءة أبي عمرو، لأن المواعدة إنما تكون من

(١) الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/٣٩٣.
(٢) الذهبي: معرفة القراء ١/٣٦٢.
(٣) ينظر: السبكي: طبقات الشافعية ٢/١٨٧ و٢/٢٧٣.
(٤) كتاب الإيضاح ص ٣٩٧.

http://www.al-maktabeh.com

البشر[1].

٢. قوله تعالى: ﴿أَن يُصْلِحَا﴾(النساء:١٢٨)، قرأ الكوفيون (يُصْلِحَا) والباقون (يَصَّالَحَا)، وهو اختيار أبي عبيد[2].

٣. قوله تعالى: ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾(المائدة:٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (إن) بكسر الهمزة، وهو اختيار أبي عبيد والباقون بفتحها[3].

---

(١) ينظر: النحاس: إعراب القرآن ١/١٧٣، والداني: التيسير ص٧٣.

(٢) ينظر: مكي: الكشف ١/٣٩٥، والداني: التيسير ص٩٧.

(٣) ينظر: النحاس: إعراب القرآن ١/٤٨٠، والداني: التيسير ص٩٨.

مكتبة المهتدين الإسلامية

خاتمة

أرجو أن يكون هذا البحث قد أعطى فكرة عن حياة أبي عبيد القاسم بن سلام ونشاطه العملي، وجهوده في دراسة القراءات، وينبغي أن أشير إلى أن جوانب من الموضوع لا تزال بحاجة إلى دراسة وهي[1]:

١. استقصاء شيوخ أبي عبيد وتلامذته.

٢. موضوع الاختيار في القراءة وأثره.

٣. وضع معجم لاختيار أبي عبيد في القراءة.

٤. نشر النصوص المتبقية من كتاب أبي عبيد في القراءات، لا سيما مقدمة الكتاب التي ورد بعض أجزائها في كتاب (جمال القراء) لعلم الدين السخاوي، و(الإيضاح في القراءات العشر) لأحمد بن أبي عمر الأندرابي، إلى جانب بعض الفصول المتعلقة بقراءة القرآن الواردة في كتابه (فضائل القرآن) مثل (باب لغات القرآن، وأيُّ العرب نزل القرآن بلغته)، و(باب عرض القرآن وما يُسْتَحَبُّ لهم من أخذه عن أهل القراءة واتباع السلف فيها، والتمسك بما يعمل به منها)، فإن هذه النصوص وردت فيها مادة يحتاج إليه الباحثون في القراءات القرآنية.

ولم يمنعنا أن نستوفي دراسة هذه الموضوعات في هذا البحث إلا ما نشعر به من أخذ حجماً لا يسمح بالزيادة عليه، وأرجو من الله تعالى أن تتيسر لي فرصة أخرى أتمكن فيها من القيام بذلك.

وأختم هذا البحث والرجاء غير منقطع من العثور على نسخة مخطوطة من كتاب (القراءات) لأبي عبيد، فكم من الكتب ظُنَّ أنها مفقودة وعثر على مخطوطات

---

(١) مرت ثلاثون سنة على نشر هذا البحث في سنة (١٩٨٦م)، وقد كُتِبَتْ خلالها بحوث استوفت الجوانب المذكورة في خاتمة هذا البحث، ومما وقفت عليه منها:
جهود الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام في علوم القراءات وتحقيق اختياره في القراءة، لأحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، بيروت ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.
كتاب القراءات لأبي عبيد القاسم بن سلام: جمع ودراسة، للدكتور جاسم الحاج جاسم محمد الدليمي، ديوان الوقف السني، بغداد ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

http://www.al-maktabeh.com

لهـا، وأعتقـد أن العثـور على ذلك الكتاب سـوف يُجَلِّي أهم حقبة من تاريخ القراءات القرآنية، وهي حقبة القرنين الأول والثاني الهجريين، والحمد لله الذي وفقني لكتابة هذه الصفحات، وأدعوه أن يغفر لي ما قد يكون فيها من زلل، وأن يكتب الرحمة على القاسـم بن سـلام، بقدر ما خدمت كتبه طلاب العلم ونفعت المسـلمين، والله حسـبنا ونعم الوكيل.

(٤)

كتاب القراءات لأبي حاتم السجستاني

تعريفٌ به، وبيانٌ لمنهجِه، وتحقيقُ بعضِ نصوصهِ[١]

مقدمة

الحمدُ للّهِ رَبِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وعلى آلهِ وصحابتهِ أجمعين، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، وبعد

فإن التأليف في علم القراءات القرآنية بدأ في وقت مبكر من تاريخ نشأة العلوم الإسلامية، فمن المصادر ما نَسَبَ كتاباً في القراءات إلى يحيى بن يعمر العدواني البصري، المتوفى سنة ٩٠هـ، ومن المؤكد أَنَّ كتاب القراءات الذي أَلَّفَهُ أبو عُبَيْدٍ القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ، ووصفه بعض المؤرخين بأنه أول كتاب جامع أُلِّفَ في القراءات، لم يكن الكتاب الوحيد حتى ذلك التاريخ، فهناك العشرات من الكتب المؤلفة في قراءة واحدة أو أكثر، مِن القراءات المشهورة في القرن الأول والقرن الثاني الهجريين.

وكانت القراءات القرآنية في تلك الحقبة كثيرةَ العدد، فقد كان في كل مصر من الأمصار الإسلامية الكبرى: مكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، والشام، عدد من القراء، يتصدرون لتعليم الناس القرآن، وقد أدت ظاهرة الاختيار في القراءة إلى ظهور عدد من القراءات التي تُنْسَبُ إلى القراء المشهورين آنذاك، ترجع أصولها إلى ما تلقاه التابعون عن علماء الصحابة من قراءات، ولم تكن الكتب التي أُلِّفَتْ في القراءات القرآنية في القرون الثلاثة الهجرية الأولى تتقيد بذكر عدد محدد من القراءات، فقد أشار ابن الجزري إلى أن كتاب أبي عُبَيْدٍ تضمن نحواً من خمس وعشرين قراءة، وأَنَّ إسماعيل القاضي جَمَعَ في كتابه في القراءات قراءة عشرين قارئاً، وأن محمد بن جرير الطبري ذكر نَيِّفاً وعشرين قراءة في كتابه في القراءات[٢].

---

(١) منشور في مجلة آداب الفراهيدي التي تصدرها كلية الآداب في جامعة تكريت، العدد (٢١) آذار ٢٠١٥م.

(٢) ينظر: النشر ١/٣٤.

http://www.al-maktabeh.com

وكان ابن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ) أستاذُ الأستاذين وشيخُ مشايخ المقرئين في زمانه، الذي غَطَّتْ شُهْرَتُهُ الآفاق، قد أَلَّفَ عدداً من الكتب في القراءات القرآنية، أشهرها كتابانِ كان لهما أكبرُ الأثر في دراسة القراءات وروايتها، الأول: كتابُ السبعة، الذي جمع فيه قراءات القراء السبعة الذين اشتهرت قراءتهم في الأمصار الخمسة، والثاني: كتاب شواذ السبعة، الذي ذكر فيه قراءات ما عدا القراء السبعة، وتَقَرَّرَ عند المشتغلين بالقراءات القرآنية، بعد ابن مجاهد، أَنَّ القراءات السبع هي القراءات الصحيحة المتواترة، وأن ما عداها صار يُعَدُّ شاذاً.

واقتدى بابن مجاهد علماءُ القراءة الذين جاءوا بعده، فمنهم مَن أَلَّفَ في قراءات القراء السبعة، ومنهم مَن أَلَّفَ في ما شَذَّ عن السبعة، واشتهرت كتب القراءات السبع، التي أُلِّفَتْ بعد ابن مجاهد، وزاد بعض المؤلفين ثلاثَ قراءاتٍ على السبع، لشهرتها وعلو سند أصحابها، واشتهرت بعد ذلك باسم القراءات العشر، وعُدَّ ما عداها شاذاً، وكادت تُنْسَى الكتب الأولى المؤلفة في علم القراءات، وقَلَّتْ نسخها، ثم فُقِدَتْ في القرون المتأخرة، وهي تمثل أصول هذا العلم، والوقوف عليها ضروري للتعرف على تاريخ علم القراءات، ومناهج التأليف فيه، وأصول القراءات السبع أو العشر التي اشتهرت بعد عصر ابن مجاهد، وترجع في مادتها إلى القراءات الأولى.

وكانت كتب القراءات الأولى المؤلفة قبل ابن مجاهد قد لَفَتَتْ نظري منذ مدة طويلة، وصِرْتُ أَتَتَبَّعُ أخبارَ بعضها، وكتبتُ عدداً من البحوث التي تُعَرِّفُ بها، مثل كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ[1]، وكتاب إسماعيل بن إسحاق القاضي المتوفى سنة ٢٨٢هـ[2]، وكان من بين تلك الكتب كتاب أبي حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ، الذي فُقِدَتْ نُسَخُهُ الخطية، وتناثرت أخباره في ثنايا الكتب، واشتهر اختيار أبي حاتم في القراءة، وتناقلته بعض كتب القراءات، مثل كتاب الغاية لابن مهران، وكتاب المنتهى للخزاعي، وكتاب الإيضاح للأندرابي، وكتاب الكامل

(١) ضمن البحث الموسوم: أبو عبيد بن سلام البغدادي: حياته وجهوده في دراسة القراءات، منشور في مجلة كلية الشريعة، بجامعة بغداد، العدد التاسع ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م (ص ١٥١-٢١١)، (وهو أحد فصول هذا الكتاب).

(٢) ضمن البحث الموسوم: إسماعيل القاضي البغدادي المالكي، وكتابه في القراءات القرآنية، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية (ملحق العدد الثالث والعشرين الخاص ببحوث مؤتمر القراءات القرآنية، الذي عقد في بغداد ٢٤/١٠/٢٠١٠م)، برعاية ديوان الوقف السني بغداد ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م (ص١٦٩-١٩١).

مكتبة المهتدين الإسلامية

للهذلي، لكن كتابه في القراءات لا يكاد الدارس يجد له ذكراً.

وكنت أقف عند كل إشارة تتعلق بذلك الكتاب، على قلتها وندرتها، وأحاول ضمها إلى نظيرتها، في محاولة لإلقاء الضوء على الكتاب، والتعريف بموضوعه، والكشف عن منهجه، لكني لم أجدها كافية لتدوينها ونشرها، حتى وقفتُ على نصوص كاملة من الكتاب في أحد الكتب التاريخية التي لم تكن تلفت نظر الدارسين للقراءات القرآنية، وهو كتاب (التدوين في أخبار قزوين) للإمام عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني، المتوفى سنة (ت٦٢٣هـ)، فقد ذكر المؤلف أن الحسن ابن علي بن نصر، أبا علي الطوسي (ت٣٠٨هـ)، رَوَى كتاب القراءات لأبي حاتم السجستاني، ونَقَلَ أكثر من عشرين نصاً منه، عند ترجمته للعلماء الذين سمعوا الكتاب منه، وتتميز هذه النصوص بأنها منقولة نقلاً حرفياً من الكتاب، مما يعطي فكرةً أكثر دقة عن موضوعه ومنهجه، ووقفت أيضاً على عدد من النصوص المنقولة من كتاب أبي حاتم في كتاب (معاني الأحرف السبعة) لأبي الفضل الرازي المتوفى سنة ٤٥٤هـ، الذي طُبِعَ مؤخراً.

وحملني ذلك على جَمْعِ ما كنتُ قد وَقَفْتُ عليه من أخبار ونصوص تتعلق بكتاب أبي حاتم في القراءات إلى ما ورد في كتاب التدوين وكتاب معاني الأحرف السبعة، للتعريف بموضوع الكتاب ومنهجه، على نحو ما فعلتُ بكتابَيّ أبي عبيد وكتاب إسماعيل القاضي من قبل، وحين تتبعت ما كُتِبَ من دراسات عن جهود أبي حاتم في القراءات وقفتُ على رسالة علمية[1] عنوانها: (أبو حاتم السجستاني والدراسات القرآنية: قراءةً وتوجيهاً وإعراباً للقرآن الكريم)، تناولتْ فيها كاتبتها اختيارَ أبي حاتم في القراءة، وجهودَهُ في القراءات الشاذة وتوجيهها، وأَثَرَ أبي حاتم في مَن جاء بعده، وقد أحْسَنت في تناول تلك الموضوعات، لكنها لم تَخُصَّ كتاب أبي حاتم في القراءات بدراسة مفصلة تُبَيِّنُ موضوعه، وتُوَضِّحُ منهجه، ووقعتْ في وَهْمٍ حينَ نَسَبَتْ لأبي حاتم كتابين في القراءات: أحدهما في القراءات الصحيحة المشهورة، والثاني في

(١) كتبتها السيدة يسرى محمد ياسين الغباني، في جامعة أم القرى في مكة المكرمة سنة ١٤٠٩هـ، للحصول على شهادة الماجستير، بإشراف الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، وهي تتألف من ثلاثة أبواب، الأول: القراءات الصحيحة وجهود أبي حاتم تجاهها (رواية وتوجيهاً لبعضها)، والثاني: جهود أبي حاتم تجاه القراءات الشاذة، والثالث: تأثر أبي حاتم بالسالفين وأثره في الخالفين، وتقع الرسالة في (٥٤٢ صحيفة).

http://www.al-maktabeh.com

القراءات الشاذة، وإذا صَحَّ أن لأبي حاتم كتابين في القراءات فإن أحدهما ذَكَرَ فيه القراءات عامة (صحيحها وشاذها)، وهو الكبير، والثاني ذكر فيه اختياره خاصة، وهو الصغير.

وسوف أتناول الموضوع في مبحثين:

المبحث الأول: تعريف بكتاب أبي حاتم في القراءات من خلال المصادر، ويتضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: عناية أبي حاتم بعلوم القرآن، وأشهر مؤلفاته فيها.

المطلب الثاني: كتاب أبي حاتم في القراءات.

المطلب الثالث: اختيار أبي حاتم وعلاقته بكتاب القراءات.

المبحث الثاني: نصوص من كتاب أبي حاتم في القراءات: تحقيق ودراسة، ويتضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: النصوص التي نقلها أبو الفضل الرازي.

المطلب الثاني: النصوص التي نقلها عبد الكريم الرافعي

المطلب الثالث: منهج كتاب القراءات لأبي حاتم من خلال النصوص.

ومع ما في تقديم ترجمة مفصلة لأبي حاتم السجستاني من فائدة، ومع ما يمكن أن تحققه من متعة، إلا أن طبيعة البحث وحجمه لا يسمحان بتقديم مثل تلك الترجمة، وقد ورد في كتب التراجم القديمة كثيراً من أخباره، وكُتِبَ عدد من الدراسات الحديثة عنه في مقدمة تحقيق ما نُشِرَ من كتبه، أو في ما كُتِبَ من دراسات عن جهوده في علوم القرآن وعلوم اللغة العربية وآدابها، وفي ذلك غنية للقارئ إن طمحت نفسه للوقوف على أخباره ونوادره.

والله تعالى ولي التوفيق، والهادي إلى سواء السبيل.

تكريت

٢٠١٢/٩/٢٥م

مكتبة المهتدين الإسلامية

المبحث الأول

تعريف بكتاب أبي حاتم في القراءات من خلال المصادر

أدرك أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني نهاية القرن الثاني الهجري، وعاش معظم سني حياته في القرن الثالث[1]، وكانت البصرة في ذلك الوقت تزدان بكبار علماء العربية والحديث والتاريخ والتفسير والقراءة وغيرها من العلوم، فأخذ أبو حاتم من علماء البصرة الذين أدركهم[2]، وجمع ما أخذه عنهم إلى ما أبدعه هو في عشرات المؤلفات في علوم العربية، وعلوم القرآن، وفي كتب التراجم القديمة والدراسات الحديثة معلومات وافية عن أبي حاتم والتعريف بشيوخه وتلامذته ومؤلفاته، لا يتسع المقام لإيرادها في هذا البحث، ولا تقتضي طبيعته ذلك، ومن ثم فإني سوف أكتفي هنا بالحديث عن جوانب من شخصية أبي حاتم العلمية، مما يتصل بعنايته بعلوم القرآن وعلم القراءات عامة ومؤلفاته في ذلك، وما يتصل باختياره في القراءة وكتابه في القراءات خاصة.

المطلب الأول: عناية أبي حاتم بعلوم القرآن، وأشهر مؤلفاته فيها

إن ما يدل على اهتمام عالم بعلم من العلوم هو دراسته ذلك العلم على يد شيوخه، ثم تأليفه في ذلك العلم، وتدريسه لذلك العلم لتلامذته، وقد تحققت هذه الأمور الثلاثة لأبي حاتم السجستاني في موقفه من علوم القرآن، وعنايته بها، فقد أخذها عن شيوخه، وألف فيها عدداً من كتبه، وأخذها عنه تلامذته[3].

---

(١) اخْتُلِفَ في سنة وفاته، وأكثر المصادر على أنه توفي سنة ٢٥٥هـ، كما ذكر السيرافي عن تلميذه ابن دريد (ينظَر: أخبار النحويين البصريين ص ٩٦)، وذكر السيوطي في بغية الوعاة (٦٠٦/١) أنه حين توفي كان قد قارب التسعين، ويعني ذلك أنه ولد حوالي سنة ١٦٥هـ، والله أعلم.

(٢) قال السيرافي في أخبار النحويين البصريين (ص٩٣): «وكان كثير الرواية عن أبي زيد، وأبي عبيدة، والأصمعي، عالماً باللغة والشعر، قال أبو العباس (المبرد): وسمعته يقول: قرأتُ كتاب سيبويه على الأخفش مرتين... قال أبو العباس: ولو قدم بغداد لم يقم له منهم أحد»، (وينظر: النحاس: إعراب القرآن ٥١٩/٢).

(٣) كتب تلميذنا، وصديقنا، الدكتور يعقوب أحمد السامرائي - رحمه الله - رسالته في الماجستير في (جهود أبي حاتم السجستاني في علوم القرآن)، التي أنجزها في كلية التربية للبنات بجامعة تكريت سنة ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م، وتناول فيها جهود أبي حاتم في رسم المصحف، والقراءات القرآنية، والوقف والابتداء، وإعراب القرآن، وخص كتاب أبي حاتم في القراءات بمطلب (ص ٨٣-٩٢) ذكر فيه طرق رواية الكتاب، والعلماء الذين نقلوا عنه، وبَيَّنَ منهجه فيه على نحو مختصر، ولم يكن قد اطلع على ما ورد من نصوص الكتاب في(التدوين في أخبار قزوين) وفي كتاب (معاني الأحرف السبعة).

http://www.al-maktabeh.com

قال أبو الطيب الحلبي في وصفه: «وكان أبو حاتم في نهاية الثقة والإتقان، والنهوض باللغة والقرآن، وكان مع علم واسع بالإعراب أيضاً»[1]، وقال الأندرابي: «وكان إمام أهل البصرة في زمانه، وأعلم الناس في وقته وأوانه[2]، وكان عالماً بوجوه القراءات، بصيراً بالنحو والعربية واختلاف اللغات»[3]، وقال ياقوت: «كان إماماً في غريب القرآن واللغة والشعر»[4]، وقال الذهبي: «أبو حاتم السجستاني نحوي البصرة، ومقرئها في زمانه، وإمام جامعها»[5]، وقال تلميذه الحسين بن تميم البزاز، الذي روى عنه اختياره في القراءة[6]: «صَلَّى أبو حاتم بالبصرة ستين سنة بالتراويح وغيرها، فما أخطأ يوماً، ولا لحن يوماً، ولا أسقط حرفاً، ولا وقف إلا على حرف تام»[7].

أخذ أبو حاتم القراءات عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت ٢٠٥هـ)، وهو من جلة أصحابه، ويقال إنه عرض على سَلاَّم بن سليمان الطويل (ت ١٧١هـ)، وأيوب ابن المتوكل البصري (ت ٢٠٠هـ)، وروى الحروف عن إسماعيل بن أبي أُوَيْسٍ المدني (ت ٢٢٧هـ)، وعبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٥هـ)، ومحمد بن يحيى القطعي، وأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري (ت٢١٥هـ)[8].

وروى القراءة عنه محمد بن سليمان بن إبراهيم، المعروف بالزردقي، وعلي بن أحمد بن محمد المسكي، وأبو سعيد العسكري النقَّاط، ويموت بن المُزَرِّع البصري (ت ٣٠٣هـ)، وأحمد بن حرب بن غيلان البصري (ت ٢٧٤هـ)، وإبراهيم بن حميد الكلابزي النحوي، وأحمد بن خليل بن عمر العنبري، والحسين بن تميم البزاز البصري، ومُسَبِّحُ بن حاتم[9].

---

(١) مراتب النحويين ص ١٣٠.
(٢) هذه عبارة ابن مهران في وصف أبي حاتم في كتابه الغاية (ص٣٠).
(٣) الإيضاح ص ٣٩١.
(٤) معجم الأدباء ١٤٠٦/٣.
(٥) معرفة القراء ٤٣٤/١-٤٣٥.
(٦) ينظر: الأندرابي: الإيضاح ص ٣٩١.
(٧) ابن الجزري: غاية النهاية ٣٢٠/١.
(٨) ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ٣٢٠/١.
(٩) ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ٣٢٠/١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ولأبي حاتم مصنفات كثيرة في اللغة والقرآن[1]، فقد أَلَّفَ ما يقرب من خمسين كتاباً [2]، أكثرها في علوم اللغة العربية، وعدد منها في علوم القرآن، وفي مقدمتها كتابه في القراءات، وسوف أذكر هنا أسماء كتبه في علوم القرآن، ثم أخص كتابه في القراءات بحديث مفصل في المطلب الآتي:

١. كتاب اختلاف المصاحف[3]، نقل منه ابن داود في كتابه المصاحف عدداً من النصوص[4].

٢. كتاب إعراب القرآن، لم يذكره ابن النديم في الفهرست حين ذكر مؤلفات أبي حاتم، وأقدم من ذكره مما وقفت عليه من المصادر القفطي (ت ٦٢٤هـ)[5]، وياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)[6]، وابن خلكان (ت٦٨١هـ)[7]، ثم تناقلت ذكره كتب التراجم والفهارس[8].

ولست على يقين من أن أبا حاتم أَلَّفَ كتاباً مستقلاً في إعراب القرآن، ولم يكن العلماء في زمانه يفردون إعراب القرآن بكتب مستقلة، بل كانوا يمزجون الإعراب بالمعاني، وذكر الهذلي في الكامل أن أبا حاتم له تصانيف في كتاب الله كالمعاني، و... أَلَّف في المقاطع والمبادي والقراءات والعلل[9]، وقد يدل ما ذكره الهذلي على أن لأبي حاتم كتاباً في معاني القرآن، لكني لم أقف على من ذكره، ثم إن النحاس نقل عن أبي حاتم في كتابه (إعراب القرآن) ما يقرب من مئة وخمسين نصاً[10]، وأكثرها يتعلق بترجيح القراءات وتوجيهها وإعرابها،

(١) القفطي: إنباه الرواة ٢/٩٥.

(٢) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص ٦٤، والقفطي: إنباه الرواة ٢/٦٢، وابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/٤٣٢، والذهبي: معرفة القراء ١/٤٣٦، والداودي: طبقات المفسرين ١/ ٢١١-٢١٢، وخليل إبراهيم العطية: مقدمة تحقيق كتاب فعلت وأفعلت لأبي حاتم ص٢٢-٤٤، وحاتم صالح الضامن: مقدمة تحقيق كتاب المذكر والمؤنث لأبي حاتم ص ١٧- ٢٠.

(٣) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص ٦٤، والقفطي: إنباه الرواة ٢/٦٢، وابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/٤٣٢، والذهبي: معرفة القراء ١/٤٣٦، والداودي: طبقات المفسرين ١/٢١٢، وحاجي خليفة: كشف الظنون ١/٣٣، والبغدادي: هدية العارفين ١/٤١١.

(٤) ينظر: كتاب المصاحف ١/٢٣١ و٢٣٩ و٢٥١ و٢٧٧، و٢٨٠ و٤٦١.

(٥) إنباه الرواة ٢/٦٢.

(٦) معجم الأدباء ٣/١٤٠٨.

(٧) وفيات الأعيان ٢/٤٣٢.

(٨) ينظر: الداودي: طبقات المفسرين ١/٢١١، وحاجي خليفة: كشف الظنون ١/١٢٣، والبغدادي: هدية العارفين ١/٤١١.

(٩) الكامل ص ٧٢-٧٣.

(١٠) ينظر: النحاس: إعراب القرآن (فهرس الأعلام) ٣/٩٠٠-٩٠١.

http://www.al-maktabeh.com

وقد تكون تلك النصوص منقولة من كتاب القراءات لأبي حاتم، لكن النحاس لم يصرح فيها بالنقل من الكتاب المذكور، ويحتاج الأمر إلى مزيد من الدراسة والتأمل لتحديد الكتاب الذي ينقل عنه النحاس من كتب أبي حاتم[١].

٣. كتاب القراءات [٢]، وهو ما سوف أتحدث عنه في المطلب الآتي.

٤. كتاب المقاطع والمبادي[٣]، وهو أحد المصادر التي صَرَّحَ النحاس بالنقل عنها في كتابه (القطع والائتناف)، وذكره بين النحويين الذي أَلَّفُوا في الوقف والابتداء[٤]، وقال: «وما قلنا فيه: قال أبو حاتم فهو عن عبد الله بن الفرج، يعرف بابن أبي رَوْحٍ، عنه»[٥]، ونقل منه ما يقرب من أربع مئة موضع[٦].

٥. كتاب النقط والشكل[٧]، ذكره الداني في المحكم، ونقل عنه في بعض المواضع[٨]، ونقل ابن أبي داود في كتاب المصاحف جملة صالحة من كتاب النقط والشكل لأبي حاتم، صَدَّرَها بقوله: «قال أبو حاتم السجستاني، ونَقَطَهُ بيده: هذا كتاب يُسْتَدَلُّ به على علم النقط ومواضعه..»[٩].

---

(١) هناك قرائن تشير إلى أن النصوص الواردة في كتاب إعراب القرآن للنحاس ومنسوبة إلى أبي حاتم منقولة من كتابه في القراءات، ومن تلك القرائن (١) أن جميع النصوص تتعلق بالقراءات القرآنية: اختياراً أو ترجيحاً، أو توجيهاً وإعراباً (٢) ورد بعض النصوص التي ذكرها النحاس منسوبة لأبي حاتم في ما نقله الرافعي في التدوين من كتاب القراءات لأبي حاتم، من ذلك ما ذكره النحاس عن قراءة (يوسف، ويونس) بكسر السين، وقول أبي حاتم: يجب إذا كسروا أن يهمزوا، لأنهم يتوهمونه من آنَسَ يُؤْنِسُ، وآسَفَ يُؤْسِفُ (ينظر: إعراب القرآن ٧٧/٢، وينظر النص الثالث من النصوص التي نقلها الرافعي من كتاب القراءات لأبي حاتم في المبحث الثاني من هذا البحث)، (٣) ورد بعض النصوص التي ذكرها النحاس في كتاب المحتسب لابن جني، وهي منقولة من كتاب القراءات لأبي حاتم كما صَرَّحَ بذلك ابن جني في مقدمة الكتاب، فقد ذكر النحاس عن أبي حاتم أن مسلمة قرأ (جميعاً مَنُّهُ)، بالرفع على إضمار مبتدأ (ينظر: إعراب القرآن ١٢٧/٣)، ونقل ابن جني هذه الرواية عن أبي حاتم، لكنه سمى القارئ (سلمة) (ينظر: المحتسب ٢٦٢/٣).

(٢) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص ٣٨ و٦٤، والقفطي: إنباه الرواة ٦٢/٢، وياقوت الحموي: معجم الأدباء ١٤٠٦/٣ و١٤٠٧، وابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٣٢/٢، والذهبي: معرفة القراء ٤٣٦/١، والداودي: طبقات المفسرين ٢١٢/٢، والبغدادي: هدية العارفين ٤١٢/١.

(٣) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص ٦٤، والقفطي: إنباه الرواة ٢:٦٢، وابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٣٢/٢، والذهبي: معرفة القراء ٤٣٦/١، والبغدادي: هدية العارفين ٤١٢/١.

(٤) القطع والائتناف ص ٧٥.

(٥) القطع والائتناف ص ٩٩.

(٦) ينظر: القطع والائتناف (فهرس الأعلام) ص ٨٩٦-٨٩٧.

(٧) ينظر: ابن النديم ص ٣٨.

(٨) ينظر: المحكم ص ٦ و٧ و٩.

(٩) كتاب المصاحف ٥٣٠/٢- ٥٤١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

المطلب الثاني: كتاب أبي حاتم في القراءات

ليس هناك شك في صحة نسبة كتابٍ في القراءات لأبي حاتم، كما ذكرتْ كتب التراجم والفهارس، ويؤكد تلك النسبة كثرة النصوص المنقولة من الكتاب في كثير من كتب القراءات وتوجيهها، وبعض كتب علوم القرآن واللغة، لكن لم يبق من الكتاب نسخ خطية معروفة، ومن ثم فإن الحديث عن موضوع الكتاب ومنهجه يعتمد على تتبع ما ورد في المصادر التي ذكرته، وهو ما أحاول القيام به في هذا المطلب، ثم أحاول استنطاق عدد من النصوص المنقولة منه في المبحث الثاني، للوقوف على موضوع الكتاب ومنهجه على نحو محدد.

من ذلك ما ذكره أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) في مقدمة معجمه (تهذيب اللغة) وهو يتحدث عن مصادره، حيث قال: «وله مؤلفات حسان، وكتاب في قراءات القرآن، جامع، قرأه علينا بهراة أبو بكر بن عثمان... فما وقع في كتابي لأبي حاتم فهو من هذه الجهات»[١].

وقال القفطي (ت٦٢٤هـ): «وكتابه في القراءات مما يفخر به أهل البصرة، فإنه أجل كتاب صُنِّفَ في هذا النوع إلى زمانه»[٢]، وذكر الذهبي (ت ٧٤٨هـ) أنه « كان يقال: أهل البصرة يفخرون على أهل الدنيا بكتاب سيبويه، وكتاب الحيوان للجاحظ، وكتاب القراءات لأبي حاتم»[٣]، وزاد الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) عليها كتاب العين للخليل[٤].

وقال ابن جني في مقدمة كتابه (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها) وهو يتحدث عن المصادر التي اعتمد عليها في الكتاب: «فأما ما رويناه في ذلك فكتاب أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني- رحمه الله- أخبرنا به أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد القِرْميسيني، عن أبي بكر محمد بن هارون الرُّوياني، عن أبي حاتم»[٥]، ونقل ابن جني بعض النصوص في كتابه الخصائص، وقال: «وأخبرنا

---

(١) تهذيب اللغة ١/٢٠.

(٢) إنباه الرواة ٢/٦٣.

(٣) معرفة القراء ١/٤٣٥.

(٤) البلغة ص ٩٤، وينظر: الأهوازي: الإقناع ص ٢٣٣.

(٥) المحتسب ١/٣٥-٣٦.

http://www.al-maktabeh.com

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد القرميسيني، عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني، عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني في كتابه الكبير في القراءات..»[١].

وذكر ابن الجزري في ترجمة أبي حاتم: «وأحسبه أول من صَنَّفَ في القراءات»[٢]، لكن هذا لا يتوافق مع ما ذكره أبو بكر الزبيدي من أن يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت٢٠٥هـ)، وهو شيخ أبي حاتم، له كتاب سماه (الجامع)، جمع فيه عامة وجوه القرآن، ونسب كل حرف إلى من قرأ به[٣]، ومع ما ذكره ابن الجزري نفسه من أَنَّ «أَوَّلَ إمام معتبر جمع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام»[٤]، المتوفى سنة ٢٢٤هـ، ومع ذلك فإن الرجال الثلاثة عاشوا في حقبة واحدة.

وذكر أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) المصنفين في القراءات في أرجوزته (المنبهة)، ومن بينهم أبو حاتم السجستاني، فقال بعد أن ذكر كتاب أبي عبيد:[٥]

ثم تلاه سَهْلٌ البصرِيُّ	وهو أبو حاتمٍ النحوِيُّ
وصَنَّفَ الحروفَ والمَقَارِي	ولم يُقَيِّد ذاك بالآثارِ
لكنه بالَغَ في التعليلِ	مِن غيرِ إسهابٍ ولا تطويلِ

وكان الداني قد اطلع على كتاب أبي حاتم السجستاني في القراءات، ونقل منه نصوصاً في عدد من مؤلفاته[٦].

وإذا كانت نسخ كتاب القراءات لأبي حاتم قد اختفت منذ أمد، فإن الكتاب كان عمدة لدارسي القراءات، وكان معروفاً في بلدان كثيرة، فكان أبو علي الحسن بن علي بن نصر بن منصور الطوسي يقرأ الكتاب في قزوين قبل وفاته سنة ٣٠٨هـ[٧]، ولعله سمعه من أبي حاتم مباشرة، لأن الطوسي يروي عن الزبير بن بكار المتوفى سنة ٢٥٦هـ، وقد صَرَّحَ أبو نعيم الأصبهاني في (تاريخ أصبهان) أن أبا علي الطوسي

---

(١) الخصائص ١/٧٦.
(٢) غاية النهاية ١/٣٢٠.
(٣) طبقات النحويين واللغويين ص ٥٤.
(٤) النشر ١/٣٤.
(٥) الأرجوزة المنبهة ص ١٥١.
(٦) ينظر: المنتوري: شرح الدرر اللوامع ص ٧٩٢ و ٨١١.
(٧) ينظر: الخليلي: الإرشاد ٣/٨٦٦-٨٦٧، والرافعي: التدوين ٢/٣٩، و١/١٨٣.

مكتبة المهتدين الإسلامية

سمع القراءات من أبي حاتم [1]، المتوفى سنة ٢٥٥هـ.

وسمع أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) الكتاب في مدينة هراة في خراسان من شيخه أبي بكر بن عثمان، وأخذ ابن جني (ت٣٩٢هـ) الكتاب عن شيخه إبراهيم بن إسحاق القرميسيني[2]، عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني (ت ٣٠٧هـ)[3]، وسمع أبو الفضل الرازي (ت٤٥٤هـ) الكتاب عن شيخه جعفر بن عبد الله بن يعقوب بن فَنَّاكي (ت ٣٨٣هـ)[4] في مدينة الري سنة ٣٧٩هـ، عن محمد بن هارون الروياني، عن أبي حاتم[5].

ولم تنقطع أخبار كتاب القراءات لأبي حاتم باختفاء نسخه الخطية، فقد نقل أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) في كتابه إعراب القرآن كثيراً من أقوال أبي حاتم في القراءات أو توجيهها، وكذلك صَرَّحَ ابن جني بالنقل عن الكتاب في كتابه (المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها)، ونقل أبو الفضل الرازي في كتابه (معاني الأحرف السبعة) عدداً من النصوص من الكتاب، ونقل عبد الكريم بن محمد الرافعي عدداً من النصوص من الكتاب في كتابه (التدوين في أخبار قزوين)، وفي البحر المحيط لأبي حيان عشرات المواضع التي نقلها عن أبي حاتم تتعلق بالقراءات وتوجيهها. وسوف أنقل في المبحث الثاني ما تأكد لي أنه منقول حرفياً من كتاب القراءات لأبي حاتم، ثم أحاول استخلاص ما يتعلق بموضوع الكتاب ومنهجه، إن شاء الله.

---

(١) ينظر: تاريخ أصبهان ١/٢٦٣.

(٢) ينظر: الخصائص ١/٧٦، والمحتسب ١/٣٥-٣٦.

(٣) ينظر: الخليلي: الإرشاد ٢/٨٠١.

(٤) ينظر: الخليلي: الإرشاد ٢/٨٠١.

(٥) ينظر: معاني الأحرف السبعة ص ١٨٣.

http://www.al-maktabeh.com

المطلب الثالث: اختيار أبي حاتم وعلاقته بكتاب القراءات

الاختيارُ لغةً: الاصطفاءُ[1]، وفي الاصطلاح أن يأخذ القارئ بوجه من وجوه القراءة المروية في كل حرف من حروف القرآن المختلَف في قراءتها، ويلتزم به في تلاوته، ويُعَلِّمَهُ تلامذته، فيسمى مجموع ما أَخَذَ به من تلك الوجوه اختياراً، مثل اختيار أبي عبيد، واختيار خلف بن هشام، واختيار أبي حاتم، وغير ذلك مما اشتهر من اختيارات القراء.

والقراءات السبع والعشر هي في أصلها اختيارات للقراء، لكنها اشتهرت باسم (القراءة) لتقدم أصحابها، وعلو إسنادهم فيها، فقد عاشوا في القرن الثاني الهجري، وأخذوا عن التابعين وتابعيهم، بخلاف من جاء بعدهم من علماء القراءة، الذين أخذوا عن القراء السبعة، وعمن أَخَذَ عنهم أو جاء بعدهم، وكانت تلك الاختيارات تستند إلى أركان القراءة الثلاثة: صحة السند، وموافقة الرسم، وموافقة العربية.

ويعنينا في هذا المقام الحديث عن اختيار أبي حاتم السجستاني في القراءة، دون غيره من أصحاب الاختيارات، لأن استيعاب الحديث عنهم يحتاج إلى مجال أوسع مما يسمح به هذا البحث، قال ابن الجزري: «وله اختيار في القراءة رويناه عنه، ولم يخالف مشهور السبعة إلا في قوله في آل عمران: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (١٢٠)»[2]، وقال الأندرابي: «اختار لنفسه اختياراً حسناً، اتبع فيه الأثر والنظر وما صحَّ في الخبر عن النبي ﷺ، وعن الصحابة والتابعين، رحمة الله عليهم أجمعين»[3].

وكان اختيار أبي حاتم مشهوراً، يقرأ به بعض أهل الأمصار، ونقل ابن مهران عن عبد الله بن المؤدب الأصبهاني قوله: «وكان عندنا بأصبهان من لم يقرأ باختيار أبي حاتم لم يُعَدَّ قارئاً»[4]، وروى اختيار أبي حاتم عدد من تلامذته، منهم[5]:

---

(١) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٢٢٦/٤ (خير).

(٢) غاية النهاية ٣٢٠/١، وينظر: الهذلي: الكامل ص ٧٣، وقرأ السبعة (يعملون) بالياء، وقرأها أبو حاتم (تعملون) بالتاء (ينظر: ابن مهران: الغاية ص ٤٩).

(٣) الإيضاح ص ٣٩١.

(٤) الغاية ص ٣٠.

(٥) ينظر: الأهوازي: الإقناع ص٢٢٩-٢٢٣، والهذلي: الكامل ص ٢٤٦-٢٦٥، وابن الجزري: غاية النهاية ٣٢٠/١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

(١) الحسين بن تميم البصري، الذي قال: «سألت أبا حاتم بعدما فَرَغْتُ من القراءة عليه، فقلتُ: هذه قراءَتُكَ التي تَخْتَارُ؟ فقال: نعم، واللهِ، قلتُ: فما كان فيه من حكايةٍ وحديثٍ فعلى ما حدثتني به؟ فقال: نعم، فقال أبو عبد الله الحسين ابن تميم: فهذا اختيارُ أبي حاتم، رحمة الله ورضوانه عليه»[١]، وقال أبو علي الأهوازي: «والحسين بن تميم جليل، من أصحاب أبي حاتم، ورَوَى عنه، مشهورٌ به خَصِيصٌ من رواته»[٢].

(٢) علي بن أحمد بن محمد، أبو الحسن البصري، المعروف بالْمِسْكِيِّ[٣].

(٣) محمد بن الحسن بن مُسَبِّحٍ، أبو بكر [٤].

(٤) محمد بن سليمان بن إبراهيم بن الحسن، المعروف بابن الزردقي[٥].

(٥) يَمُوتُ بن الْمُزَرِّع بن موسى، أبو بكر البصري، واسمه محمد ولكن اشتهر بلقبه (ت٣٠٣هـ)[٦].

وأخرج ابن مهران (ت٣٨١هـ) اختيار أبي حاتم في كتابه (الغاية في القراءات العشر) [٧]، وأبو الفضل الخزاعي (ت ٤٠٨هـ) في كتابه (المنتهى)[٨]، وأحمد بن أبي عمر الأندرابي (ت٤٧٠هـ) في (الإيضاح)[٩]، وذكر الداني في (المنبهة) أن أبا حاتم ذكر اختياره في كتابه في القراءات، حيث قال:

وسَهْلٌ العالِمُ بالأداءِ ... اختارَ مِن مذاهبِ القُرَّاءِ
حروفاً أَقرا بها أصحابَهُ ... وكُلُّهَا ضمنها كتابَهُ

وذكر الأهوازي أن أبا حاتم أَلَّفَ كتابين في القراءات صغيراً وكبيراً، حيث قال: «وصَنَّفَ كتابه الكبير في القراءات في أربعين سنة، ويقال: إنَّ مصنفات الإسلام

(١) ابن مهران: الغاية ص ٣٠، والأندرابي: الإيضاح ص ٣٩١، وينظر: الهذلي: الكامل ص ٢٦٤.
(٢) الأهوازي: الإقناع ص ٢٣٠-٢٣١.
(٣) ينظر: الأهوازي: الإقناع ص ٢٢٩، والهذلي: الكامل ص ٢٦٤، وابن الجزري: غاية النهاية ٥٢٢/١.
(٤) ينظر: الهذلي: الكامل ص ٢٦٥، وابن الجزري: غاية النهاية ٢٩٤/٢.
(٥) ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ١٤٨/٢.
(٦) ينظر: الهذلي: الكامل ص ٢٦٥، والأهوازي: الإقناع ص ٢٣٢، وابن الجزري: غاية النهاية ٣٩٢/٢.
(٧) ينظر: الغاية ص ٣٠.
(٨) ينظر: المنتهى ص٥٨.
(٩) ينظر: الإيضاح ص ٣٩١.

http://www.al-maktabeh.com

أربعة، هو أحدها، ثم صَنَّفَ كتابه الصغير في معرفة حروف القرآن المختلف فيها، واختار لنفسه حرفاً قرأه وأقرأه إلى أن مات»[1]. ولعل ابن جني قَصَدَ ذلك حين وصف كتاب أبي حاتم بالكبير عندما نقل منه أحد النصوص، فقال: «وأخبرنا... عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني في كتابه الكبير في القراءات..»[2]، ليتميز عن كتابه الصغير.

وإذا تأكد أن أبا حاتم السجستاني أَلَّفَ كتابين في القراءات كبير وصغير فإنه يمكن القول إنه ذكر القراءات وتوجيهها في كتابه الكبير، وربما ذكر فيه اختياره في القراءة أيضاً، لكنه عاد وجَرَّدَهُ في كتاب مستقل هو الكتاب الصغير، كما يُفْهَمُ ذلك من النص الذي نقلناه عن الأهوازي، ولعل الذين قرؤوا عليه اختياره إنما قرؤوا بالاعتماد على الكتاب الصغير، ويُحْتَمَلُ أن الداني قصد بقوله: «وكُلُّهَا ضَمَّنَهَا كِتَابَهُ» الكتاب الكبير، وذكر ابن الجزري في ترجمة يحيى بن عَتَّاب أنه: «روى الحروف عن أبي حاتم سهل بن محمد، وسَمِعَ منه مُصَنَّفَهُ في القراءات»[3]، ويُحْتَمَلُ أن يكون هذا المصنف الكتاب الصغير، الذي ضمنه أبو حاتم اختياره، ولكن لا يستبعد أن يكون الكتاب الكبير.

ومما يؤكد تأليف أبي حاتم كتابين في القراءات: الكبير الذي ذكر فيه قراءات القراء وتوجيهها، والصغير الذي ذكر فيه اختياره، ما ورد في كتاب (التدوين) للرافعي من أن اختيار أبي حاتم في جزئين، وذلك حيث قال في ترجمة: «جعفر بن أبي أحمد بن جعفر الصائغ أبو محمد القزويني: سَمِعَ عَلِيَّ بنَ صالحٍ بَيَّاعَ الحديدِ سُنَنَ الْحُلْوَانِيِّ، وسَمِعَ اختيارَ أبي حاتم سهل بن السجستاني، وهو في مِقْدَارِ جُزْئَيْنِ، من أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ، عن أبي بكر محمد بن أحمد بن راشد بن معدان الثقفي، عن أبي حاتم، وفيه: قال أبو حاتم، حَدَّثُونَا عن الفُضَيْلِ بنِ مَرْزُوقٍ، عن عَطِيَّةَ العَوْفِيِّ، عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ الخطابِ - رضي الله عنهما - قال: قرأتُ على رسول الله ﷺ سورةَ الرُّومِ، فقال: ﴿ خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾[4]، بالفَتْحِ، فقال

---

(١) الأهوازي: الإقناع ص ٢٣٣.
(٢) الخصائص ١/٧٦.
(٣) غاية النهاية ٢/٣٧٤.
(٤) الروم ٥٤.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ﷺ: (من ضُعْفٍ)»(١).

وإذا كان الأمر واضحاً بالنسبة لكتاب أبي حاتم الكبير في القراءات، وأنه ذكر فيه القراءات التي رواها عمن تقدمه، وما يتعلق بها من توجيه، على نحو ما يتضح من النصوص التي نقلتها في المبحث الثاني، فإن كتابه الصغير لا يزال بحاجة إلى ما يكشف عن طبيعة موضوعه على نحو أكيد، وإن كان الاحتمال الأرجح أنه ذكر فيه اختياره، كما جاء في النص الذي نقلناه عن التدوين.

وأيّاً ما كان الأمر فإنه ليس هناك ما يؤكد أن الكتاب الكبير في القراءات الصحيحة، وأن الكتاب الصغير في القراءات الشاذة(٢)، كما ذهبت إلى ذلك السيدة يسرى محمد ياسين الغباني، في رسالتها عن جهود أبي حاتم في القراءات، وذلك حين قالت: «لم تكن الجهود التي بذلها أبو حاتم تجاه القراءات الشاذة أقل من الجهود التي بذلها تجاه القراءات الصحيحة من رواية وتوجيه وبيان لبعض الآراء الخاصة بشأنها، فإذا كان قد أَلَّفَ كتاباً للقراءات الصحيحة المتواترة، اعتبره أهل البصرة من مفاخرهم، فإنه أيضاً ألف كتاباً في شواذ القراءات...»(٣).

ويبدو أن القول بأن أبا حاتم قد أَلَّفَ كتابين في القراءات أحدهما في القراءات الصحيحة، والآخر في الشاذة، ناتج عن عدم وضوح تاريخ التأليف في القراءات في تلك الفترة، وعدم التدقيق في النصوص المنقولة عن أبي حاتم في القراءات القرآنية، فلم يكن كتاب أبي حاتم الكبير في القراءات القرآنية مختلفاً عن كتاب أبي عبيد القاسم من سلام (ت ٢٢٤هـ) الذي ضم قراءة خمسة وعشرين قارئاً، ولا عن كتاب القاضي إسماعيل بن إسحاق (ت٢٨٢هـ) الذي ذكر فيه قراءة عشرين إماماً، وكذلك كتاب محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) الذي ذكر فيه قراءة نيف وعشرين قارئاً(٤).

---

(١) التدوين ٢/٣٧٤.

(٢) قالت الدكتورة منيرة محمد علي حجازي في بحثها (موقف أبي حاتم من القراءات القرآنية ص ٥): «وأَلَّفَ أبو حاتم كتاباً في شواذ القراءات»، وكررت ذلك (ص١٨)، والحقيقة هي أن كتاب أبي حاتم كان في القراءات الصحيحة والشاذة، على نحو ما يتبين من النصوص المنقولة من الكتاب، ومما ذكرته عند الحديث عن منهج الكتاب.

(٣) أبو حاتم والدراسات القرآنية ص ٢٤٠.

(٤) ينظر: النشر ١/٣٤، وينظر: الرازي: معاني الأحرف السبعة ص ٣٢٦.

http://www.al-maktabeh.com

والـذي أُرَجِّحُـهُ هـو أن أبا حاتم إذا ثَبَتَ أنه أَلَّفَ كتابـين في القراءات فإنَّ الكتاب الكبيـر منهمـا كان في القراءات عامة، مشـهورها وشـاذها، كمـا يتضح في النصوص المنقولـة مـن الكتـاب، وأنَّ الكتـاب الصغير هو في بيـان اختيار أبي حـاتم في القراءة مُجَرَّداً، والله تعالى أعلم.

مكتبة المهتدين الإسلامية

المبحث الثاني

نصوص من كتاب أبي حاتم في القراءات: تحقيق ودراسة

ورد في كتب توجيه القراءات وإعراب القرآن ومعانيه وغيرها عدد كبير من النصوص المنقولة عن أبي حاتم السجستاني تتعلق بقراءة القرآن، واختياره في القراءة، والراجح أن كل تلك النصوص منقولة من كتابه في القراءات، لكن ذلك يظل مجرد احتمال، وإن كان راجحاً، وأكثرها منقول بالمعنى، وهي تقدم فكرة عامة عن الكتاب، والغرض في هذا البحث هو التعرف على الكتاب والتعريف به على نحو أكثر تحديداً، ومن ثم فإني سوف اقتصر في هذا المبحث على الوقوف عند النصوص المنقولة نقلاً حرفياً من الكتاب، واستنباط ما تدل عليه حول موضوع الكتاب ومنهجه، ووردت تلك النصوص في مصدرين مما وقفت عليه من مصادر، وهما (كتاب معاني الأحرف السبعة) لأبي الفضل الرازي، وكتاب (التدوين في أخبار قزوين) لعبد الكريم الرافعي.

المطلب الأول: النصوص التي نقلها أبو الفضل الرازي

نَقَلَ أبو الفضل الرازي (ت٤٥٤هـ) في كتابه (معاني الأحرف السبعة) عدداً من النصوص من كتاب أبي حاتم في القراءات، يتعلق معظمها بروايات حديث الأحرف السبعة وبيان معناه، ونَقَلَ أكثرها[١] عن طريق شيخه أبي القاسم جعفر بن عبد الله ابن يعقوب بن فَنَّاكي الرُّويَانِيِّ، المتوفى سنة ٣٨٣هـ، عن شيخه أبي بكر محمد بن هارون الرُّوَيانِيِّ، المتوفى سنة ٣٠٧هـ، عن أبي حاتم السجستاني مؤلف الكتاب.

وبلغت النصوص التي نقلها أبو الفضل الرازي عن أبي حاتم ما يقرب من عشرين نَصّاً، قال في معظمها (قال أبو حاتم في كتابه)، ولم يُصَرِّحْ فيها باسم الكتاب، لكن هناك ما يدل على أنه يقصد كتابه في القراءات، فقد وصف الكتاب بأنه يضم كثيراً من قراءات غير السبعة، فقال وهو يتحدث عن عدد القراء المشهورين في الأمصار، وأنهم كانوا أكثر من الأئمة الخمسة الذين اشتهرت قراءاتهم في الأمصار الخمسة،

---

(١) نَقَلَ الرازي أحد النصوص عن أبي مسلم محمد بن أحمد الكاتب، بمصر، عن ابن مجاهد، عن محمد ابن المُزَرِّعِ، المعروف بِيَمُوتَ، عن أبي حاتم (ينظر: معاني الأحرف السبعة ص٣١٢).

http://www.al-maktabeh.com

وهم: نافع في المدينة، وابن كثير في مكة، وعاصم في الكوفة، وأبو عمرو في البصرة، وابن عامر في الشام، أو السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد في كتابه: «على أن الناس قد كانوا يؤلفون في القراءات في ما بعد الأئمة الخمسة، فَيُقَدِّمُونَ فيها ما شاؤوا عدداً من الأئمة، من الخمسة وغيرهم، ولم يكونوا مما يعرفون التَّسْبِيعَ بحال... على نحو ما نجده في كتاب أبي حاتم وأبي عبيد وغيرهما، فإنك تجد في كل واحد عدداً كثيراً من الأئمة وحروفهم تجاوز الخمسة والسبعة والعشرة...»[1].

ويظهر من قول الرازي هذا أنه يقصد بكتاب أبي حاتم كتابه في القراءات القرآنية، ومن ثم سوف أورد النصوص التي أوردها الرازي باعتبارها جزءاً من كتاب أبي حاتم، بعد أن دلت القرائن وقامت الشواهد على أنها منقولة منه، وبالنظر إلى أن معظم تلك النصوص يتعلق بروايات حديث الأحرف السبعة وبيان معناه، ونظراً لشهرة تلك الروايات في كتب الحديث وعلوم القرآن، فإني سوف أورد نماذج منها، وأشير إلى مواضع الأخرى في الحاشية[2]:

النص الأول: «ووجدت في كتاب أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني، عن عبد الأعلى، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن ابن مخرمة، عن عمر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (أُنْزِلَ القرآنُ على سبعةِ أحرفٍ).

أخبرنا بكتاب أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني كَمَلا[3] أبو القاسم جعفر بن عبد الله بن يعقوب بن فَنَّاكي العَدْلُ الرُّوياني، بالرَّيِّ سنة تسع وسبعين وثلاث مئة، قراءة عليه وأنا أسمع، قال حدثنا أبو بكر محمد بن هارون الروياني، قال حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني.

وهذا الإسناد لجميع ما سُقْتُهُ في كتابي هذا، مما قلتُ فيه: وجدت في كتاب أبي حاتم»[4].

النص الثاني: «وقال أبو حاتم في كتابه: الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنه،

---

(١) معاني الأحرف السبعة ص ٣٢٦.

(٢) ينظر: معاني الأحرف السبعة: ص ١٩٨، و٢٢٠، و٢٢٤، و٢٤١، و٢٤٣، و٢٥٠، و٢٥٩.

(٣) كذا في الأصل المطبوع، والمقصود: كاملا.

(٤) معاني الأحرف السبعة ص ١٨٢-١٨٣.

مكتبة المهتدين الإسلامية

قال: نزل القرآن على سبعة أحرف، صارت في عجز هوازن خمسة»[١].

النص الثالث: «قال أبو حاتم في كتابه: إسماعيل بن جعفر، قال: حدثنا يزيد بن خُصَيْفَةَ، عن مسلم بن سعيد مولى بني الحضرمي، عن أبي جهم الأنصاري، أن النبي ﷺ قال: (أُنْزِلَ القرآن على سبعة أحرف، فلا تَمَارَوْا في القرآن، فإنَّ مِرَاءً فيه كُفْرٌ)، أخبرناه ابن فَنَّاكِي من حديث الروياني عنه»[٢].

النص الرابع: «قال أبو حاتم في كتابه: ابن عُيَيْنَةَ، عن عبيد الله بن أبي يزيد، عن أبيه، قال: أخبرتني أم أيوب، أن النبي ﷺ قال: (نَزَلَ القرآنُ على سبعةِ أحرفٍ، أَيَّها قرأتَ أصَبتَ)»[٣].

النص الخامس: «فأما مَن ذَهَبَ بالأحرف السبعة إلى تغاير الألفاظ دون المعاني، فهو أَوَّلَهَا بمجرد اللغات، إذ لا تأثير لتغايرها في معنى الكلم، واستدل على صحة ما ذهب إليه بما جاء من التقييد... وكذلك بما جاء عن سعيد بن المسيب، قال: نَزَلَ القرآن على لغة هذا الحي من لدن هوازن وثقيف إلى ضَبَّةَ[٤]...

وعن هُشَيْمٍ، عن عبد الرحمن بن يحيى، عن الْهُجَيْعِ بن قيس، قال: نَزَلَ القرآن على سبعة أحرف، منها[٥] على أَلْسُنِ هوازنَ، وسائر ذلك على ألسن سائر العرب.

وروى أبو خَلْدَةَ، عن أبي العالية، قال: قرأ عند النبي ﷺ من كل خمسة رجل، واختلفوا في اللغة، ورضي قراءتهم كلهم. وكانت بنو تميم أعرب القوم.

أخبرنا به وبما تقدمه من خبر الْهُجَيْعِ، وابن المسيب، ابن فناكي، عن الروياني، عن أبي حاتم على ما ذكره في كتابه»[٦].

---

(١) معاني الأحرف السبعة ص ٢٤٠.
(٢) معاني الأحرف السبعة ص ٢٥٥.
(٣) معاني الأحرف السبعة ص ٢٦٧.
(٤) في المرشد الوجيز لأبي شامة (ص١٣٠): ضريَّة.
(٥) ورد في بعض روايات الخبر عن ابن عباس: خَمْسٌ منها بلغة العَجُزِ من هوازن، (ينظر: أبو عبيد: فضائل القرآن ص ٣٤٠، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص ١٣٠، والسيوطي: الإتقان ١/١٦٩).
(٦) معاني الأحرف السبعة ص ٢٩٢-٢٩٣.

http://www.al-maktabeh.com

النص السادس: «فمن ذلك ما ذكره أبو حاتم في كتابه: أبو تُمَيْلَةَ الخراساني[1] عن أبي حَصِينٍ المقرئ، عن إبراهيم بن الرَّهِين، قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: (قالت الأعراب) فلم يهمز، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ﴾[2]، فقطع الهمزة»[3].

النص السابع: «وقد ذكر أبو حاتم في كتابه: ابن أبي الزناد عن أبيه، عن خارجة ابن زيد بن ثابت، عن أبيه أنه قال: قراءة القرآن سُنَّةٌ، فاقْرَؤُوهُ كما تَجِدُونَهُ.

وقال أبو حاتم أيضاً في كتابه: أبو تُمَيْلَةَ الخراساني يحيى بن واضح، عن إسماعيل ابن عياش، عن شعيب بن دينار، عن محمد بن المنكدر، قال سمعته يقول: قراءة القرآن سُنَّةٌ يأخذها الآخِرُ عن الأوَّلِ.

وقال أبو حاتم أيضاً في كتابه: حدثني أبو عبد الرحمن المقرئ، عن ابن لهيعة، قال: حدثنا خالد بن أبي عمران، عن عروة بن الزبير، قال: قراءة القرآن سُنَّةٌ، فاقْرَؤُوهُ كما عُلِّمْتُمُوهُ[4].

أخبرنا بجميع ذلك ابن فَنَّاكي، عن الرُّوياني، عن أبي حاتم، وأخبرناه أبو مسلم ابن الكاتب بمصر، حدثنا ابن مجاهد، عن محمد بن المُزَرِّعِ، ويُعْرَفُ بِيَمُوتَ، عن أبي حاتم»[5].

النص الثامن: «والمِرَاءُ في القرآن كُفْرٌ، وأن لا نُفَضِّلَ حرفاً منه على حرف، ولا إعراباً على إعراب، وعلى ذلك كان القوم، وبه وردت الآثار عنهم:

فمن ذلك ما أخبرنا به ابن فَنَّاكي، حدثنا الرُّوياني، عن أبي حاتم في كتابه، عن الطنافسي، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: كان ابن مسعود يُقْرِئُ رجلاً فجعل يُغَيِّرُ عليه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾[6]، ويُعِيدُ عليه، والرجل يقول مثل مقالته الأولى: (وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم)»[7].

---

(١) اسمه يحيى بن واضح، الأنصاري مولاهم المروزي، روى عنه الستة (ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ١١/٢٩٣).

(٢) الحجرات ١٤.

(٣) معاني الأحرف السبعة ص٣٠٨.

(٤) نقله ابن مجاهد في السبعة، عن محمد بن المزرع عن أبي حاتم (ص ٥٢).

(٥) معاني الأحرف السبعة ص ٣١١-١٣١.

(٦) الطور ٢١.

(٧) معاني الأحرف السبعة ص ٣٥٣-٥٣٤.

مكتبة المهتدين الإسلامية

النص التاسع: «قد كانت مصاحف قد انتشرت في ديار الإسلام على نسخ مختلفة، لأن من كان من الصحابة يرجع إلى الكتابة والعناية بالقرآن، قد كان يجمعه على حسب ما يحفظه، أو يظفر به، فكثر ذلك، وتَنَقَّلَ في الآفاق إلى إمارة الحجاج على العراق، فبعث عاصماً الجحدري وناجية بن مخ[1]، وعلي بن أصمع الباهلي، ووكلهم بتتابُعِ المصاحف، وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف وجدوه مخالفاً لمصحف عثمان، ويعطوا صاحبه شرى كذا درهماً.

بذلك أخبرني ابن فَتَّاكي إجازة على شك من تحديثه، عن الروياني، عن أبي حاتم، عن الأصمعي، وعن الروياني عن ابن قتيبة»[2].

النص العاشر: «وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه على مرتبته من القرآن والعلم قرأ: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان) بغير واو، فقال له زيد: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾[3]، بالواو، فقال عمر: (الذين اتبعوهم بإحسان)، فقال زيد: أمير المؤمنين أعلم، فقال عمر: ائتوني بأُبَيٍّ بن كعب، فأتاه فسأله عن ذلك، فقال أبي: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾، فقال عمر: نَعَمْ إذن، فتابع أُبَيّاً.

ذكره أبو حاتم في كتابه فقال: القاسم، عن الحجاج، عن هارون، عن حبيب بن الشهيد، عن ابن عامر الأنصاري: أن عمر بن الخطاب، وذكر الحكاية»[4].

المطلب الثاني: النصوص التي نقلها عبد الكريم الرافعي في كتاب التدوين

ذكر الإمام عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (ت ٦٢٣هـ) في كتابه (التدوين في أخبار قزوين) عدداً من النصوص المتعلقة بالقراءات، نقلها من كتاب (القراءات) لأبي حاتم السجستاني، من رواية الحسن بن علي بن نصر بن منصور، أبي علي الطوسي المتوفى سنة ٣٠٨هـ، عند ترجمته لجماعة من العلماء الذين أقاموا بقزوين أو مروا بها، وأخذوا عن الطوسي الكتاب المذكور.

---

(١) كذا في الأصل المطبوع.
(٢) معاني الأحرف السبعة ص ٥٢٠-٥٢١.
(٣) التوبة ١٠٠.
(٤) معاني الأحرف السبعة ص ٥٢٧- ٥٢٨.

http://www.al-maktabeh.com

وكان أبو علي الطوسي من علماء الحديث، ودخل قزوين سنة ثمان وتسعين ومئتين، فكتب عنه جماعة، ثم دخلها سنة سبع وثلاث مئة، ومات سنة ثمان، وهو في طريق الغزو، وصَنَّفَ كتاب الأحكام والفوائد، ورَوَى كتابَ القراءات لأبي حاتم السجستاني[1].

ويمكن تقسيم النصوص التي ورد فيها ذكر كتاب القراءات لأبي حاتم في كتاب (التدوين) على قسمين: قِسْمٍ منها نَقَلَ فيه الرافعي نصاً من كتاب القراءات، وقِسْمٍ لم ينقل فيه نصاً، لكنه ذكر فيه رواية الكتاب فقط، وهذا القسم وإن كان غير مفيد في التعرف على مادة الكتاب، لكنه مفيد من ناحية معرفة عناية الدارسين في ذلك الزمان بالكتاب. وسوف أكتفي هنا بالإشارة إلى مواضع القسم الثاني من الكتاب من غير تعليق عليها، أو تحليل لها، وهي:

(١) أحمد بن إبراهيم بن عبد السلام: سَمِعَ مع أبيهِ مِن أبي علي الطوسي بقزوينَ القراءاتِ لأبي حاتم السجستاني أو بَعْضَهَا[2].

(٢) أحمد بن شيبان: سَمِعَ القراءاتِ لأبي حاتم السجستاني أو بَعْضَ الكتابِ من أبي علي الحسن بن علي الطوسي بقزوينَ[3].

(٣) أحمد بن علكويه[4]: سَمِعَ طَرَفاً من القراءات لأبي حاتم السجستاني، من أبي علي الحسن بن علي الطوسي، بقزوينَ[5].

(٤) أحمد بن محمد بن عقيل: سَمِعَ كتابَ القراءاتِ لأبي[6] حاتم السجستاني أو بَعْضَهُ، مِن أبي علي الحسن بن علي الطوسي، بقزوينَ[7].

(٥) الحسين بن أحمد بن إبراهيم: سَمِعَ أبا علي الطوسي القراءاتِ لأبي حاتم

---

(١) ينظر: الخليلي: الإرشاد ٣/٨٦٦-٨٦٧، والرافعي: التدوين ٢/٤٢٦-٤٢٧.
(٢) التدوين ٢/١٣٥.
(٣) التدوين ٢/١٨٢.
(٤) في الأصل: علكوية.
(٥) التدوين ٢/٢١٠.
(٦) في الأصل: أبي.
(٧) التدوين ٢/٢٤٣.

مكتبة المهتدين الإسلامية

السجستاني، أو بَعْضَهَا[1].

(٦) حسنويه بن وهب: سَمِعَ كتابَ القرآنِ[2] لأبي حاتم السجستاني[3].

(٧) علي بن السري الورثاني: سَمِعَ أبا علي الطوسي طَرَفاً من القراءاتِ لأبي حاتم السجستاني، بقزوينَ[4].

أما النصوص التي نقل فيها الرافعي شيئاً من مادة كتاب القراءات لأبي حاتم فقد تجاوزت العشرين نصاً، وهي مفيدة جداً في إعطاء فكرة عن موضوع الكتاب، ومنهج المؤلف فيه، ومن ثم فإني سوف أنقل تلك النصوص بحذافيرها، ليطلع عليها القارئ، ويشارك في تقدير ما يمكن أن يُسْتَنْبَطَ منها.

النص الأول[5]: «محمد بن أحمد بن سوار، سَمِعَ أبا علي الحسن بن علي الطوسي بقزوين أَجْزَاءً من القراءات لأبي حاتم السجستاني، وفي ما سَمِعَ: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[6]، قراءةُ العامَّةِ: (سَأُرِيكُمْ)، مِن أَرَى يُرِي. وحَدَّثَني يعقوبُ، حَدَّثَني يوسفُ صاحبُ المَشَاجِبِ، عن عَوْفٍ، عن قَسَامَةَ بنِ زُهَيْرٍ: أَنَّهُ قَرَأَ: (سَأُوَرِّثُكُمْ)[7]، وهو حَسَنٌ، لقولهِ تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾[8]، ويُقَوِّيهِ إثباتُ الواوِ في ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾، وكان الوَجْهُ على قراءة العامَّةِ أَنْ تُكْتَبَ (سَأُرِيكُمْ) بغيرِ واوٍ، لكنهم كَتَبُوا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ بالواو، ولا واوَ في اللفظ».

النص الثاني[9]: «محمد بن إسحاق الوَرَّاق: سَمِعَ أبا علي الحسن بن علي الطوسي، في القراءات لأبي حاتم السجستاني: (اغفر لي ولِوَالِدَيَّ وللمُؤْمِنَيْنِ)[10]، يعني أَبَوَيْهِ، وقَرَأَ سعيدُ بن جُبَيْرٍ: (ولِوَالِدِي) يَعْنِي أَبَاهُ»[11].

(١) التدوين ٢/٤٤١.
(٢) كذا في الأصل، ولعله: القراءات، ولم يذكر عمن رواه.
(٣) التدوين ٢/٤٨٣.
(٤) التدوين ٣/٣٦٤
(٥) التدوين ١/١٨٣.
(٦) الأعراف ١٤٥.
(٧) ينظر: أبو حيان: البحر المحيط ٥/١٧٢-١٧٣.
(٨) الأعراف ١٣٧
(٩) التدوين ١/٢٢١.
(١٠) في المصحف ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ نوح ٢٨.
(١١) ينظر: النحاس: إعراب القرآن ٣/٥١٩، وأبو حيان: البحر المحيط ١٠/٢٨٨-٢٨٩.

http://www.al-maktabeh.com

النص الثالث[1]: «محمد بن جعفر بن عمرو بن أحمد: سَمِعَ بقزوين أبا علي الطوسي، في القراءات لأبي حاتم السجستاني، قَرَأَ ﴿يُوسُفَ﴾ [2]، و﴿يُونُسَ﴾[3] بالكَسْرِ: طلحةُ، وعاصمٌ، والحسنُ، والأعمشُ، واخْتُلِفَ عنهم[4]، قال أبو حاتم: هما اسمانِ أعجميانِ، والضَمُّ فيهما قراءة الفصحاء، ومَن كَسَرَهُمَا فإنه يَهْمِزُ الواوَيْنِ، ويتوهمهما سُمِّيَا[5] بالفعل، مِن آنَسَ يُؤْنِسُ وآسَفَ يُؤْسِفُ، وإنْ تُرِكَ الهمزُ فعلى التخفيف، قال أبو زيد: مِن العرب مَن يَهْمِزُ ويفتحُ النونَ والسينَ، وهو صوابٌ أيضاً»[6].

النص الرابع[7]: «محمد بن الحسين بن عبد الله: سَمِعَ أبا علي الطوسي بقزوين، في قراءات أبي حاتم السجستاني، قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾[8]، قراءةُ العامَّةِ: (وآلِهَتَكَ)، جَمْعُ الإلَه، وقَرَأَ الأعمشُ: (وَقَدْ تَرَكَكَ وآلِهَتك)[9]. قيلَ للحَسَنِ: وهَلْ كانَ فرعونُ يعبدُ شيئاً؟ قال: نَعَمْ، ويقالُ إنَّهُ كان يعبدُ البقرَ، وعن ابنِ عباسٍ والضحاكِ بنِ مزاحمٍ[10]: (ويَذَرَكَ وإلاهَتَكَ)، يَعْنِي عِبَادَتَكَ، قالَ ابن عباس: وكانَ فرعونُ يعبدُ، ويُقَالُ للرجلِ إذا نَسَكَ وتَعَبَّدَ تَأَلَّهَ، قال رُؤْبَةُ:

سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِن تَأَلُّهِي

أَيْ: حينَ رَأَيْنَنِي نَسَكْتُ، ويُرْوَى عن ابنِ عباسٍ مَعَ ذلك: (وَيَذَرُكَ) بالرَّفْعِ، وهذا على القَطْعِ مِن الأَوَّلِ، كأنَّهُ قالَ: وَهُوَ يَذَرُكَ، ويُمْكِنُ أنَ يكونَ معطوفاً على أَتَذَرُ مُوسَى»[11].

النص الخامس[12]: «محمد بن ديزك، سَمِعَ بقزوين أبا علي الطوسي في القراءات

---

(١) التدوين ١/٢٣٩.
(٢) يوسف ٤.
(٣) النساء ١٦٣.
(٤) في الأصل: عنها، وفي شواذ القراءات (ص ١٤٧): باختلاف عنهم.
(٥) في الأصل المطبوع: ويتوهما هما سميا.
(٦) ينظر: النحاس: إعراب القرآن ١/٤٧٢، وأبو حيان: البحر المحيط ٤/١٣٧.
(٧) التدوين ١/٢٦٥.
(٨) الأعراف ١٢٧.
(٩) ينظر: النحاس: إعراب القرآن ١/٦٣٢، أبو حيان: البحر المحيط ٥/١٤٣-١٤٤.
(١٠) نسبها الدمياطي في إتحاف فضلاء البشر (٢/٦٠) إلى ابن محيصن والحسن.
(١١) ينظر: ابن خالويه: مختصر في شواذ القراءة ص٤٥، وابن جني: المحتسب ١/٢٥٦، والكرماني: شواذ القراءات ص ١٩٢.
(١٢) التدوين ١/٢٨٨.

مكتبة المهتدين الإسلامية

لأبـي حـاتم السجسـتاني: ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [1]، أبو عمـرو والعامَّةُ على ما في الإمـامِ، وكذلـك نَقْـرَأُ[2]، وقَرَأَهَا: (فَمَنْ جاءَتْهُ موعظةٌ) بزيادةِ تاءٍ الْحَسَـنُ، رحمه الله»[3].

النص السادس[4]: «محمـد بـن عبـد كان: سَـمِعَ أبـا علـي الطوسـي بقزوين، في القـراءات لأبـي حـاتم السجسـتاني: ﴿ تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [5]، مُتَحَـرِّكَ الـراءِ، كـذا القراءةُ، والعَرَضُ متاعُ الدنيا أَجْمَعُ، والعَرْضُ ما سِـوَى الدراهمِ والدنانيرِ»[6].

النص السابع[7]: «محمد بن عبد الله بن شـاذان: سَـمِعَ أبا علي الحسـن بن علي الطوسـي، في القراءات لأبي حاتم السجسـتاني: ﴿ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ [8]، بِكَسْرِ السينِ مجاهدٌ ونافعٌ وأبو عَمْرٍو والكسائِيُّ، ويُرْوَى أَنَّ لغةَ النبي ﷺ كَسْرُ السين في كلامِهِ وقراءتِهِ، وعن محمد بن المنكدر عن جابر: أَنَّهُ سمَعَ النبيَّ ﷺ يَقْـرَأُ ﴿ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ﴾ [9]، بِكَسْـرِ السـينِ، وقـرأ ﴿ يَحۡسَبُهُمُ ﴾ بِفَتْحِ السينِ أبو جعفرٍ والأعمشُ وعاصمٌ وحمزةُ، والقياسُ حَسِبَ يَحْسَبُ بالفتح، والكَسْرُ لغةُ أهلِ الحجازِ، وفَعِلَ يَفْعِلُ لا يوجدُ إلا في أحرفٍ قليلة[10].

النص الثامن[11]: «محمد بن علي بن كرامة القزويني: سَمِعَ بعض القراءات لأبي حاتم السجسـتاني، مِن أبي علي الطوسـي، وفي ما سَمِعَ: ﴿ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴾[12]، أَيْ: وما كان مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ منه الجبالُ، وعن عمر بن الخطاب وعلـي - رضـي الله عنهمـا: (وإنْ كادَ، بالدال، لَتَزُولُ منـه الجبالُ) بالرفعِ، وعن علي

---

(1) البقرة ٢٧٥.
(2) في الأصل: يقرأ، ولعل الصواب ما أثبته.
(3) ينظر: النحاس: إعراب القرآن ٢٩٤/١، وأبو حيان: البحر المحيط ٧٠٨/٢.
(4) التدوين ٣١١/١.
(5) النساء ٩٤.
(6) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ١٧٠/٧ (عرض).
(7) التدوين ٤٢٨/١.
(8) البقرة ٢٧٣.
(9) الهمزة ٣.
(10) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٣١٥/١ (حسب)، وأبو حيان: البحر المحيط ٦٩٧/٢.
(11) التدوين ٤٤٦/١.
(12) سورة إبراهيم ٤٦.

http://www.al-maktabeh.com

وابن عباس: (وإن كان مكرهم لَتَزُولُ)»[1].

النص التاسع[2]: «إبراهيم بن عبد السلام: سَمِعَ بقزوينَ أبا علي الطوسي في القراءات لأبي حاتم: ﴿فَمَا وَهَنُواْ ... وَمَا ضَعُفُواْ﴾[3]، قال أبو حاتم: قُتِلَ بَعْضُهُم، ولم يَهِنِ الباقونَ، وقرأ أبو السَّمَّال[4] العَدَوِيُّ: (فما وَهِنُوا) بكسرِ الهاءِ، قال أبو حاتم: هي لغةٌ، فقال: وَهِنَ يَهِنُ[5]، وَوَرِمَ يَرِمُ، والوَجْهُ الأَعْرَفُ وَهَنَ يَهِنُ»[6].

النص العاشر[7]: «إبراهيم بن يونس: سَمِعَ أبا علي الحسن بن علي الطوسي بقزوين، في القراءات لأبي حاتم السجستاني: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾[8]، بسكونِ الدالِ قراءةُ العامَّةِ، وقرأهما بفتحِ الدالِ بَعْضُهُمْ[9]، قال أبو حاتم: والمعنى واحدٌ إلا أَنَّا نَتَّبِعُ قراءةَ العامَّةِ[10]، ونقرأُ ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾[11] بالتحريك، قال أبو زيد: وسَمِعْتُ مِنَ الأعرابِ مَن يقولُ: هُمْ يتكَلَّمُونَ في القضاءِ والقَدْرِ، بسكونِ الدالِ، وسَمِعْتُ مَن يقول: احْمِلْ قَدْرَ ما تُطِيقُ[12]، بالتخفيفِ وبالتحريكِ جميعاً»[13].

النص الحادي عشر[14]: «أحمد بن صالح الحداد، والدُ عليِّ بنِ صالحٍ المقرئ: رَوَى عنه ابنُهُ... وسَمِعَ أحمدُ بن صالح أبا علي الطوسي، في القراءات لأبي حاتم

(١) ينظر: ابن إدريس: الكتاب المختار ٤٤٢/١، وابن خالويه: مختصر في شواذ القراءة ص ٦٩، وابن جني: المحتسب ٣٦٥/١، والكرماني: شواذ القراءات ص ٢٦٣، وأبو حيان: البحر المحيط ٤٥٤/٦.

(٢) التدوين ١١٣/٢.

(٣) آل عمران ١٤٦.

(٤) في الأصل المطبوع: السماك، وهو تحريف.

(٥) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٤٥٣/١٣ (وهن).

(٦) ينظر: ابن خالويه: مختصر شواذ القراءة ص ٢٢، وابن جني: المحتسب ١٧٤/١، والكرماني: شواذ القراءات ص ١٢٢.

(٧) التدوين ١٣١/٢-١٣٢.

(٨) البقرة ٢٣٦.

(٩) قرأ حفص عن عاصم، وابن ذكوان عن ابن عامر، وحمزة والكسائي (قَدَرُهُ) بفتح الدال، والباقون بإسكانها (ينظر: الداني التيسير ص ٨١).

(١٠) قال النحاس (إعراب القرآن ٢٧١/١): «حكى أكثر أهل اللغة أن قَدْراً أو قَدَراً بمعنى واحد»، وقال أبو حيان (البحر المحيط ٥٣٣/٢): «وهما لغتان فصيحتان... وعلى أنهما بمعنى واحد أكثر أهل العربية».

(١١) الرعد ١٧.

(١٢) في الأصل: يطيق.

(١٣) ينظر: ابن إدريس: الكتاب المختار ١٠٧/١، والكرماني: شواذ القراءات ص ٩٣.

(١٤) التدوين ١٨٣/٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

السجستاني: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ [1]، و(غَرْفَةً)[2]، واخْتَرْنَا الضَّمَّ لأنَ الغُرْفَةَ مِلْءُ الكَفِّ، والمَغْرَفَةُ والغُرْفَةُ بالفتحِ يكونُ للقليلِ والكثيرِ، وقد تَغْرِفُ السفينةُ مِئَةَ قِرْبَةٍ وأكثرَ»[3].

النص الثاني عشر[4]: «أحمد بن مأمون، سَمِعَ أبا علي الحسن بن علي الطوسي بقزوينَ، في القراءاتِ لأبي حاتم السجستاني: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ [5]، بالكسرِ[6]، معناه: أَرْدَفُوا الناسَ، أَيْ: جاؤوا بَعْدَهُمْ على آثارِهِمْ[7]، قالَ:

إذا الجَوْزَاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ظَنَنْتُ بآلِ فاطمةَ الظُّنُونَا

الجَوْزَاءُ تَطْلُعُ بعدَ طُلُوعِ الثُّرَيَّا.

النص الثالث عشر[8]: «أحمد بن محمد بن مهدي الشرابي، سَمِعَ أبا علي الطوسي في القراءاتِ لأبي حاتم: ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [9]، قراءةُ العامَّةِ، وقَرَأَ (قِيَماً) بكسرِ القافِ وفَتْحِ الياءِ، على (فِعَل) الجَحْدَرِيُّ وابنُ عامرٍ الشاميُّ[10]، وفيها لغةٌ أخرى، ولم يُقْرَأْ بها: قِوَاماً للناسِ، كما يُقَالُ: هذا قِوَامُ الأمرِ، وكذلك ﴿أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾[11]، يجوزُ في الكلامِ قِوَاماً، وفُلانٌ[12] حَسَنُ القَوَامِ، مفتوحَ القافِ،

---

(١) البقرة ٢٤٩.

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر (غرفة) بضم الغين، والباقون بفتحها (ينظر: الداني: التيسير ص ٨١).

(٣) ينظر: النحاس: إعراب القرآن ١/٢٧٩، وأبو حيان: البحر المحيط ٢/٥٨٨.

(٤) التدوين ٢/٢٢٣.

(٥) الأنفال ٩.

(٦) قرأ أبو جعفر ونافع ويعقوب بفتح الدال، والباقون بكسرها (ينظر: الداني: التيسير ص ١١٦، وابن الجزري: تقريب النشر ص١١٨).

(٧) ينظر: النحاس: إعراب القرآن ١/٦٦٧، وابن إدريس: الكتاب المختار ١/٣٢٩، وأبو حيان: البحر المحيط ٥/٢٧٩.

(٨) التدوين ٢/٢٥٢-٢٥٣.

(٩) المائدة ٩٧.

(١٠) ينظر: النحاس: إعراب القرآن ١/٥٢٠، وابن إدريس: الكتاب المختار ١/٢٣٩، والداني: التيسير ص ١٠٠، وأبو حيان: البحر المحيط ٤/٣٧٣.

(١١) النساء ٥.

(١٢) في الأصل: فلان.

http://www.al-maktabeh.com

وقولُـهُ: (قِيَمـاً) لغـةٌ، وقُرِئَ: ﴿ دِينًا قِيَمًا ﴾[1]، و(قَيِّماً)[2]، وأنشـدَ أبـو زيدٍ الأنصارِيُّ لِحَسَّانَ:

نَشْهَدُ أَنَّكَ عبدُ المَلِيكِ   أُرْسِلْتَ نُوراً بِدِينٍ قِيَمْ»

النص الرابع عشر[3]: «الحسـن بن أحمد بن سـعد، سَـمِعَ[4] أبا علي الطوسـي في القراءاتِ لأبي حاتم السجستاني: كان سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ يَرْوِي عن ابنِ عباسٍ: ﴿ أُولَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[5]، ويُقَالُ بَلْ قَرَأَ: (أولئك لهم نصيب مما كسبوا)».

النص الخامس عشر[6]: «الحسـن بـن سـعيد، سَمِعَ في القـراءاتِ لأبـي حـاتم السجسـتاني، مِن أبي علي الطوسـي، قَرَأَ ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾[7]، بالكسرِ: طلحةُ ابـن مُصَـرِّفٍ والجَحْدَرِيُّ[8]، والقراءةُ المعروفـةُ ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ ﴾ بالفتحِ، وإنما العِدْلُ بالكسرِ مِن أَعْدَالِ المَتَاعِ[9]، والكسرُ لغةُ تميمٍ، وفي الحديثِ: (لا يَقْبَلُ اللهُ منهُ صَرْفاً ولا عَـدْلاً)[10]، رُوِيَ في التفسـيرِ: أَنَّ الصَّـرْفَ التوبـةُ، والعَدْلَ الفِدْيَـةُ، وليسَ قَوْلُ مَن قالَ إنَّهُ الفريضةُ والنافلةُ بشيءٍ»[11].

النص السادس عشر[12]: «الحسـن بن متويه، سَـمِعَ أبا علي الطوسي بقزوينَ، في القراءات لأبي حاتم السجستاني: ﴿ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾[13]، بِفَتْحِ الميمِ عاصمٌ

---

(١) الأنعام ١٦١.
(٢) قال ابن الجزري في تقريب النشر (ص١١٣): «قرأ ابن عامر والكوفيون (قِيَماً) بكسر القاف وفتح الياء مخففة، والباقون بفتح القاف وكسر الياء مشددة».
(٣) التدوين ٢/٣٩٦.
(٤) زيادة ليست في الأصل، يقتضيها السياق.
(٥) الأعراف ٣٧، وفي الأصل: أولئك ينالهم نصيبهم مما اكتسبوا، ولعله سهو من الناسخ أو المؤلف.
(٦) التدوين ٢/٤١١-٤١٢.
(٧) المائدة ٩٥.
(٨) ينظر: النحاس: معاني القرآن ١/٣٠٦ - ٣٠٧، وأبو حيان: البحر المحيط ٤/٣٦٨.
(٩) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ١١/٤٣٢ (عدل).
(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه، من حديث علي رضي الله عنه (ص ١٣٩١، رقم الحديث ٧٣٠٠)، ومسلم في صحيحه (ص ٥٣٨، رقم الحديث ١٣٦٦).
(١١) ينظر: أبو عبيد: غريب الحديث ٣/١٦٧-١٦٨.
(١٢) التدوين ٢/٤٣٠.
(١٣) البقرة ١٩٨.

مكتبة المهتدين الإسلامية

والناسُ [1]، قال أبو عاصم: وسَمِعْتُ فصيحاً يقولُ: المِشْعَرِ بكسرِ الميمِ، يَتَكَلَّمُ به في دُعَاءٍ لَهُ».

النص السابع عشر[2]: «الحسين بن أحمد بن شيبان، سَمِعَ أبا علي الطوسي في القراءات لأبي حاتم: قَرَأَ مجاهِدٌ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾[3]، بالنصبِ، على معنى: صُومُوا شَهْرَ رَمَضَانَ، أو على البدلِ مِن قولهِ: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾[4]، وقراءةُ العامَّةِ الرفعُ على الابتداءِ»[5].

النص الثامن عشر[6]: «عبد الرحمن بن عبدوس، سَمِعَ في القراءاتِ لأبي حاتم السجستاني أبا علي الطوسي: ﴿كَيْفَ نُنْشِرُهَا ﴾[7]، بالراءِ وضَمِّ النونِ ابنُ عباس، واخْتُلِفَ عنه، والأعرجُ، وأبو جعفرٍ، ونافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عَمْرٍو، والأعمشُ، والحسنُ، واخْتُلِفَ عنهما. وقُرِئَ ﴿ نَنْشِزُهَا ﴾ بالزاي وفَتْحِ النونِ، وقُرِئَ بالزاي المعجمةِ وضَمِّ النونِ: ﴿ نُنشِزُهَا ﴾[8]، ويُرْوَى عن النَّخَعِيِّ والأعمشِ (نَنْشِزُ) بالزاي وفَتْحِ النونِ / ج٣/ص١٤٩/، قال أبو حاتم: ليسَ هذا بِشَيْءٍ، ولا يَجُوزُ فَتْحُ النونِ، يُقَالُ: نَشَزَ الشَّيْءُ وأَنْشَزْتُهُ أَنَا، ويُقَالُ: نَشَزَتِ المرأةُ ونَشَصَتْ، ونَشَزَتْ ثَنِيَّةُ الرَّجُلِ ونَشَصَتْ لُغَتانِ، ورُوِيَ عن ابنِ عباسٍ (نُنْشِزُهَا) بالزاي، قال أبو حاتم: وكذلك رُوِيَ في مُصْحَفِ أبي مريمَ الْحَنَفِيِّ[9]، قاضِي عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه على البصرة»[10].

النص التاسع عشر[11]: «العباس بن حمدان، ويُقَالُ: ابن حَمْكُوَيْهِ[12]، سَمَعَ أبا علي

(١) قال النحاس (إعراب القرآن ٢٤٧/١): «ومَشْعَر مَفْعَل من شعرت به، أي علمت به، أي معلم من متعبدات الله جل وعز»، وينظر: أبو حيان: البحر المحيط ٢٩٧/٢.
(٢) التدوين ٤٤٣/٢.
(٣) البقرة ١٨٥.
(٤) البقرة ١٨٤.
(٥) ينظر: النحاس: إعراب القرآن ٢٣٧/١-٢٣٨، وأبو حيان: البحر المحيط ١٩٣/٢.
(٦) التدوين ١٤٨/٣.
(٧) البقرة ٢٥٩.
(٨) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر وخلف (ننشزها) بالزاي، والباقون من العشرة بالراء (ينظر: ابن الجزري: تقريب النشر ص ٩٧).
(٩) اسمه إياس بن ضبيح، من بني حنيفة، كان مع مسيلمة في اليمامة، ثم أسلم وحسن إسلامه، وَوَلاَّهُ عمر ابن الخطاب قضاء البصرة (ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٩٦/٧).
(١٠) ينظر: النحاس: إعراب القرآن ٢٨٥/١، وأبو حيان: البحر المحيط ٦٣٧/٢.
(١١) التدوين ٢٩٣/٣.
(١٢) في الأصل: حمكوية.

http://www.al-maktabeh.com

الحسن بن أحمد الطوسي، في القراءاتِ لأبي حاتم السجستاني: ﴿ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾[1]، قراءةُ العامَّةِ، وقَرَأَهَا (جُزُؤاً) بِضَمَّتَيْنِ وبالْهَمْزِ: أبو جعفرٍ وأبو عاصمٍ[2]، وهما لغتانِ معروفتانِ، وكذلكَ ﴿ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾»[3].

النص العشرون[4]: «علي بن أحمد الأنجرميني، سَمِعَ في القراءاتِ لأبي حاتم السجستاني أبا علي الطوسي: قَرَأَ ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾[5]: عليُّ بن أبي طالب وابنُ عباسٍ، واخْتُلِفَ عنه، ومجاهدٌ وعكرمةُ ونافعٌ وعاصمٌ، واخْتُلِفَ عنه، وقَرَأَ (فَصِرْهِنَّ) سعيدٌ وقتادةُ وطلحةُ والأعمشُ وعاصمٌ[6]، ولم يَصِحَّ عن أَحَدٍ (فَصَرَّهُنَّ) من صَرَّى يُصَرِّي، و(صُرْهُنَّ) مِن صَارَ يَصُورُ، كأَنَّهُ يقولُ: أَمِلْهُنَّ إليكَ، و(صِرْهُنَّ) مِن صَارَ يَصِيرُ، أَيْ: قَطِّعْهُنَّ»[7].

النص الحادي والعشرون[8]: «علي بن زيرك، سَمِعَ في القراءاتِ لأبي حاتم السجستاني مِن أبي علي الطوسي، بقزوينَ: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ ﴾[9]، بِجَزْمِ اللامِ والميمِ: الحسنُ وأبو جعفرٍ ونافع[10] وأبو عَمْرٍو وعاصمٌ، وقَرَأَ بكسرِ اللامِ وفَتْحِ الميمِ: يحيى بن وَثَّابٍ والأعمشُ، فالأُولَى على مذهبِ الأَمْرِ، وهي قراءةُ العامَّةِ[11]، والثانيةُ على مذهبِ (كَيْ)، وزَعَمَ الخليلُ وأصحابُهُ أَنَّ ما نُصِبَ بعدَ اللامِ وبعدَ كَيْ وحَتَّى بإضمارِ (أَنْ) الخفيفةِ»[12].

---

(١) البقرة ٢٦٠.

(٢) قال النحاس (إعراب القرآن ٢٨٦/١): «وقرأ أبو جعفر وعاصم (جزءا) على (فُعُل)»، وينظر: البحر المحيط ٦٤٧/٢.

(٣) الحجر ٤٤.

(٤) التدوين ٢٣٧/٣.

(٥) البقرة ٢٦٠.

(٦) قرأ أبو جعفر وحمزة وخلف ورويس (فَصِرْهُنَّ)، والباقون بضمها (ينظر: ابن الجزري: تقريب النشر ص٩٨).

(٧) ينظر: ابن جني: المحتسب ١٢٦/١-١٢٧، وأبو حيان: البحر المحيط ٦٤٦/٢.

(٨) التدوين ٣٦٣/٣.

(٩) المائدة ٤٧.

(١٠) في الأصل: رافع.

(١١) قرأ حمزة من العشرة بكسر اللام (ينظر: ابن الجزري: تقريب النشر ص ١٠٧).

(١٢) ينظر: النحاس: إعراب القرآن ٥٠٠/١، وأبو حيان: البحر المحيط ٢٨٠/٤.

مكتبة المهتدين الإسلامية

المطلب الثالث: منهج كتاب القراءات لأبي حاتم من خلال النصوص

لا شك في أن موضوع كتاب القراءات الكبير لأبي حاتم هو القراءات القرآنية، لكن رسم صورة واضحة لمعالم الكتاب وتحديد ما تضمنه من أبواب، ومعرفة موقف أبي حاتم من القراءات وتصنيفها إلى صحيحة وشاذة، يبدو أمراً صعباً، لكنه ليس بمستحيل، لأن ما بقي من نصوصه، خاصة المنقولة منه نقلاً حرفياً كفيلة بإلقاء ضوء على هذه الجوانب المتعلقة بالكتاب، ويمكن الحديث من خلال ذلك عن أربعة جوانب مهمة، وهي:

(١) مقدمة الكتاب: تتضمن بعض روايات حديث الأحرف السبعة، وبيان معناه، كما تشير إلى ذلك الروايات التي نقلها أبو الفضل الرازي في كتابه (معاني الأحرف السبعة)، والتي أثبتُّ عشرة منها في المطلب الأول من هذا المبحث.

(٢) القراء الذين ورد ذكرهم في الكتاب: لم يكن مصطلح القراء السبعة أو العشرة قد عُرِفَ في زمن أبي حاتم، وإن كان هؤلاء القراء وقراءاتهم معروفة متداولة، وقد ذكر أكثرهم في النصوص التي نقلتها من كتاب (التدوين) للرافعي، وذكر أكثر منهم من قراء الصحابة والتابعين وغيرهم، وبلغ عدد أسماء القراء الذين ذكرهم، ونقل قراءاتهم سبعة وعشرين، ويمكن تقسيمهم على النحو الآتي، علماً أن الرقم بعد كل اسم يشير إلى مرات وروده في النصوص المذكورة:
من الصحابة: عمر بن الخطاب (١)، علي بن أبي طالب (٢)، ابن عباس (٥).
من القراء العشرة:[1] نافع (٤)، ابن كثير (١)، أبو عمرو (٤)، عاصم (٤)، حمزة (١)، الكسائي (١)، ابن عامر (١)، أبو جعفر (٤).
من غيرهم من مختلف الأمصار: الحسن (٤)، الأعمش (٦)، طلحة بن مصرف (٣)، مجاهد (٣)، سعيد بن جبير (٢)، الضحاك بن مزاحم (١)، أبو السمال (١)، الأعرج (١)، عكرمة (١)، قتادة (١)، يحيى بن وثاب (١)، النخغي (١)، أبو عاصم (١)، أبو مريم الحنفي (١).

---

(١) قال مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه الإبانة (ص٣٧)، وهو يتحدث عن القراء من السبعة وغيرهم: «قد ترك أبو حاتم وغيره ذكر حمزة والكسائي وابن عامر، وزاد نحو عشرين رجلاً من الأئمة ممن هو فوق هؤلاء السبعة». وما ورد في النصوص التي نقلناها من كتاب أبي حاتم يشير إلى عدم دقة ما ورد في قول مكي، والله أعلم.

http://www.al-maktabeh.com

(٣) القراءات القرآنية عند أبي حاتم بين الصحة والشذوذ: تشير قائمة أسماء القراء الذين ذكر أبو حاتم قراءاتهم في الكتاب إلى أنه لم يقصد ذِكْرَ ما صار يعرف بالقراءات الصحيحة لاحقاً، من السبعة أو العشرة، واستبعاد ما شذ عنها، لأن مصطلح السبعة لم يكن قد ظهر بعد، وكذا العشر، والأربع عشرة، وإنما قَصَدَ ذِكْرَ ما كان معروفاً من قراءات في زمانه، وهو يحكم على القراءة ليس من خلال اسم القارئ، وإنما من خلال تحقق شروط القراءة الصحيحة فيها، وهي صحة السند، وموافقة الخط، وموافقة العربية، وشاع عنده استعمال عبارة (قراءة العامة) حين يريد أن يصف قراءة جمهور القراء في مقابل بعض القراءات التي انفرد بها بعض القراء.

ويؤكد ذلك ما قاله أبو الفضل الرازي، وهو يتحدث عن عدد القراء المشهورين في الأمصار، وأنهم كانوا أكثر من الأئمة الخمسة الذين اشتهرت قراءاتهم في الأمصار الخمسة، وهم: نافع في المدينة، وابن كثير في مكة، وعاصم في الكوفة، وأبو عمرو في البصرة، وابن عامر في الشام، أو السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد في كتابه: «على أن الناس قد كانوا يؤلفون في القراءات في ما بعد الأئمة الخمسة، فيقدمون فيها ما شاؤوا عدداً من الأئمة، من الخمسة وغيرهم، ولم يكونوا مما يعرفون التسبيعُ بحالٍ... على نحو ما نجده في كتاب أبي حاتم وأبي عبيد وغيرهما، فإنك تجد في كل واحد عدداً كثيراً من الأئمة وحروفهم تجاوز الخمسة والسبعة والعشرة...»(١).

ويتضح مما ذكرناه خطأ القول بأن كتاب القراءات الكبير لأبي حاتم هو في القراءات الصحيحة، وأن كتابه الصغير هو في القراءات الشاذة، فالواقع أن الكتاب الكبير هو في القراءات جميعها، صحيحها وشاذها، وأن الصغير هو في ذكر اختيار في القراءة أبي حاتم فقط.

(٤) توجيه القراءات عند أبي حاتم: لم يكتف أبو حاتم بذكر قراءات القراء فقط، كما يظهر في النصوص التي نقلناها، ولكنه كان يحرص على توجيه ما يذكره من قراءات، بالاعتماد على لغات العرب، والتوجيه النحوي، والمعنوي لها، مستشهداً بآيات القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب شعراً ونثراً،

---

(١) معاني الأحرف السبعة ص ٣٢٦.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ومحاولاً الترجيح بينها، بناء على كثرة من قرأ بها أو قوتها في اللغة أو التفسير، وشعاره في ذلك هو الأخذ بقراءة ما سَمَّاهُ قراءة العامة، أي جمهور القراء.

وكان أبو عمرو الداني حين ذكر المصنفين في القراءات في أرجوزته (المنبهة) قال[1]:

ثم تلاه سَهْلٌ البصرِيُّ ... وهو أبو حاتمٍ النحوِيُّ

وصَنَّفَ الحروفَ والمَقَارِي ... ولم يُقَيِّد ذاك بالآثارِ

لكنه بالَغَ في التعليلِ ... مِن غيرِ إسهابٍ ولا تطويلِ

وهذا يدل على أن أبا حاتم ضَمَّنَ كتابه تعليل القراءات، أي توجيهها بناء على لغات العرب، ومعاني الآيات، من غير إسهاب، لكن ابن جني قال، وهو يتحدث عن مصادره التي اعتمد عليها في كتابه المحتسب، وذكر كتاب أبي حاتم في القراءات، وكتاب محمد بن المستنير قطرب (ت٢٠٦هـ): «غير أن كتاب أبي حاتم أَجْمَعُ من كتاب قطرب لذلك، من حيث كان مقصوراً على ذكر القراءات، عارياً من الإسهاب في التعليل والاستشهادات التي انحط قطرب فيها، وتناهى إلى متباعد غاياتها»[2].

ولا يعرف لقطرب كتاب في القراءات، لكن ابن النديم ذكر له كتاباً في معاني القرآن[3]، وكذلك فَعَلَ القفطي[4]، وذكر له ياقوت الحموي إلى جانب ذلك كتاب إعراب القرآن، وكتاب مجاز القرآن [5]، وقد يكون كتاب معاني القرآن لقطرب هو الذي نقل منه ابن جني.

ويثير ما ذكره ابن جني عن كتاب أبي حاتم تساؤلاً هو: هل كان ابن جني وأبو عمرو الداني يتحدثان عن كتاب واحد، أو قصد كل واحد كتاباً غير ما قصده الآخر؟ لعلنا إذا فهمنا عبارة ابن جني في وصف كتاب أبي حاتم: (عارياً من الإسهاب في التعليل والاستشهادات) أن الكتاب لم يكن عارياً من التعليل، وإنما كان عارياً من الإسهاب في ذلك - فإن ذلك يعني أنهما كانا يتحدثان عن كتاب واحد، وهو كتاب أبي حاتم الكبير في القراءات.

---

(١) الأرجوزة المنبهة ص ١٥١.

(٢) المحتسب ١/٢٥-٢٦.

(٣) ينظر: الفهرست ص ٣٧ و٥٨

(٤) ينظر: إنباه الرواة ٣/٢٢٠.

(٥) ينظر: معجم الأدباء ٦/٢٦٤٧.

http://www.al-maktabeh.com

خاتمة

لم يكن الهدف من كتابة هذا البحث هو التعريف بحياة أبي حاتم السجستاني ومؤلفاته، ولا الحديث عن جهوده في علوم اللغة وعلوم القرآن، فإن هذه الجوانب قد أشبعها الدارسون من المتقدمين والمعاصرين، وإنما كان هدف البحث هو التعريف بكتاب القراءات لأبي حاتم، ومحاولة تحديد موضوعه، وبيان منهجه، والإشارة إلى اختيار أبي حاتم في القراءة، وعلاقته بكتاب القراءات، من خلال المعلومات التي وردت في المصادر، وما بقي من نصوص الكتاب.

وإذا كان اختيار أبي حاتم في القراءة قد حظي بعناية المؤلفين في القراءات من المتقدمين، مثل ابن مهران، والخزاعي، والهذلي، والأندرابي، ومن الدارسين المحدثين، خاصة الدراسة التي أنجزتها السيدة يسرى الغباني، في رسالتها للماجستير (أبو حاتم السجستاني والدراسات القرآنية: قراءة وتوجيهاً، وإعراباً للقرآن الكريم)، فإن كتابه في القراءات لم يحظ بما يستحق من عناية.

حاولت في المبحث الأول التعريف بكتاب القراءات لأبي حاتم السجستاني، وعلاقة اختيار أبي حاتم بالكتاب، وقد تبين أن أبا حاتم أَلَّفَ كتابين في القراءات، الأول: كبير، ذكر فيه القراءات التي قرأ بها القراء الذين وقف أبو حاتم على قراءاتهم، والثاني: صغير، ذكر فيه اختياره، وهو في جزءين كما ذكر أبو علي الأهوازي.

وقد تبين أن كتاب أبي حاتم الكبير ضم القراءات التي كانت معروفة في زمان تأليفه، من غير تقيد بما صار يعرف لاحقاً بالقراءات السبع أو العشر، وما شذ عنها، فلم تكن هذه المصطلحات قد ظهرت في الحقبة التي عاش فيها أبو حاتم، ومن ثم فإن ما ورد في الرسالة الموسومة (أبو حاتم السجستاني والدراسات القرآنية) من أن أبا حاتم ألف كتابين: أحدهما ذكر فيه القراءات الصحيحة، والثاني ذكر فيه القراءات الشاذة، غير دقيق.

وعرضتُ في المبحث الثاني عدداً من النصوص المنقولة من كتاب أبي حاتم الكبير في القراءات، نقلاً حرفياً، وهي تُقَرِّبُ ما تضمنه كتاب أبي حاتم من موضوعات، وتوضح منهجه في تناول القراءات التي تجاوزت في الكتاب من خلال النصوص التي

مكتبة المهتدين الإسلامية

نقلتها في البحث العشـرين قراءة، إلى جانب عناية أبي حاتم بتوجيه تلك القراءات، والترجيـح بينهـا، وكل ذلك يكشـف عن معالمِ منهجٍ مختلف في دراسـة القراءات عن المنهج الذي تأسس على يد ابن مجاهد بعد ذلك.

هذا، والله تعالى ولي التوفيق، والهادي إلى سواء السبيل.

http://www.al-maktabeh.com

(٥)

إسماعيل القاضي البغدادي وكتابه في القراءات القرآنية (تعريف موجز)[١]

مقدمة

الحمدُ للّهِ، ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن كتب تاريخ القراءات وتراجم القراء تشير إلى أن إسماعيل بن إسحاق القاضي البغدادي المالكي المتوفى سنة ٢٨٢هـ له كتاب في القراءات ذَكَرَ فيه عشرين قراءة! وقد وَصَفَهُ الخطيب بأنه «جليلُ القَدْرِ، عظيمُ الخَطَرِ»! ويحمل ذلك على التساؤل عن طبيعة هذا الكتاب الذي يبدو أن مؤلفه بناه على منهج غير المنهج الذي اشتهر على يد تلميذه ابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٤هـ الذي كان أول من سَبَّعَ السبعة، وكذلك على التساؤل عَمَّا امتاز به هذا الكتاب حتى وصفه الخطيب بهذا الوصف.

ويبدو أن كتاب إسماعيل القاضي في القراءات قد ذهبت نسخه المخطوطة منذ قرون بعيدة، ولم يبق منه إلا ذكره في كتب التراجم والفهارس، وإلا نصوصٌ متناثرة نقلها عدد من المؤلفين في القراءات، ممن اطلعوا على الكتاب، خاصة مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧هـ.

ووجدت أنه من المفيد تسليط الضوء على هذا الكتاب، ومعرفة منهج المؤلف فيه، والوقوف على ما بقي من نصوصه، على نحو ما فعلتُ في بحثي عن أبي عبيد القاسم ابن سلام البغدادي المتوفى سنة ٢٢٤ه وكتابه في القراءات[٢].

---

(١) منشور في: مجلة البحوث والدراسات الإسلامية (ملحق العدد الثالث والعشرين الخاص ببحوث مؤتمر القراءات القرآنية، الذي عُقِدَ في بغداد ٢٤/١٠/٢٠١٠م)، برعاية ديوان الوقف السني بغداد ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م (ص١٦٩-١٩١).

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي: حياته وجهوده في دراسة القراءات، مجلة كلية الشريعة في جامعة بغداد ١٤٠٦ه=١٩٨٦م، العدد التاسع (ص١٥١-٢١١)، (وهو أحد فصول هذا الكتاب).

مكتبة المهتدين الإسلامية

وحين مضيت أتتبع أخبار إسماعيل القاضي ونصوص كتابه اكتشفت أن كتابه في القراءات لم يكن إلا واحداً من عشرات الكتب التي أَلَّفَهَا، وأن أكثر تلك المؤلفات في علوم أخرى مثل الحديث والفقه والتفسير، كما وجدت أن وصفه بالقاضي كان ذا دلالة واضحة على أبرز ملامح شخصيته، وهي اشتغاله بالقضاء عشرات السنين، وكان قاضي القضاة ببغداد حتى وفاته، كما أنه كان من أسرة عريقة في العلم والفقه والقضاء، تنتسب إلى مُحَدِّثِ البصرة (حماد بن زيد)، وقد ازدانت مجالس العلم والقضاء في بغداد والبصرة برجالات هذه الأسرة عدة قرون.

وحين تلقيت دعوة من المركز العراقي لإقراء القرآن الكريم في بغداد للمشاركة في (المؤتمر العلمي الأول للحفظ والقراءات في العراق) بكتابة بحث ضمن محاور المؤتمر وجدت أن هذه الفرصة مناسبة للحديث عن إسماعيل القاضي وجهوده في القراءات القرآنية والتعريف بكتابه المفقود في القراءات، لأنه يمثل منهجاً قديماً في دراسة القراءات ورواياتها، لا يتقيد بعدد محدد من القراءات، وحل محله منهج جديد يحصر القراءات الصحيحة في سَبْعٍ، ويَعُدُّ ما عداها شاذاً، ومؤسس هذا المنهج ابن مجاهد، تلميذ إسماعيل القاضي.

ولا يتسع بحث واحد لتناول جميع جوانب شخصية القاضي إسماعيل العلمية، ومن ثم فإني سوف أقتصر في هذا البحث على تناول ما يتعلق بجهوده في القراءات، مع تقديم تعريف موجز بأبرز محطات حياته، من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف موجز بحياته.

المبحث الثاني: اشتغاله بعلم القراءات.

المبحث الثالث: تعريف بكتابه في القراءات ومنهجه فيه.

المبحث الرابع: نصوص من الكتاب.

والله تعالى ولي التوفيق، والهادي إلى سواء السبيل.

http://www.al-maktabeh.com

المبحث الأول

تعريف موجز بحياة إسماعيل القاضي

عاش إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل القاضي بين سنتي (١٩٩-٢٨٢هـ)، ويكون بذلك قد عاصر عشرة من خلفاء الدولة العباسية، بدءاً بعصر المأمون (ت٢١٨هـ)، وإنتهاء بخلافة المعتضد (ت٢٨٩هـ)، وكانت له مشاركة في بعض أحداث هذه الحقبة، لا سيما أنه كان قاضي القضاة في بغداد لمدة طويلة.

والقاضي إسماعيل من أسرة علمية عريقة، فوالد جده حماد بن زيد (ت١٧٩هـ) مُحَدِّثُ البصرة في عصره، وبرز من هذه الأسرة عدد من العلماء والقضاة، ولم تبخل كتب التراجم في الحديث عن سيرة القاضي إسماعيل وسيرة أعلام أسرته، ولعل أهم ترجمة له هي التي وردت في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)[١]، وسبقه في الترجمة له ابن النديم (ت٣٨٥هـ) في الفهرست، والخليلي (ت٤٤٦هـ) في كتابه الإرشاد في معرفة علماء الحديث[٢]، وترجم له القاضي عياض (٥٤٤هـ) ترجمة مفصلة في كتابه ترتيب المدارك[٣]، ونقل ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) معظم ترجمته عن الخطيب البغدادي في معجم الأدباء وأضاف إليها بعض الإضافات[٤]. ولا يكاد كتاب من كتب التراجم والطبقات الخاصة بالمحدثين والفقهاء والقرَّاء والقضاة تخلو من ترجمة له[٥].

١. أسرته ونشأته ووفاته:

ولد إسماعيل سنة تسع وتسعين ومئة[٦]، في البصرة موطن آبائه وأجداده، وجاء

(١) تاريخ بغداد ٧/٢٧٢- ٢٨١.

(٢) ينظر: الفهرست ص٢٥٢، والإرشاد ٢/٦٠٨.

(٣) ينظر: ترتيب المدارك ٢/٢٦٦-٢٨٣.

(٤) ينظر: معجم الأدباء ٢/٦٤٧-٦٥١.

(٥) تنظر مصادر ترجمته: عمر رضا كحالة ٢/٢٦١. وقد كتب الدكتور سليمان بن عبد العزيز العريني دراسة عن إسماعيل القاضي بعنوان (الإمام أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل البصري ثم البغدادي) في ٥٨ صحيفة، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م، وكتب الدكتور عامر حسن صبري دراسة عنه في مقدمة تحقيقه كتاب (أحكام القرآن) للقاضي إسماعيل ص ٩-٢٤، دار ابن حزم، بيروت ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.

(٦) ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ١/١٦٢، والداودي: طبقات المفسرين ١/ ١٠٧، وذكر ياقوت في معجم الأدباء (٢/٦٤٧) أن مولده سنة مئتين.

مكتبة المهتدين الإسلامية

في المصادر التي ترجمت له القول: إن أصله من البصرة، وبها نشأ، ثم استوطن بغداد[1]، وكان أبوه قد وَلِيَ القضاء في البصرة[2]. وأخذ إسماعيل عن شيوخ البصرة قبل أن ينتقل إلى بغداد فكان يقول: «أفخر على الناس برجلين بالبصرة: أحمد بن المعدل يُعَلِّمُنِي الفقه، وعلي بن المديني يُعَلِّمُنِي الحديث»[3].

واخْتُلِفَ في اسم أم إسماعيل، فقيل: شاخةُ بنت معاذ السدوسية، وقيل: شُحَيْمَةُ[4]. وكان لإسماعيل أبناء لم يشتهروا شهرته، منهم أبو عمرو موسى، وأبو علي الحسن، وأبو أحمد[5].

وبعد حياة طويلة عاشها القاضي إسماعيل في بغداد، مشتغلاً فيها بالقضاء والتأليف والتعليم، وافاه الأجل وهو قاضٍ على الجانبين من بغداد، وقت صلاة العشاء ليلة الأربعاء لثمان بَقِينَ من ذي الحجة سنة اثنين وثمانين ومئتين[6]، ولما مات تأثر المبرد بذلك كثيراً وكان صديقاً له، فَأَلَّفَ كتاب التعازي والمراثي[7].

٢. شيوخه وتلامذته:

لا يتسع المقام للحديث المفصل عن شيوخ القاضي إسماعيل وتلامذته لكثرتهم، وكنت قد أحصيت واحداً وأربعين من شيوخه الذين نقل عنهم في كتابه (فضل الصلاة على النبي ﷺ)[8]، كما أحصى الدكتور عامر حسن صبري محقق كتاب (أحكام القرآن) واحداً وأربعين من شيوخه الذين روى عنهم في الكتاب[9]، ومن شيوخه مَن أخذ عنهم الحديث[10]، ومنهم مَن أخذ عنه الفقه[11]، ومنهم من أخذ عنه

---

(١) ينظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٧/٢٧٣، والقاضي عياض: ترتيب المدارك٢/٢٦٨.

(٢) ينظر: الخليلي: الإرشاد ٢/٥٠٠، وذكر ابن النديم في الفهرست (ص٢٥٢) أن والده توفي سنة ٢٧٥هـ.

(٣) الشيرازي: طبقات الفقهاء ص١٦٤.

(٤) ينظر الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٧/٢٨١.

(٥) ينظر المصدر نفسه ١٣/٦٢ و٧/٢٨٤ و٦/٢٩٠.

(٦) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص٢٥٢، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٧/٢٨١، والقاضي عياض: ترتيب المدارك ٢/٢٨٣. وذكر ابن حبان في كتاب الثقات (٨/١٠٥) أنه توفي آخر سنة ثنتين أو أول سنة ثلاث وثمانين ومئتين. والثابت أنه توفي آخر سنة ٢٨٢هـ.

(٧) ينظر: كتاب التعازي والمراثي ص ٥، والزركلي: الأعلام ١/٣١٠.

(٨) حققه الشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ.

(٩) ينظر: أحكام القرآن (الدراسة) ص١٥-٢١.

(١٠) ينظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٧/٢٧٢-٢٧٣.

(١١) ينظر: الشيرازي: طبقات الفقهاء ص١٦٤.

http://www.al-maktabeh.com

العربية[1]، ومنهم من أخذ عنهم القراءات[2]، وسوف نتحدث عن شيوخه في القراءات عند الكلام على روايته للقراءات.

أما تلامذته فإنهم لا يقلون عن شيوخه كثرة، فقد ذكر الخطيب البغدادي عدداً ممن رووا الحديث عنه، ثم قال: «وجماعة سوى هؤلاء»[3]، وذكر القاضي عياض جماعة ممن تَفَقَّهَ عليه، ثم قال: «وخلق عظيم، وبه تفقه أهل العراق من المالكية»[4] وكانت للقاضي إسماعيل معرفة بالعربية وعلومها، لكن انشغاله بالقضاء منعه من الجلوس لتعليمها، وكان المبرد يقول: «القاضي أعلم مني بالصرف»[5]، وقال الشيرازي في طبقات الفقهاء: «وكان من نظراء أبي العباس محمد بن يزيد المبرد في علم كتاب سيبويه، وكان المبرد يقول: لولا أنه مشتغل برئاسة العلم والقضاء لذهب برئاستنا في النحو والأدب»[6]، ولم يمنع القاضي اشتغالُهُ بالقضاء من الجلوس لإقراء القرآن، فكان له تلامذة أخذوا القراءات عنه[7]، وسوف نتحدث عنهم عند الكلام على روايته للقراءات.

٣. سيرته في القضاء:

اشتهر إسماعيل بالقضاء أكثر من اشتهاره بالعلوم التي كان يشتغل بها ويُؤَلِّفُ فيها، وغلب على آل حماد بن زيد الاشتغال بالقضاء، وكان قد ولي قضاء الجانب الشرقي من بغداد سنة ٢٤٦هـ[8]، وجُمِعَ له قضاء الجانبين من بغداد سنة ٢٦٢هـ[9]، وبقي في القضاء حتى وفاته سنة ٢٨٢هـ، وعُزِلَ خلالها سنتين عن القضاء حين قَبَضَ الخليفة المهتدي على أخيه حماد بن إسحاق سنة ٢٥٥هـ، حتى أعاده المعتمد إلى القضاء سنة ٢٥٦هـ[10].

---

(١) ينظر: النحاس: إعراب القرآن ٣/٦٩٢.
(٢) ينظر: القاضي عياض: ترتيب المدارك ٢/٢٧٢، وابن الجزري: غاية النهاية ١/١٦٢.
(٣) تاريخ بغداد ٧/٢٧٣.
(٤) ترتيب المدارك ٢/٢٦٩، وينظر: ابن فرحون: الديباج المذهب ١/٩٣.
(٥) القاضي عياض: ترتيب المدارك ٢/٢٧١.
(٦) طبقات الفقهاء ص١٦٥.
(٧) ينظر: القاضي: عياض ٢/٢٧٢، وابن الجزري: غاية النهاية ١/١٦٢.
(٨) ينظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٧/٢٧٧.
(٩) ينظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٩/٥٢٦.
(١٠) ينظر: وكيع: أخبار القضاة ٣/٢٨١، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٧/٢٧٨.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وكانت سيرته في القضاء حسنة، قال الخليلي: «ولم يُرَ في القضاء مِثْلُهُ عِفَّةً وعِلْماً»[1]، وقيل له: «ألا تُؤَلِّفُ كتاباً في أدب القضاء؟ فقال: اعْدِلْ، ومُدَّ رِجْلَيْكَ في مجلس القضاء! وهل للقاضي أدبٌ غيرُ الإسلام؟»[2].

٤. مؤلفاته:

لم يمنع اشتغال القاضي إسماعيل بالقضاء من التفرغ للعلم والتأليف فيه، قال طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد (ت٣٨٠هـ) عنه: «وصَنَّفَ في الاحتجاج لمذهب مالك والشرح له ما صار لأهل هذا المذهب مثالاً يحتذونه، وطريقاً يسلكونه، وانضاف إلى ذلك علمه بالقرآن، فإنه أَلَّفَ في القرآن كتباً تتجاوز كثيراً من الكتب المصنفة فيه»[3]، وقال القاضي عياض: «تواليف القاضي إسماعيل كثيرة، مفيدة، أصولٌ في فنونها»[4].

وذكر ابن النديم للقاضي إسماعيل ستة كتب[5]، ومع إطراء الخطيب البغدادي لمصنفاته إلا أنه لم يذكر له سوى سبعة كتب[6]، وذكر له القاضي عياض ستة وعشرين كتاباً[7]، ويتجاوز ما ورد من أسماء كتبه في المصادر المختلفة الثلاثين كتاباً[8]، ويقتضينا داعي الإيجاز إلى الاكتفاء بالإشارة إلى مؤلفاته المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه، وهي:

١. كتاب الاحتجاج بالقرآن، مجلدان[9]، وهو مفقود.
٢. كتاب أحكام القرآن، كبير في مئة وعشرين جزءاً[10]، قال عنه الخطيب البغدادي: «وهو كتاب لم يسبقه إليه أحد من أصحابه إلى مثله»[11]، وطُبِعَ ما بَقِيَ منه في

---

(١) الإرشاد٢/٦-٨.
(٢) القاضي عياض: ترتيب المدارك ٢/٢٨١، وابن فرحون: الديباج المذهب ١/٩٤.
(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٧/٢٧٥.
(٤) ترتيب المدارك ٢/٢٨٢.
(٥) الفهرست ص٢٥٢.
(٦) تاريخ بغداد ٧/٢٧٣ و٢٧٦، وينظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء٢/٦٤٨.
(٧) ترتيب المدارك ٢/٢٨٢، وينظر ابن فرحون: الديباج المذهب ١/٩٤.
(٨) ينظر: الداودي: طبقات المفسرين ١/١٠٦، والبغدادي: هدية العارفين ١/٢٠٧، والعريني: الإمام أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق ص٢٤-٢٦.
(٩) القاضي عياض: ترتيب المدارك ٢/٢٨٢، وذكره ابن النديم في الفهرست (ص٢٥٢) باسم: حجاج القرآن.
(١٠) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص٢٥٢، والخليلي: الإرشاد ٢/٦٠٨.
(١١) تاريخ بغداد ٧/٢٧٦.

http://www.al-maktabeh.com

مجلد[1].

٣. كتاب القراءات[2]، جمع فيه عشرين قراءة[3]، وسوف نتحدث عنه لاحقاً.

٤. كتاب معاني القرآن وإعرابه، خمسة وعشرون جزءاً، لم يتمه[4].

---

(١) بتحقيق: د. عامر حسن صبري، دار ابن حزم، بيروت ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

(٢) ينظر: القاضي عياض: ترتيب المدارك ٢/٢٨٢، والذهبي: سير أعلام النبلاء ١٣/٣٤٠.

(٣) ينظر: ابن الجزري: النشر ١/٣٤، وغاية النهاية ١/١٦٢، وحاجي خليفة: كسف الظنون ٢/١٤٤٩.

(٤) ينظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٧/٢٧٦، والقاضي عياض: ترتيب المدارك ٢/٢٨٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

المبحث الثاني

اشتغاله بعلم القراءات

نشأ إسماعيل بن إسحاق في بيت علم، وطلب العلم منذ صغره[1]، وكثير من شيوخه البصريين توفي قبل سنة ٢٢٥هـ، وهو ما يشير إلى تبكيره في الأخذ عنهم، وحين انتقل إلى بغداد وانخرط في سلك القضاء لم يصرفه ذلك عن الاشتغال بالعلم، فكان في أكثر أوقاته وبعد فراغه من الخصوم متشاغلاً بالعلم[2]، وكان للقرآن الكريم نصيب كبير من عنايته: قراءة وإعراباً وتفسيراً، وسوف أتتبع هنا ما يتعلق بعنايته بعلم القراءات، ويتمثل ذلك بروايته القراءات عن شيوخه، ثم إقرائه لها، وتأليفه فيها.

أخذ القاضي إسماعيل القراءات عن عدد من علماء القراءة الذين أدركهم، قال ابن الجزري: «روى القراءة عن:

١. قالون (ت٢٤٠هـ)، وله عنه نسخة.
٢. وعن أحمد بن سهل، عن أبي عبيد (ت٢٢٤هـ).
٣. وعن نصر بن علي الجهضمي (ت٢٥٠هـ)، عن أبيه (١٨٩هـ)، عن أبي عمرو.
٤. وعن أبيه، عن شبل (ت١٦٠هـ)، عن ابن كثير (١٢٠هـ)»[3].

وتشير هذه الأسانيد إلى روايته لثلاث قراءات من السبع، من طرق متعددة، وأخذ القراءات الأخرى عن أحمد بن سهل، عن أبي عبيد القاسم بن سلام، مؤلف أول كتاب جامع في القراءات، جمع فيه خمسة وعشرين قراءة[4].

ونقل أبو جعفر النحاس في كتابه (إعراب القرآن) عدداً من القراءات عن إسماعيل القاضي، بعضها من الطرق التي ذكرها ابن الجزري[5]، وبعضها من طرق أخرى، كما يظهر ذلك في قوله:

---

(١) ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٢/٣٣٩.
(٢) ينظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٧/٢٧٦.
(٣) غاية النهاية ١/١٦٢، وأصل النص للداني في كتابه طبقات القراء، كما نص على ذلك القاضي عياض في ترتيب المدارك (٢/٢٨٢).
(٤) ينظر: ابن الجزري: النشر ١/٣٣.
(٥) ينظر: إعراب القرآن ١/٦٣٧ و٢/٥٩.

http://www.al-maktabeh.com

١. قُرِئَ على إبراهيم بن موسى، عن إسماعيل بن إسحاق، قال حدثنا نصر بن علي، قال حدثنا يزيد بن زُرَيْعٍ، ثنا يونس، عن الحسن...[١].

٢. قُرِئَ على إبراهيم بن موسى، عن إسماعيل، عن علي بن عبد الله المديني، عن سفيان، عن عمرو، قال سمعت ابن عباس يقرأ[٢].

٣. قال إسماعيل بن إسحاق، حدثنا نصر بن علي، عن أبيه، عن الأصمعي، قال: سمعت أبا عمرو يقرأ[٣].

وأخذ القراءة عن إسماعيل القاضي عدد غير قليل من القراء، ذكر منهم ابن الجزري في ترجمته أحد عشر رجلاً، وقد أضفت تاريخ وفياتهم إلى النص، قال ابن الجزري:

«روى القراءة عنه:

١. ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ).

٢. وابن الأنباري (ت٣٢٧هـ).

٣. ومحمد بن أحمد الإسكافي (ت٣٥٢هـ).

٤. ومحمد بن جعفر الفريابي (ت أبوه ٣٠١هـ).

٥. ومحمد بن حامد البغدادي (ت٣٤٠هـ).

٦. وإبراهيم بن عبد الرزاق (ت٣٣٩هـ).

٧. وأحمد بن محمد بن سعيد (-).

٨. ومحمد بن الحسن بن يونس (ت٣٣٢هـ).

٩. وموسى بن محمد بن هارون الزرقي (كان حياً سنة ٣٤٢هـ).

١٠. ومحمد بن علي الخطيب (ت٣٠٧هـ)»[٤].

ولا يخفى على القارئ أن من بين هؤلاء التلامذة علماء كبار تصدروا للإقراء والتأليف بعد إسماعيل القاضي، وفي مقدمتهم أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد البغدادي، مؤلف كتاب (السبعة في القراءات)، ونجد أثر ذلك في الكتاب،

---

(١) إعراب القرآن ٥٩٦/٣.

(٢) إعراب القرآن ٦٣٠/٣، وينظر: ٦٦٤/٣.

(٣) إعراب القرآن ١٨٩/٢.

(٤) غاية النهاية ١٦٢/١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

فقد روى ابن مجاهد رواية قالون من طريقه[1]، كما نقل عنه عدداً من الروايات المتعلقة بالقراءة[2].

ومن هؤلاء التلامذة أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري، مؤلف كتاب (إيضاح الوقف في كتاب الله تعالى)، الذي قال في باب الأسانيد من الكتاب: «فما كان في كتابنا هذا عن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القارئ فحدثنا به إسماعيل ابن إسحاق القاضي، قال حدثنا عيسى بن مينا، ويلقب قالون»[3].

ولا يكاد كتاب من كتب القراءات القرآنية يخلو من ذكر رواية قالون عن نافع من طريق إسماعيل القاضي[4].

---

(١) كتاب السبعة ص٨٨.

(٢) ينظر: كتاب السبعة ص٤٨و٦٠و٨٠.

(٣) إيضاح الوقف والابتداء ١/١١١.

(٤) ينظر مثلاً: الداني: جامع البيان ١/٢٨٦، والمفردات (له) ص ٢٥، والهذلي: الكامل ص٢٠٠، والقلانسي: الكفاية ص٣٢، وابن الفحام: التجريد ص٩٧.

http://www.al-maktabeh.com

المبحث الثالث

تعريف بكتابه في القراءات ومنهجه فيه

لم يُعْرَفْ اسم لهذا الكتاب غير (كتاب القراءات)، ووصفه الخطيب البغدادي بأنه «كتابٌ جليلُ القَدْرِ، عظيمُ الخَطَرِ»، ونقل شهادة المبرد وابن مجاهد بتفضيله[1]، وهو أحد الكتب المشهورة المؤلفة في القراءات القرآنية قبل عصر ابن مجاهد الذي سَبَّعَ السبعة، لكن ما نعرفه عن منهج الكتاب ومادته ليس كثيراً، وذلك لأن مؤلفات ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) استحوذت على اهتمام علماء القراءات من بعده، وتأثروا بمنهجه في تقسيم القراءات إلى صحيحة وهي السبع المشهورة، وشاذة وهي ما عداها، ولم يصل إلينا أي كتاب من الكتب الجامعة المؤلفة في القراءات قبل ابن مجاهد.

ويمكن معرفة موقع كتاب القاضي إسماعيل في القراءات من خلال قول ابن الجزري في النشر: «فكان أوَّلَ إمام معتبر جمع القراءات في كتابٍ أبو عبيد القاسم ابن سلام، وجعلهم في ما أحسب خمسة وعشرين قارئاً، مع هؤلاء السبعة، وتوفي سنة أربع وعشرين ومئتين.

وكان بعده أحمد بن جبير بن محمد الكوفي، نزيل إنطاكية، جمع كتاباً في قراءات الخمسة، من كل مصر واحد، وتوفي سنة ثمان وخمسين ومئتين.

وكان بعده القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي، صاحب قالون، أَلَّفَ كتاباً جمع فيه قراءة عشرين إماماً، منهم هؤلاء السبعة، وتوفي سنة اثنين وثمانين ومئتين.

وكان بعده الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جمع كتاباً حافلاً سماه الجامع، فيه نيف وعشرون قراءة، توفي سنة عشر وثلاث مئة.

وكان بعيده أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني، جمع كتاباً في القراءات، وأدخل فيه أبا جعفر أحد العشرة، وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاث مئة.

وكان في أثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أول من اقتصر على

---

(١) تاريخ بغداد ٢٧٦/٧.

مكتبة المهتدين الإسلامية

قراءات هؤلاء السبعة»[1].

وليس من اليسير بناءُ تَصَوُّرٍ محدد عن منهج الكتاب ومادته، لندرة مَن تحدث عنه أو نقل منه، ولكن يمكن ذكر بعض الملاحظات حوله من خلال النصوص القليلة المنقولة من الكتاب أو النصوص التي تتحدث عنه، فالكتاب موضوعه القراءات القرآنية، ولا شك في أنه يعرض اختيارات القراء المشهورين في القرن الثاني الهجري من القراء السبعة وشيوخهم وتلامذتهم، على نحو ما فعل أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) في كتابه في القراءات من قبل[2].

ويمكن القول إن القاضي إسماعيل كان يورد القراءات في كتابه بالأسانيد، على منهج المحدثين، وذلك بإيراد السند في صدر كل رواية، وليس على منهج القراء الذي استقر بعد ذلك، ويقوم على ذكر الأسانيد في أول الكتاب، يدل على ذلك أمران، الأول: وصف حاجي خليفة للكتاب بأنه (مُسْنَدُ القراءات)[3]، والآخر: الروايات المنقولة عن إسماعيل القاضي في ذكر القراءات، والتي نقل أبو جعفر النحاس عدداً منها، والراجح أنها من كتاب القراءات للقاضي إسماعيل.

ولم يكن إسماعيل القاضي ناقلاً للقراءات فحسب، وإنما نجده يناقش الروايات ويبين رأيه فيها، وهذه أمثلة مما نقله النحاس منها:

١. قال النحاس: «ختامه مسك: مبتدأ وخبر، هذه قراءة أكثر الناس، وقرأ الكسائي رواه عنه أبو عبيد (خاتمه مسك) وزعم أن هذه القراءة قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذكر إسماعيل بن إسحاق أنه لم يجد أحداً يعرف هذا عن علي بن أبي طالب»[4].

٢. قال النحاس: «وحكى أبو عبيد أنه رُوِيَ عن ابن عباس وعكرمة أنهما قرآ: (من كل امرئ)، قال إسماعيل بن إسحاق: لم يذكر أبو عبيد إسناده، ولعله ضعيف، قال أبو جعفر: إسناده ضعيف بغير لعل، رواها الكلبي عن أبي صالح

---

(١) النشر ١/ ٣٣-٣٤.
(٢) ينظر: بحث (أبو عبيد القاسم بن سلام: حياته وجهوده في دراسة القراءات) ص١٨٤.
(٣) كشف الظنون ٢/١٦٨٤.
(٤) إعراب القرآن ٣/٦٥٧.

http://www.al-maktabeh.com

عن ابن عباس، وهذا إسناد لا يُعَرَّجُ عليه، وهو مخالف للمصحف الذي تقوم به الحجة»[1].

٣. قال النحاس: «قرأ الأعرج: ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتۡبِعۡهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ (المرسلات:١٦-١٧) جَزَمَ (نتبعهم) لأنه عطف على (نهلك)، قال أبو جعفر: هذا لحن، وقال أبو حاتم: هذا لحن، وذكر إسماعيل أنه لا يجوز»[2].

ويبدو نقد إسماعيل القاضي للروايات هادئاً، على خلاف النحاس، فإسماعيل يستعمل (لعل)، ويقول: (لا يجوز) بدلاً من (لحن)، لكن النحاس مع ذلك يصفه بأنه من أهل الضبط في القراءات[3].

ولا يخلو ما رُوِيَ من قراءات من طريق إسماعيل القاضي من توجيه، على نحو ما جاء في الرواية التي نقلها النحاس، قال إسماعيل بن إسحاق: حدثنا نصر بن علي، عن أبيه عن الأصمعي، قال: سمعت أبا عمرو يقرأ (رُبما) مخففة ومثقلة، قال: التخفيف لغة أهل الحجاز، والتثقيل لغة تميم وقيس وبكر»[4].

وهناك روايات أخرى نقلها النحاس عن إسماعيل القاضي أَهْمَلْتُ ذكرها اختصاراً[5].

وليس لدينا قائمة بأسماء القراء الذين ذكر إسماعيل القاضي قراءاتهم في كتابه، لكن من المؤكد أنه ذكر قراءات القراء السبعة كما جاء في قول ابن الجزري الذي نقلناه، ويمكن أن يستدل على ذلك من قول مكي: «وكذلك زاد الطبري في كتاب القراءات له على هؤلاء السبعة نحو خمسة عشر رجلاً، وكذلك فعل أبو عبيد وإسماعيل القاضي»[6].

ويمكن من خلال النصوص التي نقلها النحاس عن إسماعيل القاضي القول: إنه

---

(١) إعراب القرآن ٣/٧٧٤.
(٢) إعراب القرآن ٣/٥٩٣.
(٣) إعراب القرآن ٢/٣٠٧.
(٤) إعراب القرآن ٢/١٨٩.
(٥) ينظر: إعراب القرآن ١/١٦٢ و٦٣٧ و٢/٣٥ و٢/٥٩ و٢/١٢٣ و٢/٢٩٩ و٢/٣٤٣ و٢/٦٨٦ و٢/٧٨٣ و٣/٨٨ و٣/٩٦ و٣/١٣٠ و٣/٦٤٤ و٣/٦٩٣.
(٦) الإبانة ص ٣٨.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ذَكَرَ من قراءات غير السبعة: قراءة الحسن البصري[١]، وقراءة الأعرج[٢]، وقراءة ابن عباس[٣].

(١) ينظر: إعراب القرآن ٢/٢٩٩ و٣/٥٩٦.
(٢) ينظر: المصدر نفسه ٣/٥٩٣.
(٣) ينظر: المصدر نفسه ٣/٦٤٠ و٣/٦٤٤.

http://www.al-maktabeh.com

المبحث الرابع

نصوص من كتاب القراءات للقاضي إسماعيل

نقل مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) في كتابه (الإبانة عن معاني القراءات) عدداً من النصوص عن إسماعيل القاضي، صَرَّحَ في بعضها بالنقل من كتابه في القراءات، ويترجح عندي أن النصوص الأخرى منقولة من الكتاب ذاته أيضاً، وهي تختلف عن النصوص التي نقلها النحاس في كتاب إعراب القرآن، والتي يتضمن معظمها نسبة قراءات إلى أصحابها من القراء أو توجيهها، فهذه النصوص تتعلق بأصول القراءات وتصنيفها إلى صحيحة وشاذة، وتتعلق بحديث الأحرف السبعة وتفسيره، وقد تكون هذه النصوص منقولة من مقدمات الكتاب، وتلك من فرش الحروف فيه.

وأهم نص نقله مكي عن كتاب إسماعيل القاضي يتعلق بالقراءة الصحيحة وشروطها، والقراءات التي لا تصح القراءة بها، لعدم استيفائها شروط الصحة، فقال مكي في الإجابة على سؤال افترضه في قوله: «فإن سأل سائل فقال: فما الذي يُقْبَلُ من القراءات الآن فَيُقْرَأُ به، وما الذي لا يُقْبَلُ ولا يُقْرَأُ به، وما الذي يُقْبَلُ ولا يُقْرَأُ به؟

فالجواب: أن جميع ما رُوِيَ من القراءات على ثلاثة أقسام:

قسم يُقْرَأُ به اليوم، وذلك ما اجتمع فيه ثلاثُ خِلَالٍ، وهي: أن يُنْقَلَ عن الثقات إلى النبي ﷺ، ويكون وجهه في العربية التي نَزَلَ بها القرآن شائعاً، ويكون موافقاً لخط المصحف.

والقسم الثاني: ما صح نقله عن الآحاد، وصح وجهه في العربية، وخالف خط المصحف.

والقسم الثالث: وهو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية، فهذا لا يقبل، وإن وافق خط المصحف..»[1].

---

(١) الإبانة ص٥٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

واستدل مكي على تقسيمه هذا للقراءات بكلام نقله من كتاب الطبري في القراءات، وأردفه بنقل كلام إسماعيل القاضي، وهو ما يعنينا في هذا المقام ذكره، وهو قوله: «وقد قال إسماعيل القاضي في كتاب القراءات له: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ (غير المغضوب عليهم وغير الضالين)[1]، قال: وهذا، والله أعلم، ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف.

(ثم قال إسماعيل: وليس ينبغي لأحد أن يتعمد القراءة بهذا وما أشبهه، يريد مما خالف خط المصحف).

قال إسماعيل: لأن هذا، وإن كان في الأصل جائزاً فإنه إذا فَعَلَ ذلك رَغِبَ عن اختيار أصحاب النبي ﷺ حين اختاروا أن يجمعوا الناس على مصحف واحد مخافة أن يطول بالناس زمان، فيختلفوا في القرآن.

ثم قال إسماعيل: فإذا اختار الإنسان أن يقرأ ببعض القراءات التي رُوِيَتْ، مما يخالف خط المصحف، صار إلى أن يأخذ القراءة برواية واحد عن واحد، وتَرَكَ ما نقلته الجماعة، الذين هم حجة على الناس كلهم، يعني خط المصحف.

قال إسماعيل: وكذلك ما رُوِيَ من قراءة ابن مسعود وغيره، ليس ينبغي لأحد أن يقرأ اليوم به، يعني مما يخالف خط المصحف من ذلك.

قال إسماعيل: لأن الناس لا يعلمون أنها قراءة عبد الله، وإنما هي شيء يرويه بعض مَن يَحْمِلُ الحديث، يعني أن ما خالف خط المصحف من القراءات فإنما يؤخذ بأخبار الآحاد، وما وافق خط المصحف منها فهو يقين بالإجماع على المصحف.

قال إسماعيل: فلا يجوز أن يُعْدَلَ عن اليقين إلى ما لا يُعْرَفُ بعينه، يعني أنه لا يجوز أن يُعْدَلَ عما وافق خط المصحف الذي هو يقين، إلى ما يخالف خطه بما لا يُقْطَعُ على صحته.

قال إسماعيل: فإن جرى شيء من ذلك على لسان الإنسان من غير قصد له كان له في ذلك سعة، إذا لم يكن معناه يخالف معنى خط المصحف المجمع عليه، ويدخل

---

(١) ينظر: أبو عبيد: فضائل القرآن ص٢٨٩-٢٩٠، وابن أبي داود: كتاب المصاحف ٢٨٥/١.

http://www.al-maktabeh.com

ذلك في معنى ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف»[1].

قال مكي معقباً على كلام القاضي إسماعيل: «قلت: فهذا كله، من قول إسماعيل، يدل على أن القراءات التي وافقت خط المصحف هي من السبعة الأحرف عندنا، وما خالف خط المصحف أيضاً هو من السبعة إذا صحت روايته ووجهه في العربية، ولم يُضَادَّ معنى خط المصحف، لكن لا يُقْرَأُ به، إذ لا يأتي إلا بخبر الآحاد، ولا يَثْبُتُ قرآنٌ بخبر الآحاد، وإذ هو مخالف للمصحف المجمع عليه، فهذا الذي نقول به ونعتقده، وقد بيناه كله»[2].

ونقل مكي تفسير القاضي إسماعيل لقول زيد بن ثابت رضي الله عنه: (القراءةُ سُنَّةٌ)، فقال: «قال إسماعيل: أحسبه يعني القراءة التي جُمِعَتْ في المصحف»[3].

وكَرَّرَ مكي في كتاب الإبانة الإحالة إلى النصوص التي نقلها من كلام إسماعيل القاضي، مستنداً إليها في تقرير قواعد علم القراءة، ومحتجاً بها على ما يذهب إليه فيها[4].

ونقل ابن مجاهد عن إسماعيل القاضي قولاً لأبي عمرو بن العلاء يُقَرِّرُ أصلا من أصول القراءة، وهو ثبوت الرواية، قال ابن مجاهد: «حدثني إسماعيل بن إسحاق، قال حدثنا نصر بن علي، قال أخبرني الأصمعي، قال سمعت أبا عمرو يقول: لولا أنه ليس لي أَنْ أقرأَ إلَّا بما قد قُرِئَ به لقرأتُ حرفَ كذا كذا، وحرفَ كذا كذا»[5]

(١) الإبانة ص ٥٤-٥٦.
(٢) الإبانة ص٥٦.
(٣) الإبانة ص٦٩.
(٤) ينظر: الإبانة ص١٢٧.
(٥) كتاب السبعة ص٨٣، وتنظر: ص٤٨، وذكر مكي في الإبانة (ص٦٠) في الباب الذي خصصه لذكر الأحاديث التي رُوِيَتْ في الأحرف السبعة أنه لخصها مما ذكره إسماعيل القاضي وأبو جعفر الطبري.

مكتبة المهتدين الإسلامية

خاتمة

قد يكون ما ورد في هذا البحث غير كاف في التعريف بكتاب القراءات لإسماعيل القاضي، لكنه مفيد في لفت الأنظار إلى الكتاب، عسى أن تكشف بحوث المستقبل المزيد من المعلومات عنه، أو يعثر أحد الباحثين على نسخة منه، فيضعها بين أيدي الدارسين ليتعرفوا على الكتاب ومادته، وسوف ينكشف من خلال ذلك جانب مهم من تاريخ القراءات القرآنية.

ويمكن تلخيص أهم النقاط التي عالجها البحث أو كشف عنها بما يأتي:

١. كانت لإسماعيل القاضي عناية بعلوم القرآن عامة، والقراءات القرآنية خاصة، فألَّفَ فيها كتابه الذي وصفه الخطيب البغدادي بأنه جليل القدر عظيم الخطر.

٢. لم يبق من كتاب إسماعيل القاضي في القراءات إلا إشارات محدودة ونصوص قليلة منقولة عنه في المصادر، تُعَرِّفُنَا به، لكنها غير وافية في الكشف عن تفاصيل منهجه ومادته.

٣. اتبع القاضي في تأليف الكتاب المنهج الذي اتبعه من قبله أبو عبيد القاسم بن سلام من جمع القراءات الصحيحة المروية الموافقة لخط المصحف، من غير تقيد بعدد معين، ومِن ثَمَّ بلغت القراءات التي ذكرها في الكتاب عشرين قراءة.

٤. اتبع ابن مجاهد، تلميذ القاضي إسماعيل منهجاً آخر في تأليف كتابه (السبعة)، فقد اقتصر فيه على ذكر سبعٍ من القراءات القرآنية، هي أصح القراءات في الأمصار الخمسة، وأكثرها شهرة، وأَلَّفَ كتابه الآخر في ذكر شواذ السبعة، وأسس بذلك لمنهج جديد في دراسة القراءات، بتقسيمها إلى صحيحة، وهي السبع، وأضاف إليها العلماء بعد ابن مجاهد ثلاث قراءات أُلْحِقَتْ بها، وإلى شاذة وهي ما عدا السبع أو العشر.

٥. لم يصل إلينا أي كتاب من الكتب الجامعة المؤلفة في القراءات قبل ابن مجاهد، مثل كتاب أبي عبيد، وكتاب أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني، وكتاب ابن قتيبة، وكتاب إسماعيل القاضي، وكتاب أبي جعفر الطبري، وهذه الكتب مهمة

http://www.al-maktabeh.com

من ناحية المادة العلمية فيها، ومن ناحية توضيح تطور دراسة القراءات ورواياتها في القرون الثلاثة الأولى.

وسوف يكون إنجازاً علمياً كبيراً اكتشاف مخطوطة لواحد من هذه الكتب، وقد يبدو هذا الأمر بعيد المنال، لخلو فهارس المخطوطات من الإشارة إلى أي منها، لكن لا يزال قسم من التراث العربي المخطوط غير مفهرس، أو غير مكتشف، ومن ثم فلا ينبغي للباحثين اليأس من العثور على واحد من تلك الكتب أو أكثر.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

مكتبة المهتدين الإسلامية

(٦)

كتاب القراءات للطبري: موضوعه ومنهجه

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين، أما بعد

فقد اشتهر محمد بن جرير الطبري مفسراً، ومؤرخاً، من خلال كتابه العظيم في التفسير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، وكتابه في التاريخ (تاريخ الرسل والملوك)، لكنَّ الطبريَّ كما يقول الخطيب البغدادي: «كان قد جَمَعَ من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن...».

وحَظِيَ الطبري في عصرنا بالاهتمام من الدارسين، وكُتِبَتْ عشرات الرسائل العلمية في التعريف بجهوده في التفسير والحديث والتاريخ والفقه واللغة، وكان نصيب القراءات القرآنية عنده من الرسائل كبيراً، لكنَّ جُلَّ اعتماد الباحثين كان على ما ورد في تفسيره، لفقدان كتابه الكبير في القراءات، وغابت عنهم بعض النصوص المنقولة من كتابه في القراءات، تكشف عن موقفه من أركان القراءة الصحيحة، وهو موضوع من أهم موضوعات أصول القراءات وتاريخها.

ووجدتُ وأنا أراجع مادة كتابي هذا (القراءات القرآنية: مناهج وأعلام) الذي يضم مجموعة بحوث في القراءات، أنه من المفيد التعريف بكتاب الطبري في القراءات، واستجلاء موقفه من أركان القراءة الصحيحة، لاكتشاف الضوابط التي كان علماء القراءة يرجعون إليها في تصحيح القراءات، في القرون الهجرية الأولى، قبل أن يختار ابن مجاهد القراءات السبع، ويَعْتَبِرَ ما عداها شاذاً، فكتبتُ هذا البحث، الذي يضم ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: تعريف موجز باشتغال الطبري بعلم القراءات

المبحث الثاني: تعريف بكتاب الطبري في القراءات ومنهجه فيه

http://www.al-maktabeh.com

وقد سَلَكْتُ في كتابة هذا البحث سبيل الاختصار، والتركيز على ما يتعلق بكتاب الطبري في القراءات، وأركان القراءة وتطبيقاتها في تفسيره، لأن الحديث عن القراءات عند الطبري يتسع، وقد استوفى الباحثون في رسائلهم وأطاريحهم الحديث عن أكثر جوانب الموضوع[1]، وأحسب أنه بَقِيَ متسع للبحث في هذا الجانب عند الطبري من خلال النصوص المنقولة من كتابه الجامع في القراءات وتطبيقاتها في تفسيره جامع البيان، مع تقديم مبحث عن اشتغاله بعلم القراءات، والله تعالى ولي التوفيق.

أربيل - العراق

٢٠١٦/٣/٢٢م

(١) مثل: القراءات عند ابن جرير الطبري كما وردت في كتابه (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، أطروحة دكتوراه، قدمها أحمد خالد بابكر، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م. ومثل: منهج الطبري في القراءات وضوابط اختيارها في تفسيره، رسالة ماجستير قدمها زيد بن علي ابن أحمد مهارش، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ١٤٢٠هـ. وغير ذلك.

مكتبة المهتدين الإسلامية

المبحث الأول

تعريف موجز باشتغال الطبري بعلم القراءات

وُلِدَ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بآمل في طبرستان سنة ٢٢٤هـ، وحَفِظَ القرآن الكريم وهو صغير، ثم رحل في طلب العلم وله عشرون سنة، وتنقل في البلدان، ثم استقر في بغداد حتى وفاته سنة ٣١٠هـ[١]، واشتهر الطبري بالتفسير والتاريخ والحديث والفقه واللغة، وكان عارفاً بالقراءات، حسن الصوت بالقرآن[٢]، له اختيار في القراءة، وكتاب جامع في القراءات، سوف أتحدث عنه في المبحث الثاني، وأخص هذا المبحث بالحديث عن شيوخه في القراءة، وتلامذته، وعن اختياره.

أَخَذَ الطبري القراءات عن عدد من شيوخ الإقراء، منهم[٣]:

١. أحمد بن يوسف التغلبي، أبو عبد الله البغدادي (ت ٢٥١هـ)، أخذ عنه القراءات، وروى عن طريقه كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام في القراءات[٤].
٢. سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي، أبو داود الكوفي (ت ٢٥٢هـ)، أخذ عنه قراءة حمزة الزيات[٥].
٣. العباس بن الوليد بن مزيد، أبو الفضل البيروتي (ت ٢٧٠هـ)، قرأ عليه القرآن ببيروت، وروى عنه قراءة ابن عامر.
٤. محمد بن العلاء بن كريب، أبو كريب الهمداني الكوفي (ت ٢٤٣هـ).
٥. يونس بن عبد الأعلي بن موسى، أبو موسى الصدفي المصري (٢٦٤هـ)، أخذ عنه قراءة حمزة وقراءة نافع[٦].

وكان الطبري يقرأ أولاً بقراءة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي، قال تلميذه أحمد ابن كامل: «وكان أبو جعفر يقرأ قديماً لحمزة قبل أن يختار قراءته»[٧]، وقال تلميذه

---

(١) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص ٢٩١، والذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٧٣/١٤، وابن الجزري: غاية النهاية ١٠٦/٢.

(٢) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ٥٤٨/٢.

(٣) ينظر: الذهبي: معرفة القراء ٥٢٧/٢، وابن الجزري: غاية النهاية ١٠٦/٢-١٠٨.

(٤) ينظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٢٤٥٦/٦.

(٥) ينظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٢٤٥٥/٦.

(٦) ينظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٢٤٥٥/٦.

(٧) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٢٤٥٥/٦.

http://www.al-maktabeh.com

أبو محمد عبد الله بن أحمد الفرغاني: «قال لنا أبو جعفر: قرأتُ القرآن على سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي، وكان الطلحي قد قرأ على خلَّاد، وخلَّاد قرأ على سُلَيْمِ بن عيسى، وسُلَيْمٌ قرأ على حمزة، ثم أخذها أبو جعفر عن يونس بن عبد الأعلى، عن علي بن كيسة، عن سُلَيْمٍ عن حمزة»(١).

واختار أبو جعفر الطبري قراءة اختص بها، شأنه في ذلك شأن أكثر علماء القراءة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، لكنه لم يكن يحرص على نشرها وتعليمها، قال الأهوازي وهو يتحدث عن القراءات عند الطبري: «واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور، ولم يكن منتصباً للإقراء ولا قرأ عليه أحدٌ إلا آحاد من الناس، كالصفَّار شيخ كان ببغداد من الجانب الشرقي يروي عنه رواية عبد الحميد بن بكار عن ابن عامر، وأما القراءة عليه باختياره فإني ما رأيت أحداً أقرأ به غير أبي الحسين الجُبِّيِّ وكان ضنيناً به، ولقد سألته زمانا حتى أخذ عليَّ به، وقال: تَرَدَّدْتُ إلى أبي جعفر نحواً من سنة أسأله ذلك زماناً حتى أجرمت(٢) عليه وسألته، وكنت قد سمعتُ منه صدراً من كتبه فأخذه عليَّ على جهته، وقال: لا تنسبها إليَّ وأنا حي، فما أقرأت بها أحداً حتى مات رحمه الله في شوال سنة عشر وثلاث مئة. وقال أبو الحسين الجُبِّي: ما قرأ عليه به إلا اثنان وأنت ثالثهم، ولا قرأ عليه أحد إلى أن مات سنة ثمانين وثلاث مئة»(٣).

ولم يُنْقَلِ اختيار أبي جعفر الطبري في القراءة في كتاب من كتب القراءات التي أُلِّفَتْ بعده، كما نُقِلَ اختيار أبي عبيد أو اختيار أبي حاتم، وكان الطبري قد ذكر اختياره في كتابه (الجامع) الذي ألَّفه في القراءات، فقد قال في تفسيره وهو يتحدث عن ذلك الكتاب: «وقد استقصينا حكاية الرواية عَمَّن رُوِيَ عنه في ذلك قراءةٌ في (كتاب القراءات)، وأخبرنا بالذي نختار من القراءة فيه، والعلة الموجبة صحَّة ما اخترنا من القراءة فيه»(٤)، وصَرَّحَ الداني في (الأرجوزة المنبهة) أن الطبري ذَكَرَ اختياره في كتابه الجامع، حيث قال:

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٦/٢٤٥٥.
(٢) كذا في معجم الأدباء تحقيق إحسان عباس، وفي لسان العرب (١٢/٩١ جرم): «جَرَمَ إليهم وعليهم جريمة وأَجْرَمَ: جَنَى جناية»، فلعله يريد أنه تجاوز عليه في الطلب.
(٣) نقلاً عن: ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٦/٢٤٤٤.
(٤) جامع البيان ١/١٤٨.

مكتبة المهتدين الإسلامية

٤٥٢. والطبريُّ صاحبُ التفسيرِ ... له اختيارٌ ليس بالشهيرِ
٤٥٣. وهو في جامعِهِ مـــذكورُ ... وعندَ كُلِّ صَحْبِهِ مشهورُ

ويمكن الوقوف على بعض ما اختاره الطبري أو رَجَّحَهُ من قراءات من خلال تفسيره جامع البيان، لكن ذلك ليس مما يهدف إليه هذا البحث.

ومع أن الأهوازي ذكر أن الطبري لم يجلس للإقراء لكنه أقرأ عدداً من أئمة القراءة، منهم[1]:

١. أحمد بن عبد الله بن الحسين الجُبِّيُّ (ت٣٨١هـ)، قرأ على الطبري باختياره سنة ٣٠٨هـ، قبيل وفاته سنة ٣١٠هـ بسنتين.
٢. أحمد بن موسى بن العباس، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ).
٣. عبد الله بن أحمد بن جعفر، أبو محمد الفرغاني (ت ٣٦٢هـ).
٤. عبد الواحد بن عمر، أبو طاهر بن أبي هاشم البغدادي (٣٤٩هـ).
٥. محمد بن أحمد بن عمر، أبو بكر الداجوني (ت ٣٢٤هـ).
٦. محمد بن محمد بن فيروز، أبو عبيد الله الكَرَجي (كان حياً سنة ٣٨٥هـ)، شيخ الأهوازي.

(١) ينظر: الذهبي: معرفة القراء ٥٢٨/٢، وابن الجزري: غاية النهاية ١٠٧/٢.

http://www.al-maktabeh.com

المبحث الثاني

تعريف بكتاب الطبري في القراءات ومنهجه فيه

ذكر الطبري أنه أَلَّفَ كتاباً فَصَّلَ فيه مذاهب القراء، في أول تفسيره (جامع البيان)، فقال وهو يفسر (مالك يوم الدين) من سورة الفاتحة: «قال أبو جعفر: القُرَّاء مختلفون في تلاوة (ملك يَوْمِ الدِّينِ) (الفاتحة ٤)، فبعضهم يتلوه (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، وبعضهم يتلوه (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) وبعضهم يتلوه (مالِكَ يَوْمِ الدِّينِ) بنصب الكاف، وقد استقصينا حكاية الرواية عَمَّنْ رُوِيَ عنه في ذلك قراءةٌ في (كتاب القراءات)، وأخبرنا بالذي نختار من القراءة فيه، والعلة الموجبة صحَّة ما اخترنا من القراءة فيه، فكرهنا إعادة ذلك في هذا الموضع، إذ كان الذي قَصَدْنا له في كتابنا هذا البيانَ عن وجوه تأويل آي القرآن، دون وجوه قراءتها»[1].

ولا تُعْرَفُ نسخة مخطوطة من كتاب القراءات للطبري اليوم[2]، ومن ثم فإن الحديث عن هذا الكتاب يعتمد على ما ورد عنه في المصادر، ويتضمن ذلك البحث عن اسم الكتاب، ومحاولة التعرف على منهجه.

المطلب الأول: اسم الكتاب

ذكر ابن النديم (كتاب القراءات) للطبري، ولم يُسَمِّهِ باسم معين[3]، وكذلك ذكره

---

(١) جامع البيان ١/١٤٨.

(٢) ذكر عدد من الدارسين وجود نسخة مخطوطة من كتاب (الجامع في القراءات) في مكتبة الجامع الأزهر (ينظر: أحمد محمد الحوفي: الطبري ص ٩٤، ومحمد الزحيلي: الإمام الطبري شيخ المفسرين ص ٢٧٣)، لكن الذين اطلعوا على المخطوطة لم يجدوا فيها ما يؤكد نسبتها إلى محمد بن جرير الطبري، ورَجَّحُوا أن تكون لأبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري (ينظر: أحمد خالد بابكر: القراءات عند الطبري في ضوء اللغة والنحو ص ٢٨، وزيد بن علي مهارش: منهج الإمام الطبري في القراءات ص ٧٥-٧٦).

وكنت قد تتبعت أخبار تلك المخطوطة وقت إقامتي في القاهرة لدراسة الماجستير (١٩٧٣-١٩٧٦م)، وأشرت إلى ذلك في بحثي عن أبي عبيد القاسم بن سلام، ونص ما قلته: (وجاء في فهرس المكتبة الأزهرية أن المكتبة تحتفظ بمخطوطة من كتاب (الجامع في القراءات للطبري) رقمها: (١١٧٨) حليم ٣٢٨٦٧، وقد اطلعت على نسخة مصورة على المكروفلم من هذا الكتاب بدار الكتب المصرية، سنة ١٩٧٥م، فوجدت أنه من تأليف أبي معشر الطبري (عبد الكريم بن عبد الصمد ت ٤٧٨هـ).

(٣) الفهرست ص ٢٩٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

مكي ولم يُسَمِّهِ أيضاً[1]، وسَمَّاهُ الداني (الجامع)، فقال في الأرجوزة المنبهة:

٤٠٣. وَلِلْفَضِيلِ ابنِ جريرٍ جامعُ مُهَذَّبُ التصنيفِ حُلْوٌ بارِعُ

ونقل الداني من (الجامع) للطبري عدداً من النصوص في كتابه (جامع البيان في القراءات السبع)، وسَمَّاهُ (الجامع)[2]، وذكر ابن الجزري أن الداني قال: «وصَنَّفَ كتاباً حَسَناً في القراءات سَمَّاهُ الجامع»[3].

وسَمَّى ياقوت الحموي كتاب القراءات للطبري باسم (كتاب القراءات وتنزيل القرآن)[4]، لكنه سماه في موضع لاحق كتاب (الفَصْلُ بينَ القَرَأَةِ)[5]، ويبدو أنه يتحدث عن كتاب واحد، وسَمَّاهُ السبكي في طبقات الشافعية (كتاب القراءات والعدد والتنزيل)[6]، وقال الذهبي: «وتم له كتاب القراءات والتنزيل والعدد»[7].

ونقل المنتوري (محمد بن عبد الملك ت ٨٣٤هـ) في كتابه شرح الدرر اللوامع عدداً من النصوص من كتاب (الجامع) للطبري[8].

ويترجح مما تقدم أن اسم كتاب القراءات الذي ألفه الطبري هو (الجامع)، ومن وَصَفَهُ بكتاب القراءات فقط فإنما كان يشير إلى موضوعه، وذِكْرُ (التنزيل والعدد) في العنوان إلى جانب القراءات قد يشير إلى أن الطبري كان يذكر المكي والمدني من السور، وأنه كان يشير إلى اختلاف أهل العدد في أول كل سورة.

وورد في كلام الداني في كتابه (جامع البيان في القراءات السبع) ما يشير إلى أن للطبري كتابين في القراءات، سَمَّى أحدهما الجامع، وسَمَّى الآخر المُجَرَّد، فقال وهو

---

(١) ينظر: الإبانة ص ٣٨، وذهب الدكتور أحمد خالد بابكر في أطروحته للدكتوراه: القراءات عن ابن جرير الطبري (ص ٢٧) إلى أن مكياً سَمَّاهُ كتاب البيان في كتابه الإبانة، وذلك في قوله (ص ٤٣): «وقد ذهب الطبري في كتاب البيان له إلى أن الذي اختلف القراء اليوم فيه من القراءات إنما هو كله حرف واحد»، وقوله أيضاً (ص ٥٢): «وقد قال الطبري في كتاب البيان: لا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد...». والراجح أن مكياً يشير هنا إلى تفسير الطبري (جامع البيان) وينقل منه، كما يظهر من موازنة النصوص المذكورة بما ورد في التفسير.

(٢) ينظر: جامع البيان في القراءات السبع ٣/١٠١٤، و٤/١٤٩٨.

(٣) غاية النهاية ٢/١٠٦.

(٤) معجم الأدباء ٦/٢٤٤٤.

(٥) معجم الأدباء ٦/٢٤٥٤.

(٦) طبقات الشافعية الكبرى ٣/١٢١.

(٧) سير أعلام النبلاء ١٤/٢٧٣، وينظر: ابن كثير: طبقات الشافعيين ص ٢٢٥.

(٨) ينظر: شرح الدرر اللوامع ص ٥٠ و٥٢٢و٦٤١.

http://www.al-maktabeh.com

يتحدث عن قراءة ابن عامر في قوله تعالى: (ساداتنا) (التوبة ٦٧) بالجمع: «وقال ابن جرير في (مُجَرَّدِهِ) عن البيروتي، عن ابن بكار، عن أيوب، عن ابن عامر: بغير ألف، وكذلك روى الوليد عن يحيى عنه، وقال في (جامِعِهِ) عنه بألف، وهو الصواب. وقرأ الباقون بغير ألف وفتح التاء»[١].

وكتاب (الجامع في القراءات) للطبري معروف عند الدارسين، كما تقدم، لكن (المجرد) غير معروف، وهو يحتمل أن يكون كتاباً خاصاً بقراءة ابن عامر، جَرَّدَهُ الطبري من روايته لقراءة ابن عامر عن شيخه العباس بن الوليد بن مزيد، أبي الفضل البيروتي، الذي قرأ عليه القرآن ببيروت، وروى عنه قراءة ابن عامر، كما تقدم عند الحديث عن شيوخه في القراءة.

المطلب الثاني: منهج الطبري في الكتاب

قال الطبري في تفسيره يَصِفُ كتاب القراءات: «وقد استقصينا حكاية الرواية عَمَّن رُوِيَ عنه في ذلك قراءةٌ في (كتاب القراءات)، وأخبرنا بالذي نختار من القراءة فيه، والعلة الموجبة صِحَّةَ ما اخترنا من القراءة فيه»[٢].

ونَقَلَ ياقوت الحموي وَصْفَ أبي علي الحسن بن علي الأهوازي لكتاب القراءات للطبري، وهو قوله: «وله في القراءات كتاب جليل كبير رأيته في ثماني عشرة مجلدة إلا أنه كان بخطوط كبار، ذَكَرَ فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ، وعَلَّلَ ذلك وشَرَحَهُ، واختار منها قراءة لم يَخْرُجْ بها عن المشهور»[٣].

وقال ياقوت في وصف الكتاب وقد سَمَّاهُ الفَصْلَ بين القَرَأَةِ: «ومن كتبه: كتاب الفَصْلِ بينَ القَرَأَةِ، ذَكَرَ فيه اختلاف القراء في حروف القرآن، وهو من جَيِّدِ الكتب، وفَصَّلَ فيه أسماء القراء بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام وغيرها، وفيه من الفصل بين كل قراءة، فيذكر وجهها وتأويلها والدلالة على ما ذهب إليه كل قارئ لها، واختياره الصواب منها، والبرهان على صحة ما اختاره، مستظهراً في ذلك بقوته على التفسير والإعراب الذي لم يشتمل على حفظ مثله أحد من القراء، وإن كان لهم

(١) جامع البيان في القراءات السبع ١٤٩٨/٤.
(٢) جامع البيان ١٤٨/١.
(٣) معجم الأدباء ٢٤٤٤/٦.

مكتبة المهتدين الإسلامية

رحمهم الله من الفضل والسبق ما لا يدفع ذو بصيرة، بعد أن صدَّرَهُ بخطبة تليق به، وكذلك كان يعمل في كتبه: أن يأتي بخطبته على معنى كتابه، فيأتي الكتاب منظوماً على ما تقتضيه الخطبة، وكان أبو جعفر مجوِّداً في القراءة موصوفاً بذلك، يقصده القراء البعداء ومن الناس للصلاة خلفه، يسمعون قراءته وتجويده»[١].

وقال مكي بن أبي طالب: قال: «وكذلك زاد الطبري في كتاب القراءات له على هؤلاء السبعة نحو خمسة عشر رجلاً»[٢]، وقال مكي في موضع آخر: «وقد ألف هو كتاب القراءات، فذكر فيه اختلافَ نَحْوِ عشرين من الأئمة من الصحابة والتابعين ومن دونهم»[٣].

ويمكن التقاط عدد من العناصر التي اشتمل عليها كتاب القراءات للطبري، من خلال هذا الوصف للكتاب، أهمها:

١. أنه كتاب كبير، في ثماني عشرة مجلدة.
٢. كَتَبَ له الطبري مقدمة تتناسب وموضوع الكتاب.
٣. ذَكَرَ فيه القراءات المعروفة في زمانه، من المشهورة والشاذة، وقد تجاوز عدد القراءات التي ذكرها العشرين قراءة، فذكر إلى جانب قراءات السبعة خمس عشرة قراءة أخرى، ولم تكن القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد قد اشتهرت بعد.
٤. اعتنى الطبري بذكر توجيه القراءات التي يذكرها، بالاستناد إلى معرفته بعلوم العربية وبتفسير القرآن الكريم.
٥. ذَكَرَ الطبري اختياره في القراءة، والاحتجاج له.

ولم يكن الطبري مبتدعاً لهذا المنهج في تأليف الكتاب، خاصة ما يتعلق بعدد القراءات التي ذكرها فيه، فقد سبقه إلى ذلك عدد من كبار علماء القراءات، كما قال ابن الجزري في كتاب النشر: «فكان أوَّلَ إمام معتبر جمع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام، وجعلهم في ما أحسب خمسة وعشرين قارئاً، مع هؤلاء السبعة، وتوفي سنة أربع وعشرين ومئتين...

وكان بعده القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي، صاحب قالون، أَلَّفَ كتاباً جمع

---

(١) معجم الأدباء ٢٤٥٤/٦.
(٢) ينظر: الإبانة ص ٣٨.
(٣) الإبانة ص ٥٣.

http://www.al-maktabeh.com

فيه قراءة عشرين إماماً، منهم هؤلاء السبعة، وتوفي سنة اثنين وثمانين ومئتين.

وكان بعده الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جمع كتاباً حافلاً سَمَّاهُ الجامع، فيه نَيِّفٌ وعشرون قراءة، توفي سنة عشر وثلاث مئة...

وكان في أثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أول من اقتصر على قراءات هؤلاء السبعة»[1].

وكان محمد بن جرير الطبري قد بنى كتابه في القراءات على كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام، الذي كان يرويه عن أحمد بن يوسف التغلبي[2].

وكتاب أبي عبيد في القراءات أهم مصدر للقراءات القرآنية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، فهذا الزجاج، وهو معاصر للطبري، يقول في كتابه (معاني القرآن وإعرابه): «وأكثر ما أرويه من القراءة في كتابنا هذا فهو عن أبي عبيد، مما رواه إسماعيل بن إسحاق، عن أبي عبد الرحمن، عن أبي عبيد»[3].

وإذا تتبعنا حركة التأليف في القراءات القرآنية قبل ابن مجاهد نجد أنها قد بلغت ذروتها في كتاب الطبري في القراءات، فقد ألف الطبري كتابه بعد كتاب: أبي عبيد وأبي حاتم، وإسماعيل القاضي، ومن ثم يمكن القول إن كتاب (الجامع في القراءات) للطبري كان يضم ما يأتي:

١. القراءات القرآنية التي كان يقرأ بها أهل الأمصار في عصره، وعددها يتجاوز العشرين قراءة.
٢. توجيه القراءات التي ذكرها الطبري في الكتاب.
٣. اختيار الطبري في القراءة.

وليس هذا الكلام عن كتاب الطبري في القراءات رجماً بالغيب، وإنما يستند إلى أمرين، الأول: أقوال العلماء في وصف الكتاب، والنصوص المنقولة من الكتاب، والثاني: ما ورد في تفسير الطبري عن القراءات القرآنية، وهو وإن كان يميل إلى الاختصار إلا أنه تضمن: وصف القراءات وتوجيهها والترجيح بينها.

---

(١) النشر ١/٣٣-٣٤.
(٢) ينظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٦/٢٤٥٥-٢٤٥٦.
(٣) معاني القرآن وإعرابه ١/١٨٠-١٨١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

المبحث الثالث

أركان القراءة الصحيحة عند الطبري وتطبيقاتها في تفسيره

كانت الأمصار الخمسة: مكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، والشام (دمشق)، هي المراكز العلمية التي نبتت فيها العلوم الإسلامية في عصر الصحابة والتابعين. وكان علماء القراءة من التابعين قد خَلَفُوا الصحابة في تعليم الناس القرآن الكريم في تلك الأمصار، وما عداها من البلدان التي استنارت بنور الإسلام، وواصل تلامذتهم الاضطلاع بواجب التعليم الذي لم ينقطع عبر أجيال الأمة، لأن القراءة سُنَّةٌ يأخذها الآخِرُ عن الأول.

وأخذتِ القراءات القرآنية تتحدد معالمها في عصر التابعين وتابعيهم، وتتشكل اتجاهاتها الرئيسية، مستمدة مادتها من قراءات الصحابة الذين تشرفوا بصحبة النبي ﷺ وتلقي القرآن منه، والذين خصهم الله تعالى برخصة التيسير في القراءة، وكانت القراءات في القرن الأول تُنْسَبُ إلى عدد من الصحابة، أو إلى المدن التي كانوا يسكنونها، فيقال: قراءة عبد الله بن مسعود أو قراءة أهل الكوفة، ويقال: قراءة زيد ابن ثابت أو قراءة أهل المدينة، وهكذا في القراءات الأخرى، لكن القراءات صارت تُنْسَبُ بعد عصر الصحابة إلى علماء القراءة من التابعين وتابعيهم، ليس لأنهم تركوا قراءات الصحابة وابتدعوا قراءات جديدة، بل لأن القارئ من التابعين أو من تابعيهم صار يدرس القراءات القرآنية في الأمصار ثم يختار من مجموع ما درسه قراءة يقرأ بها ويُعَلِّمُهَا، وعناصرها مستمدة من قراءات الصحابة، وإن صارت تنسب إلى القارئ الذي اختارها، وكان القراء السبعة من بين عدد من قراء التابعين وتابعي التابعين الذين اختار كل واحد منهم قراءة نسبت إليه، مستمداً مادتها من القراءات التي تلقَّاها عن شيوخه، وكانت حركة الاختيار في القراءة تستهدي بضوابط أو تنبني على أركان ذكرها المؤلفون الأوائل في القراءات، ومنهم الطبري، وهذا بيان ذلك وتطبيقاته عند الطبري في تفسيره.

http://www.al-maktabeh.com

المطلب الأول: أركان القراءة الصحيحة

كان اختيار القراءة في القرون الأولى يستند إلى ضوابط، ويخضع لشروط، نتج عنها ما يعرف بأركان القراءة، ألمح إليها الطبري في تفسيره كثيراً، وإن لم يصرح بكونها ثلاثة، فمن ذلك قوله: «فاتباع المصحف، مع قراءة جماعة القرَّاء، وصحَّة المقروء به، أولى من خلاف ذلك كله»[1]، وقوله: «واتباعُ خطِّ المصحف، مع صحة المعنى، واستفاضة القراءة به، أعجب إليَّ من خلاف المصحف»[2].

وكرر الطبري القول بترجيحه بعض القراءات لمعنيين: «أحدهما: إجماع الحجة من القراء عليه، والثاني: صحته في العربية»[3]، أو رده لبعض القراءات لمعنيين أيضاً: «أحدهما خروجها من قراءة القَرَأَةِ وشذوذها عنها، والآخر: بُعْدُهَا من فصيح كلام العرب»[4].

وقد صرَّح الطبري بأركان القراءة الصحيحة الثلاثة في كتابه (الجامع) في ما نقله عنه المنتوري في شرح الدرر اللوامع حيث قال: «وقال الطبري في الجامع: ثم كُلُّ مَن اختار حرفًا من المقبولين من الأئمة، المشهورين بالسُّنَّةِ والاقتداء بِمَن مضى من علماء الشريعة، راعَى في اختياره:

الروايةَ أوَّلاً.

ثمَّ موافقةَ المصحف الإمام ثانياً.

ثم العربيةَ ثالثاً.

فَمَن لم يراعِ الأشياء الثلاثة في اختياره لم يُقْبَلِ اختيارُهُ، ولم يتداوَلْهُ أَهْلُ السُّنةِ والجماعة»[5].

ولم يكن الطبري أول من استند إلى هذه الشروط في قبول الاختيار في القراءة،

(١) جامع البيان ١٣٦/١٩.
(٢) جامع البيان ٤٢٥/٦.
(٣) جامع البيان ٦٧/١٩، وينظر: ٢٦٢/١، و١٠٩/١٥.
(٤) جامع البيان ٢٨/١٤، وينظر: ٦٨/٢٢.
(٥) شرح الدرر اللوامع ص ٨٦٤.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وتمييز القراءة الصحيحة المشهورة عن القراءة الشاذة المهجورة، فقد سبقه إلى ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، فقد نقل عنه أبو بكر ابن الأنباري قوله وهو يتحدَّث عن مذاهب القراء في الوقف على هاء السكت في مثل: (يَتَسَنَّهْ، واقْتَدِهْ، وحِسَابِيَهْ، وما هِيَهْ): «وقال أبو عبيد القاسم بن سلام الأَسَدِيُّ: الاختيار عندي في هذا الباب كله الوقوف عليها بالهاء بالتعمد لذلك، لأنها إذا أُدْرِجَتْ في القراءة مع إثبات الهاء كان خلافَ الكِتَاب، فإذا صار قارئها إلى السكت عندها على ثبوت الهاءات اجتمعت له المعاني الثلاثة، وهي:

أن يكون مصيباً في العربية، وموافقاً للخط، وغير خارج من قراءة القُرَّاء»[1].

وإذا كان أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) قد استند إلى تلك الشروط أو الأركان في روايته للقراءات في كتابه، وهو أول كتاب جامع في القراءات، وإذا كان الطبري (ت٣١٠هـ) قد استند إليها واعتمد عليها في رواية القراءات وتمييز المشهور من غيره، في كتابه في القراءات، وهو آخر كتاب يُؤَلَّفُ على النهج القديم لتأليف الكتب في هذا العلم، والذي يقوم على إيراد كل ما اشتهر من قراءات، من غير تقيد بعدد معين، كما فعل ابن مجاهد بعد ذلك حين أَلَّفَ كتاب السبعة، وضَمَّنَهُ سبع قراءات، وأَلَّفَ كتاب شواذ السبعة لِمَا عداها - فإنَّ علماء القراءة ظلوا يراعون تلك الشروط والأركان في نقل القراءات وروايتها.

وقد قال خاتمة المحققين، وشيخ القراء والمقرئين ابن الجزري: «فقام جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد وبَيَّنُوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعَزَوُا الوجوه والروايات، ومَيَّزُوا بين المشهور والشاذِّ، والصحيح والفاذِّ، بأصولٍ أَصَّلُوهَا، وأركان فَصَّلُوها، وها نحن نشير إليها ونُعَوِّلُ كما عَوَّلُوا عليها فنقول:

كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصَحَّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز رَدُّهَا ولا يَحِلُّ إنكارُهَا، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن

---

(١) إيضاح الوقف ١/٣١١.

http://www.al-maktabeh.com

الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أُطْلِقَ عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف»[1].

المطلب الثاني: تطبيقات على أركان القراءة الصحيحة من تفسير الطبري

ليس في أيدي الدارسين اليوم نسخة معروفة من كتاب الطبري في القراءات، وفاتَ الدارسين بذلك الوقوفُ على منهج الطبري في رواية القراءات والاحتجاج لها، والوقوف على اختياره منها، لكن الطبري كان يحرص على ذكر القراءات في تفسيره، والاحتجاج لها، وإن اعتذر في أول التفسير عن التفصيل في ذلك اعتماداً على قيامه بذلك في كتابه المُؤَلَّفِ في القراءات، ومن ثم سوف أنقل بعض الأمثلة من التفسير لتطبيق الطبري الأركان الثلاثة على القراءات التي يذكرها فيه.

أولاً: الرواية

وهو أن تكون القراءة مروية عن الصحابة الذين أخذوا القرآن من النبي ﷺ وقرؤوا بين يديه، والرواية أهم أركان القراءة الصحيحة، وقد أحسن الطبري حين ذكر الرواية قبل الشرطين الآخرين، فلا بد أن تكون القراءة مروية عن القراء من الصحابة، ثم يُنْظَرُ في موافقتها خط المصحف وفي قوتها من جهة العربية، ويختار الطبري القراءة التي عليها أكثر القراء، وإن كانت القراءة الأخرى مروية عن بعضهم، وقد قال: «لِأَنَّ القراءة إنما هي ما قرأتْ به الأئمة الماضية، وجاء به السلف على النحو الذي أخذوا عمن قبلهم[2]».

واستدل الطبري في عشرات المواضع من تفسيره بإجماع الحجة من القراء على اختياره قراءة معينة وترجيحه لها على الأخرى التي جاءت مخالفة لذلك الإجماع، قال الطبري: «ولا يُعترض بالشاذِّ على الجماعة التي تَجِيءُ مَجِيءَ الحجة»[3]، ويطول البحث بتتبع جميع الشواهد من تفسير الطبري على ذلك، وقد تكفلت به الدراسات المتخصصة التي كُتِبَتْ لذلك الغرض، ويكفي للاستدلال على استحضار الطبري

---

(١) النشر ١/٩.

(٢) جامع البيان ٢٠/٤٨٤.

(٣) جامع البيان ٦/٣٦٨، وينظر: ١٢/٤٣٤، و١٤/٢٤٤.

مكتبة المهتدين الإسلامية

لشـرط الروايـة وترجيحـه ما قرأ به أكثر القراء على مـا انفرد به بعضهم، ذكر عدد من الأمثلة:

قـال الله تعالـى: ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ (البقـرة ٧)، قـرأ جمهـور القراء برفع (غشـاوة) على الابتداء (وعلى أبصارهم) خبر مقدم، وقرأ بعض القراء (غشـاوةً) بالنصب[1]، قال الطبري: «قال أبو جعفر: وقوله (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَـاوَةٌ) خبـرٌ مبتـدأ بعـد تمام الخبر عمَّـا ختم الله جلَّ ثنـاؤه عليه من جـوارح الكفَّار الذين مضـت قِصَصُهـم. وذلـك أن(غِشـاوةٌ) مرفوعـة بقوله(وعلى أبصارهـم)، فذلك دليل على أنه خَبرٌ مبتدأ، وأنَّ قوله: (ختم الله على قلوبهم)، قد تناهى عند قوله: (وعلى سمْعهم). وذلك هو القراءة الصحيحة عندنا لمعنيين:

أحدهمـا: اتفـاق الحجـة من القُـرَّاء والعلماء على الشـهادة بتصحيحهـا، وانفرادُ المخالف لهم في ذلك، وشذوذه عمَّا هم على تَخطئته مجمعون، وكفى بإجماع الحجة على تخطئة قراءته شاهدًا على خطئها.

والثانـي: أنَّ الختـمَ غيـرُ موصوفـةٍ به العيونُ في شـيء من كتـاب الله، ولا في خبر عن رسـول الله ﷺ، ولا موجودٍ في لغة أحد من العرب... فلم يَجُزْ لنا، ولا لأحدٍ من الناس، القراءةُ بنصب الغِشاوة، لِمَا وصفتُ من العلّتين اللتين ذكرتُ، وإن كان لنَصْبها مخرجٌ معروفٌ في العربية»[2].

وأكد الطبري هذا المعنى في عشرات المواضع، وأكتفي بنقل بعض ما قاله في ذلك، خشـية الإطالـة، فمن ذلـك قوله: «لإجماع الحجة من القرَّاء علـى قراءة ذلك كذلك، وتصويبهـا إياهـا، وشـذوذ مـن خالف ذلك إلـى غيره. وما جـاءَ به النقلُ مسـتفيضاً فحُجَّـةٌ، ومـا انفـرد به من كان جائزًا عليه السـهو والغلط، فغيـرُ جائز الاعتراضُ به على الحجة»[3].

وقـال الطبـري أيضـاً: «والقـراءة التـي لا أسـتجيز أن يُقـرأ بغيرها، هـي القراءة التـي عليهـا قـرَّاء الأمصار، لإجماع الحجة مـن القرَّاء على تصويبهـا، ورغبتهم عما

(١) ينظر: الكرماني: شواذ القراءة ص ٤٩.
(٢) جامع البيان ٢٦٢/١.
(٣) جامع البيان ١٩٥/٣.

http://www.al-maktabeh.com

خالفها»[1]، ومن ذلك قوله: «قال أبو جعفر: وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القرَّاء على خلافها»[2]، وقوله: «وإنما اخترت هذه القراءة لإجماع الحجة من القرَّاء عليها»[3]، « فغير جائز الاعتراض به على ما جاءت به الجماعة التي تقوم بها الحجة نقلاً وقولاً وعملاً»[4].

ثانياً: موافقة المصحف الإمام

أي موافقة خط المصاحف التي أمر عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنسخها، ويمثل ذلك الخط ألفاظ الوحي كما نطقها رسول الله ﷺ وأملاها على كُتَّاب الوحي، قال مكي ابن أبي طالب القيسي: «فلمَّا كَتَبَ عثمان المصاحف، ووجَّهها إلى الأمصار، وحَمَلَهُم على ما فيها، وأمرهم بترك ما خالفها، قرأ أهل كل مصر مصحفهم الذي وُجِّهَ إليهم على ما كانوا يقرؤون قبل وصول المصحف إليهم مما يوافق خط المصحف، وتركوا من قراءتهم التي كانوا عليها مما يخالف خط المصحف»[5].

ولمَّا كان خط المصاحف القديمة مجرداً من علامات الحركات ومن نقاط الإعجام فقد ساعد ذلك على الاحتفاظ بقراءات الأمصار التي لا تقتضي تغيير رسم الكلمات، فثبت أهل كل مصر من الأمصار على ما تلقوه من قراءات موافقة للخط، وتركوا ما كان من القراءات خارجاً عن خط المصاحف، مما كان مُرَخَّصاً بقراءته برخصة الأحرف السبعة، قبل أن يجمع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأمة على المصاحف التي أمر بانتساخها من الصحف التي جُمِعَ فيها القرآن في خلافة الصديق، وهكذا صارت موافقة القراءة لخط المصحف ركناً ثانياً من أركان القراءة الصحيحة، و «اجتمع القراء على ترك كل قراءة تخالف المصحف»[6].

ولم يكن هذا الشرط لصحة القراءة غائباً عن الطبري، وهو يروي القراءات ويحتج لها، ويختار القراءة التي يقرأ بها، فجعل موافقة القراءة لخط المصاحف

(١) جامع البيان ١٧/٥٦٨.
(٢) جامع البيان ١٨/٣٢٨.
(٣) جامع البيان ١٨/٣٦٦.
(٤) جامع البيان ٢/٣٢٨، وينظر: ٣/١٩٥.
(٥) الإبانة ص ١٦.
(٦) ابن الأنباري: إيضاح الوقف ١/ ٢٨٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

العثمانية شرطاً لصحة القراءة وقبولها، فقد قال: «الواجبُ في كل ما اتفقت معانيه واختلفتْ في قراءته القَرَأَةُ، ولم يكن على إحدى القراءتين دلالة تنفصل بها من الأخرى غير اختلاف خطِّ المصحف، فالذي ينبغي أن تُؤْثَرَ قراءَتُهُ منها ما وافق رَسْمَ المصحف»[١]، «لأنه ليس لأحد خلافُ رسوم مصاحف المسلمين»[٢]، «فغير جائز لأحد تغيير رسم مصاحف المسلمين»[٣]، وجعل الطبري من يقرأ خلاف رسوم مصاحف المسلمين مستحقاً للعقوبة، حيث قال: «فكيف وهو خلافُ رُسوم مصاحف المسلمين، ومما لو قَرَأَهُ اليومَ قارئٌ كان مستحقّاً العقوبةَ، لزيادته في كتاب الله عز وجل ما ليس منه»[٤].

وقال الطبري في قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع: (ولا يَتَأَلَّ)[٥] مكان (ولا يَأْتَلِ) في سورة النور (٢٢): «والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة مَن قرأ: (ولا يَأْتَلِ) بمعنى: يفتعل من الأَلِيَّةِ[٦]، وذلك أن ذلك في خطِّ المصحف كذلك، والقراءة الأخرى مخالفة خطَّ المصحف، فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القرَّاء وصِحَّة المقروء به أولى من خلاف ذلك كله»[٧].

وقال الطبري في القراءة المروية عن ابن عباس (بلى هم في شك منها)[٨]، مكان ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ (النمل ٦٦): «فأما القراءة التي ذُكِرَتْ عن ابن عباس، فإنها وإن كانت صحيحة المعنى والإعراب، فخلافٌ لِمَا عليه مصاحف المسلمين، وذلك أن في (بلى) زيادة ياء في قراءته ليست في المصاحف، وهي مع ذلك قراءة لا نعلمها قرأ بها أحد من قرّاء الأمصار»[٩].

وموافقة القراءة لخط المصحف قد تكون تحقيقاً، وهي الموافقة الصريحة،

---

(١) جامع البيان ٢٦٢/٤.
(٢) جامع البيان ٣٣٠/١.
(٣) جامع البيان ٤٢/١٧.
(٤) جامع البيان ٢٤٦/٣.
(٥) ينظر: ابن الجزري: النشر ٣٣١/٢.
(٦) الأَلِيَّةُ: اليمينُ، يقالُ: آلَى يُؤْلِي بمعنى حَلَفَ، ومنه: ائْتَلَى يَأْتَلِي (ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٤٠/١٤ ألا)
(٧) جامع البيان ١٣٦/١٩.
(٨) ينظر: الكرماني: شواذ القراءات ص ٣٦٢.
(٩) جامع البيان ٤٨٨/١٩.

http://www.al-maktabeh.com

وقد تكون احتمالاً، وهي الموافقة احتمالاً[1]، وجعل الطبري القراءة الموافقة للرسم موافقةً صريحة مُقَدَّمَةً على غيرها، فقد رَجَّحَ قراءة كلمة (طَيْراً) بالجمع على قراءة (طائراً)[2] في قوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ (آل عمران ٤٩) لأنها توافق رسم المصحف تصريحاً، حيث قال: «قال أبو جعفر: وأعجب القراءات إليَّ في ذلك قراءة من قرأ: (كهيئة الطير فأنفخُ فيه فيكون طيراً)، على الجماع فيهما جميعاً، لأن ذلك كان من صفة عيسى أنه يفعل ذلك بإذن الله، وأنه موافق لخطِّ المصحف، واتباعُ خطِّ المصحف مع صحة المعنى واستفاضة القراءة به، أعجب إليَّ من خلاف المصحف»[3].

ثالثاً: موافقة العربية

ويعني ذلك أن تكون القراءة قوية الوجه في العربية، أي متوافقة مع قواعد الفصحى، وقال ابن الجزري: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه»[4]، وبَيَّنَ ذلك بقوله: «وقولنا في الضابط (ولو بوجه) نريد به وجهاً من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحاً، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع، وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح، إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم، وهذا هو المختار عند المحققين في ركن موافقة العربية»[5].

ونص الطبري على أن القراءة بعد أن تكون مرويةً، وموافقةً لرسم المصحف، يجب أن تكون موافقةً لقواعد العربية الفصحى، قال الطبري: «وأحقُّ اللغاتِ أَنْ يُقْرَأَ بها كتابُ الله من لغات العرب أفصحها وأشهرها فيهم»[6].

وهو يرجح القراءة الموافقة للمشهور من كلام العرب على الأخرى، فقال وهو يتحدث عن القراءات في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ﴾ (الأعرف ١١١): «وأولى القراءات في ذلك بالصواب، أشهرها وأفصحها في كلام العرب، وذلك ترك الهمز وجرُّ الهاء،

---

(١) ينظر: ابن الجزري: النشر ١١/١.

(٢) قرأ نافع (طائراً) على التوحيد، وقرأ الباقون (طيراً) بغير ألف على الجمع (ينظر: الداني: التيسير ص ٨٨، وابن الجزري: النشر ٢٤٠/٢).

(٣) جامع البيان ٤٢٥/٦.

(٤) النشر ٩/١.

(٥) النشر ١٠/١.

(٦) جامع البيان ٦٢٣/٢١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وإن كانت الأخرى جائزة، غير أن الذي اخترنا أفصح اللغات وأكثرها على ألسن فصحاء العرب»[1].

وليس كل ما يجوز في العربية تجوز القراءة به، إذا كان لم يرد في قراءة القراء أو جاء مخالفاً لخط المصحف، قال الطبري: «وغير جائز في القرآن أن يُقْرَأَ بكل ما جاز في العربية، لأن القراءة إنما هي ما قرأتْ به الأئمة الماضية، وجاء به السلف على النحو الذي أخذوا عمن قبلهم»[2]. وقال: «وذلك وإن كان جائزاً في العربية، فغيرُ جائزةٍ القراءةُ به، لأنه خلافٌ لمصاحف المسلمين، وما جاء به المسلمون من القراءة مستفيضاً فيهم، فغير جائز الاعتراضُ بالشاذِّ من القول، على ما قد ثبتت حُجَّتُهُ بالنقل المستفيض»[3]، وقال: «وهذا وإن كان جائزاً في العربية، فلا أستجيز القراءة به، لإجماع الحجة من القَرَأَةِ على خلافه»[4].

وقال وهو يتحدث عن قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ (البقرة ٢٨٠): «وقد ذُكِرَ أَنَّ ذلك في قراءة أبي بن كعب: (وَإِنْ كَانَ ذَا عُسْرَةٍ)، بمعنى: وإن كان الغريم ذا عسرة فنظرة إلى ميسرة، وذلك وإن كان في العربية جائزاً فغيرُ جائز القراءة به عندنا، لخلافه خطوط مصاحف المسلمين»[5].

(١) جامع البيان ٢٢/١٣.
(٢) جامع البيان ٤٨٤/٢٠.
(٣) جامع البيان ٢٦٤/٣.
(٤) جامع البيان ٢٣٢/٦.
(٥) جامع البيان ٢٩/٦.

http://www.al-maktabeh.com

خاتمة

الحمد لله الذي يسر لي كتابة هذا البحث، ليكون مكملاً للبحوث التي كتبتها عن كتب القراءات الأولى: كتاب أبي عبيد، وكتاب أبي حاتم، وكتاب إسماعيل القاضي، فجاء هذا البحث ليلقي الضوء على كتاب الطبري في القراءات، وهو خاتمة الكتب التي أُلِّفَتْ على النهج القديم لكتب القراءات، الذي يقوم على ذكر القراءات التي يقرأ بها أهل الأمصار بغض النظر عن عددها، وبغض النظر عن كونها مشهورة أو شاذة، وذلك قبل أن يقوم ابن مجاهد بتسبيع القراءات السبع.

وكان موضوع القراءات القرآنية عند الطبري قد حظي بعناية الدارسين، ولم أقصد في هذا البحث تلخيص ما كتبه الدارسون في هذا الموضوع، أو تكرار ما قالوه، ولكني قصدت الحديث عن كتاب الطبري في القراءات بشيء من التفصيل، ولا يخلو ما كتبته من إضافات جديدة، وخاصة ما يتعلق بأركان القراءة الصحيحة.

إن ما ورد في هذا البحث من إشارة إلى استحضار الطبري لأركان القراءة الصحيحة، في تفسيره، واستناده إليها في ذكر القراءات والترجيح بينها، وفي اختياره القراءة التي يقرأ بها، وتصريحه بالأركان الثلاثة في كتابه في القراءات، ما يؤكد أن القراءات القرآنية كانت ولا تزال تستند إلى الرواية والنقل، وهي سُنَّةٌ يأخذها الآخِرُ عن الأول، وأنها ترجع إلى ما قرأ به الصحابة -رضي الله عنهم-، وليست من اجتهاد علماء القراءة الذين عاشوا في القرون التي تلت عصر الصحابة، وكان رسم المصاحف العثمانية مقياساً لتمييز القراءة الصحيحة من الشاذة، وصارت موافقة القراءة للعربية شرطاً ثالثاً للقراءة الصحيحة، ومُرَجِّحاً بين القراءات عند الاختيار.

إنَّ ما يتمناه كل باحث في تاريخ القراءات القرآنية أو مشتغل بروايتها أن يقف على كتابٍ من كتب القراءات القديمة المُؤَلَّفَةِ قبل ابن مجاهد، فما يقال من أن هذه الكتب قد ذهبتْ نسخها المخطوطة يستند إلى ما هو معروف للدارسين اليوم، لكن لا يُسْتَبْعَدُ أن تكون بعض المكتبات في العالم تحتفظ بنسخ خطية من تلك الكتب، والله تعالى ولي التوفيق.

مكتبة المهتدين الإسلامية

(٧)

التلاوةُ القرآنيةُ المُوَحَّدَةُ في معاهد التعليم ضرورةٌ علميةٌ وتعليميةٌ[١]

مقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن تعليم تلاوة القرآن الكريم من أَجَلِّ الأعمال، فالنبي ﷺ يقول: «خَيْرُكم مَنْ تَعَلَّمَ القرآنَ وعَلَّمَهُ»، وعناصر التعليم الأساسية ثلاثة: مُعَلِّمٌ، ومُتَعَلِّمٌ، ومنهج، وينبغي أن تكون مادة المنهج سليمة حتى يحصل المتعلم على القراءة الصحيحة، ويتمكن من الالتزام بها عند التطبيق. ويَلْفِتُ نظرَ الدارس لأداء قُرَّاء القرآن في زماننا تَنَوُّعُ أدائهم لبعض الأحكام، تَنَوُّعاً يترتب عليه اختلافٌ في نوع الصوت، مثل إخفاء النون والميم الساكنتين، أو في درجة الصفة مثل تكرار الراء، والقلقلة، والمدود والغُنَنِ، وقد يكون بعض ذلك له أصل في الرواية، لكن هناك ما يشير إلى أن بعض صور الأداء تلك تحتاج إلى تأصيل، فإنْ لم يَثْبُتْ لها أصلٌ صحيح وَجَبَ أن تُسْتَبْعَدَ من كتب تعليم التلاوة، ومن برامج تعليم الأداء، حتى تظل القراءة سليمة من شوائب اللحن والانحراف.

وتشهد ساحات التعليم ووسائل الاتصال والتواصل جدلاً بين المهتمين بالتلاوات القرآنية حول ذلك التنوع والاختلاف، وقد تَسَلَّلَ شيءٌ من ذلك الجدل إلى بعض كتب تعليم التلاوة، وربما قاعات الدرس، وأسهمت وسائل الاتصال الحديثة على انتشار ذلك التنوع في قراءة كثير من التالين لكتاب الله تعالى، الذين يستمعون إلى التلاوات التي تُبَثُّ في الفضائيات ووسائل الاتصال الأخرى، ويقومون بتقليدها، ولاشك في أن

(١) بحث مقدم إلى (الملتقى العلمي الأول للمعاهد القرآنية) الذي أقامه معهد الإمام الشاطبي، جدة ٢٦-١٤٣٣/١/٢٧هـ = ٢١-٢٠١١/١٢/٢٢م.

http://www.al-maktabeh.com

ذلك التنوع والاختلاف يُشَكِّلُ عقبةً في برامج تعليم تلاوة القرآن الكريم، وقد يتطور إلى مشكلة يَصْعُبُ حَلُّهَا، وقد تترك آثارها السلبية في هذا المجال.

وكتبتُ هذا البحث لتسليط الضوء على هذه القضية، وتوضيح أبعادها، والدعوة إلى معالجتها من خلال اعتماد التلاوة القرآنية الموحَّدة، لتكون دستوراً علمياً للمشتغلين بتعليم القراءة، ومثالاً عملياً للمتعلمين، وذلك من خلال مبحثين:

الأول: ظواهر الاختلاف في أداء القراءة القرآنية المعاصرة، ويشمل ذلك ما يؤدي إلى تغيير الصوت، مثل: إخفاء النون الساكنة، وإخفاء الميم الساكنة، والنطق بالضاد، والهمزة المسهلة، والإشمام، وما يؤدي إلى تغيير الصفة، مثل: تكرير الراء، والقلقلة، والترقيق والتفخيم، والمدود والغُنَنِ.

الثاني: أسباب تعدد وجوه الأداء، ووسائل معالجته.

ولا يهدف هذا البحث إلى إعطاء أحكام نهائية حول ظواهر التنوع المشار إليها، ولكن يهدف إلى التعريف بها وتسليط الضوء عليها، لتحظى بعناية المهتمين بقراءة القرآن الكريم، ويعملوا على ابتكار الوسائل لتخليص القراءة منها، لتبقى بريئة من شوائب اللحن الخفي، بعيدة عن مظاهر الانحراف عن النطق الصحيح، وليكون تعليم تلاوة القرآن على الوجه السليم.

وأتقدم بالشكر الجزيل للقائمين على الملتقى العلمي الأول للمعاهد القرآنية في المملكة العربية السعودية على توجيه الدعوة لي للمشاركة في الملتقى، وإتاحة هذه الفرصة للحديث عن هذا الموضوع أمام أهل الاختصاص والقائمين على معاهد الإقراء، والله تعالى ولي التوفيق، والهادي إلى سواء السبيل.

المدينة المنورة

١٤٣٢/١١/٢٨هـ

مكتبة المهتدين الإسلامية

المبحث الأول

ظواهر الاختلاف في التلاوة القرآنية المعاصرة

لا تخلو كتب تعليم قواعد التلاوة من اختلاف في فهم بعض الظواهر النطقية، أو تعريف بعض المصطلحات الصوتية، شأنها في ذلك شأن العلوم الأخرى، وكثير من ذلك الاختلاف يتعلق بأمور نظرية لا تنعكس على الأداء، مثل الاختلاف في اللام والراء والنون هل هي من مخرج واحد أو من ثلاثة مخارج، ومثل الاختلاف في تعريف المجهور والمهموس، والاختلاف في عدد الحروف المتوسطة هل هي سبعة أو أربعة ؟ ونحو ذلك مما لا يُؤَثِّرُ على طريقة الأداء، ومثل هذا الاختلاف دليل على اجتهاد المشتغلين بهذا العلم، وحرصهم على تيسير قواعده على المتعلمين.

والاختلاف الذي قصدت الحديث عنه في هذا البحث هو الذي يتعلق بالجانب العملي من الأداء، وبعضه يمثل وجهات نظر مدونة في الكتب، وبعضه لا أثر له فيها، ويمكن تقسيم ظواهر ذلك الاختلاف على قسمين: ظواهر نوعية تؤدي إلى تغيير نوع الصوت المنطوق به، وظواهر كمية لا تُغَيِّرُ نوع الصوت ولكنها تُغَيِّرُ درجة تحقيق الصفة أو زمن النطق بها.

أولاً: ظواهر الاختلاف النوعية

لعل أشهر ظواهر الاختلاف التي تؤدي إلى تغييرات نوعية في الأداء، مما وقفت عليه بالاستماع إلى التلاوات المتعددة، أو أخذته مشافهة من شيوخ الأداء، ما يأتي:

(١) **إخفاء النون الساكنة والتنوين**، فالمتأمل لأداء القراء في زماننا يجد تنوعاً في طريقة إخفاء النون الساكنة والتنوين عند حروف الإخفاء الخمسة عشر، ولا يخطئ المرء ملاحظة ثلاثة اتجاهات في إخفاء النون، هي[1]:

أ. نقل طرف اللسان من اللثة، حيث مخرج النون، إلى مخرج الحرف الذي تُخْفَى عنده النون، ويأخذ اللسان عند النطق بالنون المخفاة الصورة التي يكون

---

(١) سبق لي بحث هذا الموضوع مفصلاً، ينظر: أبحاث في علم التجويد ص١٠٧-١٣٤، وشرح المقدمة الجزرية ص٤٨٣-٤٨٧.

http://www.al-maktabeh.com

عليها مع الحرف الذي تُخفى عنده، فيكون للنون المخفاة جَرْسٌ مختلف مع كل حرف من حروف الإخفاء، وعليه كثير من أهل الأداء في زماننا.

ب. إبقاء طرف اللسان شاخصاً عند مخرج النون، غير ملتصق باللثة، مع جميع حروف الإخفاء، فيكون للنون المخفاة صوت واحد، وعليه قلة من أهل الأداء في زماننا.

ج. مذهب ثالث يجمع بين المذهبين، فيأخذ بالمذهب الأول مع جميع حروف الإخفاء، ما عدا التاء والدال والطاء، ويأخذ بالثاني مع هذه الحروف الثلاثة، وعليه عدد من أهل الأداء في زماننا.

وهذا التنوع في النطق بالنون الساكنة والتنوين عند إخفائهما لا يستند في أكثره إلى نصوص واضحة في كتب التجويد القديمة والحديثة، ويمكن للدارس أن يجزم بأن النصوص الواردة في كتب علماء العربية والتجويد القديمة تُرَجِّحُ المذهب الأول، وقديماً قال سيبويه: «وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خفياً مخرجه من الخياشيم، وذلك أنها من حروف الفم، وأصل الإدغام لحروف الفم، لأنها أكثر الحروف، فلما وصلوا إلى أن يكون لها مخرج من غير الفم كان أخف عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، وكان العِلْمُ بها أنها نون من ذلك الموضع كالعلم بها وهي من الفم...»[1].

وقال عبد الوهاب القرطبي: «ومعنى خفائها ما قدَّمنا من اتصال النون بمخارج هذه الحروف واستتارها بها، وزوالها من طرف اللسان، وخروج الصوت من الأنف، من غير معالجة في الفم... فلما أمكن استعمال الخيشوم وحده في النون، ثم استعمال الفم وحده في ما بعده، كان أخف عليهم من استعمال الفم في إخراج النون ثم عودهم إليه في ما بعدها، وهذا معنى قول سيبويه - رضي الله عنه: (كان أخف عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة)، ولا يقع لبس في خروجها من الخيشوم»[2].

ولا يتسع البحث لتحليل الظواهر والترجيح بينها، وحسبي الآن التنبيه عليها،

---

(١) الكتاب ٤/٤٥٤.

(٢) الموضح ص ١٥٧- ١٥٨.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ولفت نظر الدارسين وأهل الاختصاص إلى الإشكال الوارد حولها.

(٢) إخفاء الميم الساكنة عند الباء

لا يخفى على المشتغلين بتعليم القراءة أن الميم الساكنة إذا التقت بالباء كان حكمها الإخفاء، لكن أهل الأداء اليوم منقسمون في طريقة النطق بالميم المخفاة على قسمين:

فمنهم مَن يُطْبِقُ شَفَتَيْهِ للميم حتى تستوفيَ حَظَّهَا مِن الغنة، ثم يَضْغُطُ شفتيه لنطق الباء، فيكون انطباق الشفتين للحرفين انطباقاً واحداً.

ومنهم مَن يَدَعُ فُرْجَةً بين الشفتين عند النطق بالميم، ثم يُطْبِقُهُمَا عند النطق بالباء.

ويترتب على هذا الاختلاف في طريقة نطق الميم المخفاة اختلاف الجرس المصاحب لها، فيظهر لها في السمع نطق مختلف مع كل واحدة من الطريقتين، وهناك جَدَلٌ عريض بين المهتمين بالقراءة في زماننا حول الموضوع، وبدأ يظهر ذلك في كتب تعليم التلاوة، وهو أمر جديد لم نجد مَن صَرَّحَ به من قبل[1]، بل إن النصوص القديمة تؤكد على انطباق الشفتين بالحرفين[2]، ويكفي في هذا المقام نقل بعض النصوص من كتب التجويد القديمة التي صرح فيها مؤلفوها بانطباق الشفتين.

من ذلك ما أورده الداني في كتابه شرح القصيدة الخاقانية، وهو قوله: «بيان الميم الساكنة عند الباء قد يُشْكِلُ على بعض السامعين، فيتوهم أنها مدغمة، ولو أُدْغِمَتْ لَشُدِّدَ الذي اندغمت فيه، ولكنَّ الميم والباء متواخيتان، واللفظ بهما بضم الشفتين، فإذا توالتا وكانت الأولى منهما ساكنة لم يفتح القارئ بها شفتيه حتى يُتْبِعَهَا الأخرى إذا وَصَلَ القراءة، فتكون الشفتان على حال انضمامهما، فَيَتَوَهَّمُ مِن ذلك مَن لا يعرفه أنه أدغم، وهو قد أظهر بحسب ما يجوز، حيث ترك تشديد الثاني

---

(١) ينظر: تيسير أحكام التجويد، إصدار قسم الشؤون العلمية بالجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في المدينة المنورة، ص ٦٠.

(٢) ينظر: بحث إخفاء الميم في النطق العربي (ضمن كتاب أبحاث في علم التجويد) ص ١٤٠ - ١٤٢، وكذلك بحث بعنوان (إخفاء الميم) في مجلة (الفرقان) التي تصدرها جمعية تحفيظ القرآن الكريم في عمان، العدد الأربعون (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م).

http://www.al-maktabeh.com

من الحرفين، ووَفَّى الأول تمامَ اللفظ به، ومن أهل اللغة من يسمي هذا: الإخفاء»[1].

وقال المالقي (ت ٧٠٥هـ) في كتابه: شرح التيسير للداني، وهو يتحدث عن نطق الميم الساكنة قبل الباء: «... فتجد الشفتين تنطبقان حال النطق بالميم، ولا تنفتحان إلا بالحرف الذي بعدها، وكذا ينبغي أن يكون العمل في الباء، فإن شرعت في فتح الشفتين قبل تمام لفظ الميم، سرى التحريك إلى الميم، وهو من اللحن الخفي الذي ينبغي التَّحَرُّزُ منه، ثم تلفظ بالباء متصلة بالميم، ومعها تنفتح الشفتان بالحركة»[2].

ولم يَجْرِ نقاش بين علماء التجويد المتقدمين حول إطباق الشفتين أو فتحهما عند النطق بالميم الساكنة قبل الباء، وإنما دار النقاش حول المصطلح المناسب لهذا الحكم، فمنهم من سماه إظهاراً مثل مكي بن أبي طالب القيسي[3]، ومنهم من سماه إخفاء مثل الداني[4]، ونقل ابن الباذش عن أبيه أن كلا الفريقين اتفقوا على المعنى واختلفوا في استعمال اللفظ المُعَبِّرِ عنه، فَسَمَّاهُ بعضهم إظهاراً، وسَمَّاهُ آخرون إخفاء[5].

وصَرَّحَ محمد بن أبي بكر المرعشي (ت١١٥٠هـ) بانطباق الشفتين عند النطق بالميم الساكنة والباء، لكنه فَرَّقَ بين قوة انطباق الشفتين مع كل من الحرفين، فقال: إن قوة انطباق الشفتين عند النطق بالميم المخفاة أقل من قوة انطباقهما عند النطق بالباء بعدها[6]، وهذا كلام صحيح دقيق، تدل عليه الملاحظة الذاتية للنطق بالحرفين، فالميم يمكن أن يُنْطَقَ بها بأقل انطباق للشفتين، بينما تحتاج الباء إلى تقوية انطباقهما، وهذا أمر لا علاقة له بما ذهب إليه بعض المحدثين من ترك فرجة بين الشفتين عند النطق بالميم المخفاة.

(٣) **نطق الضاد**، يلحظ المتأمل في أداء القراء في زماننا تنوعاً في نطق الضاد، وكان هذا التنوع مما لفت نظر علماء القراءة والتجويد المتقدمين، ولذلك كانوا يَحُضُّونَ المتعلم على إتقان النطق به، وعدم التقصير في إيفائه حَقَّهُ من مخرجه

---

(١) شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني ص٢٩٨، وينظر: التحديد (له) ص ١٦٨.
(٢) شرح التيسير(المسمى الدر النثير)ص٤٤٨.
(٣) ينظر الرعاية ص ٢٠٦ - ٢٠٧
(٤) ينظر: التحديد ص ١٦٨.
(٥) ينظر: الإقناع ١/١٨٢.
(٦) ينظر: جهد المقل ص ٢٠٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وصفاتـه، وبَلَـغَ مـن عنايتهـم بهـذا الصوت أن أفردوه برسـائل مسـتقلة، تُبَـيِّنُ كيفية النطق به، أو كيفية رسم الكلمات التي تُكْتَبُ بها لتمييزها عن التي تُكْتَبُ بالظاء.

وتـكاد المكونـات الصوتيـة لصـوت الضـاد التـي ذكرهـا سـيبويه وعلمـاء العربية والتجويـد المتقدمـون، مـن كونه صوتاً حافيّـاً، رخواً، مجهوراً، مطبقاً، مسـتطيلاً [(١)]، لا يتحقق بعضها في النطق المعاصر، ونجد المشـتغلين بالأداء في زماننا يجتهدون في التوفيق بين ما تَلَقَّوْهُ عن شيوخهم أداءً، وبين ما يجدونه مسطراً في كتب التجويد من صفـات لهـذا الصـوت، ومن هنا يحصل تباين في طريقة نطـق الضاد، لا يخفى على المتأمـل في صـور الأداء المعاصـرة لهذا الصوت، وهنـاك حاجـة لتوحيد صورة النطق المعتمـدة لـدى المعلمين والمتعلمين، حتـى تتوحد طريقة النطق بالضـاد[(٢)]، ولا يتحقق ذلـك إلا مـن خـلال اعتماد التلاوة القرآنية الموحدة، لتكون مثـالاً يحتذيه أهل الأداء من معلمين ومتعلمين.

(٤) همزة بين بين، وهي صورة من صور تسـهيل الهمزة في النطق العربي، وليس في رواية حفص عن عاصم سـوى موضع واحد تُنْطَقُ فيه هذه الهمزة، وهو في قوله تعالى: ﴿ ءَاْعْجَمِيٌّ ﴾ في سورة فصلت (٤٤)، وهذه الهمزة هي أحد الأصوات الفرعية المستحسنة التي تكثر في تلاوة القرآن الكريم[(٣)]، والنطق الغالب لهذه الهمزة في قراءة القـراء المشـهورين، في الكلمـة المذكورة، هـو أن تُنْطَقَ بين الهمـزة والحرف الذي منه حركتها، وهو الألف.

ولفـت نظـري أن بعضاً من المشـتغلين بالقـراءة في زماننا ينطقها بشـكل مختلف، فتكـون أقـرب إلى الحاء، فكأنـه ينطق (أَحَعْجَمِيٌّ)، أو أقرب إلـى الهاء، فكأنه ينطق (أَهَعْجَمِيٌّ)، ولا أثر لهذا النطق في كتب القراءة والتجويد القديمة والحديثة، حسـب اطلاعـي، فهـي تنـص على أن الهمزة المسـهلة تُنْطَـقُ بين الهمزة والحـرف الذي منه حركتهـا، فـإن كانـت مفتوحة فهـي بين الهمزة والألـف، وإن كانت مكسـورة فهي بين الهمـزة واليـاء، وإن كانـت مضمومـة فهـي بين الهمـزة والـواو [(٤)]، ويُخْشَـى أن تأخذ

---

(١) ينظر: سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٢-٤٣٤، والداني: التحديد ص ١٦٢.
(٢) ينظر: بحث (قضية الضاد في العربية) ضمن كتاب: أبحاث في علم التجويد ص١٤٦- ١٦٦.
(٣) ينظر: سيبويه الكتاب ٤/٤٣١، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ص٨١.
(٤) ينظر: مكي: الرعاية ص١١٠، والداني: التحديد ص٩٧، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ص٨٢.

http://www.al-maktabeh.com

الهمزة الحائية أو الهائية طريقها إلى الكتب التعليمية، فتصير مذهباً.

(٥) الإشمام، وهو لغة مصدر الفعل أَشَمَّ[1]، واشتقاق الإشمام من الشَّمِّ، كأنك أَشْمَمْتَ الحرف رائحة حرف آخر[2]، وله في العربية صور متعددة، ومواضع مختلفة، قال أبو شامة المقدسي: «والإشمام في عُرْفِ القراء يُطْلَقُ باعتبارات أربعة:

أحدها: خَلْطُ حرف بحرف، كما في ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ (الفاتحة ٦)، وما يأتي في ﴿أَصْدَقُ﴾ (٧٨)، و﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الغاشية: ٢٢).

والثاني: خَلْطُ حركة بأخرى، كما يأتي في ﴿قِيلَ﴾ (البقرة: ١١)، ﴿وَغِيضَ﴾ (٤٤)، وأشباههما.

والثالث: إخفاء الحركة، فيكون بين الإسكان والتحريك، كما يأتي في ﴿تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ (يوسف: ١١).

والرابع: ضم الشفتين بعد سكون الحرف»[3].

وليس الغرض هنا مناقشة كل ما يتعلق بهذه الأنواع من الإشمام، فإن ذلك لا يتسع له هنا المقام[4]، وإنما القصد التنبيه إلى أن بعض صور الإشمام لا تزال بها حاجة إلى تبيين عند بعض المتعلمين أو حتى المعلمين، فقد لاحظت وأنا أتتبع ما ورد في الكتب عن الإشمام في نحو ﴿قِيلَ﴾، ﴿وَغِيضَ﴾، تعدداً في طريقة وصف هذا الصوت، كما أني لم أجد طريقة أداء القراء له موحدة، وصوت الإشمام في هذه الأفعال موجود في بعض القراءات، خاصة قراءة الكسائي، وهو وإن لم يكن له تعلق برواية حفص عن عاصم إلا أنه يتداخل مع الأنواع الأخرى للإشمام، ويحسن بالقارئ أن يعرف حقيقته الصوتية، حتى لا تلتبس عليه صور الإشمام في القراءة، ونظراً لدقة النطق بهذا الصوت فقد صرح بعض العلماء بأن النطق به لا يضبط

---

(١) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٣٢٥/١٢(شمم).
(٢) ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل ٦٧/٩.
(٣) إبراز المعاني ص ٧١.
(٤) ينظر في تفصيل هذا الموضوع: بحث (الإشمام: حقيقته وأنواعه)، منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي، العدد التاسع ١٤٣١هـ، وفي كتاب (أبحاث جديدة في علم الأصوات والتجويد ص ٢٢٩- ٢٦٦).

مكتبة المهتدين الإسلامية

إلا بالمشافهة[1]، لكن مطلوب اليوم من المشتغلين بالقراءة والمهتمين بسلامتها من الانحراف عن جادة الصواب أن يجدوا طريقة لضبط النطق بصور بالإشمام، بحيث لا يخطئ المعلم والمتعلم في أدائها.

ثانياً: ظواهر الاختلاف الكمية

هناك مظهر آخر من مظاهر التنوع في الأداء في عصرنا يتعلق بطريقة النطق بعدد من صفات الحروف التي تقبل التفاوت، فهذا النوع من الاختلاف لا يُغَيِّرُ من حقيقة الأصوات، لكنه قد يصيبها بالتشويه الناجم عن الإفراط في تحقيق صفاتها، وقديماً قال أبو مزاحم الخاقاني في منظومته في حسن أداء القرآن، التي وصفها ابن الجزري بأنها أول مصنف في التجويد:[2]

٢٦. زِنِ الحرفَ لا تُخْرِجْهُ عن حَدِّ وَزْنِهِ   فَوَزْنُ حروفِ الذِّكْرِ من أفضلِ البِرِّ

وقال علم الدين السخاوي في ذلك أيضاً في منظومته (عمدة المجيد في النظم والتجويد):[3]

٥. للحرفِ ميزانٌ فلا تَكُ طاغياً   فيه، ولا تَكُ مُخْسِرَ الميزانِ

ونَقَلَ ذلك أيضاً كل من محمد بن قيصر المارديني (ت٧٢١هـ) في منظومته (الدر النضيد في معرفة التجويد)[4]، وإبراهيم بن عمر الجعبري (ت٧٣٢هـ) في منظومته (عقود الجمان في تجويد القرآن)[5].

والميزان الذي يجب مراعاته في نطق الحروف هو أن تخلو القراءة من التكلف والإفراط والتعسف[6]، فتكون القراءة على ما يقتضيه الطبع المستقيم، ويَتَأَتَّى ذلك من خلال الأخذ من فم المعلم المتقن المجود، أو استماع القراءة المرتلة الصحيحة من

---

(١) ينظر: الزجاجي: كتاب الجمل ص ٧٦.

(٢) ينظر القصيدة في: أبحاث في علم التجويد ص ٢٨.

(٣) ينظر البيت في كتابه: جمال القراء، آخر الجزء الثاني، وفي أول: المفيد شرح عمدة المجيد للمرادي.

(٤) حيث قال في البيت الثالث والعشرين من منظومته (مخطوط في مكتبة جستربتي برقم ٣٦٥٣/٤):
فللحرفِ ميزانٌ سَيُذْكَرُ لاحقاً   فلا تَطْغَ فيه ولا تُخْسِرِ اعْدِلا

(٥) حيث قال في مقدمتها:
للحرفِ معيارٌ سَأَذْكُرُ حَدَّهُ   فاحذرْ زيادتَهُ ومن نقصانِ

(٦) ينظر: الداني: التحديد ص ٨٧.

http://www.al-maktabeh.com

وسائل التسجيل الصوتي الحديثة، وهناك عدد من الصفات الصوتية يتفاوت القراء في زماننا في طريقة النطق بها، وقد يبالغ بعض أهل الأداء في تحقيقها حتى تخرج عن حدها، وهي بحاجة إلى قانون يضبطها، وميزان يُبَيِّنُ مقدارها.

ومن تلك الصفات: التكرير، والقلقلة، والترقيق والتفخيم، ومقادير المدود والغُنَنِ، وسوف أشير إلى ما يعتري كل صفة من هذه الصفات من إفراط أو تفريط، على وجه الإجمال، لتتضح من خلال ذلك الحاجة إلى ما أدعو إليه من معالجة ذلك من خلال (التلاوة القرآنية الموحدة).

١. التكرير، وهو صفة خاصة بصوت الراء، وكان سيبويه قد وصف الراء بأنه صوت مكرر، وأن الوقف عليها يزيدها تكريراً[١]، وذكر علماء التجويد هذه الصفة للراء، لكنهم حذروا من المبالغة في تحقيقها، فقال مكي: «إخفاء ذلك التكرير واجب»[٢]، وقال أبو عمرو الداني: «فإذا أتى مشدداً تُوُصِّلَ إلى النطق به بِيُسْرٍ من غير تكرير ولا عُسْرٍ»[٣].

ولا يعني تحذير علماء التجويد الأوائل من إظهار صفة التكرير إذهابها من الراء وإعدامها بالكلية، وإنما يعنون به عدم المبالغة في إظهارها إلى حد يَقْبُحُ به النطق[٤]، وحَذَّرَ أبو الفضل الرازي (ت ٤٥٤هـ) من «تغليظ الراءات أو إذهاب تكريرها»[٥]، وقال عبد الوهاب القرطبي: «فَيُتَوَقَّى الإفراط في تكراره، مع حِفْظِ نظامه وتَوْفِيَةِ نصيبه منه»[٦].

وأحْسَنَ إمامُ القراء ابن الجزري في التعبير عن حقيقة صفة التكرير في الراء حين قال: «وقد تَوَهَّمَ بعض الناس أن حقيقة التكرير ترعيد اللسان بها المرة بعد المرة، فأظهر ذلك حال تشديدها، كما ذهب إليه بعض الأندلسيين، والصواب التَّحَفُّظُ من ذلك بإخفاء تكريرها، وهو مذهب المحققين، وقد يبالغ قوم في

---

(١) ينظر: الكتاب ١٣٦/٤ و٤٣٥.
(٢) الرعاية ص١٩٤-١٩٥.
(٣) التحديد ص١٥١.
(٤) ينظر: ابن الطحان: مخارج الحروف وصفاتها ص ٩٥.
(٥) نقلا عن الأندرابي: الإيضاح ص ٢٩٩.
(٦) الموضح ص ١٠٥.

مكتبة المهتدين الإسلامية

إخفـاء تكريرهـا مُشَـدَّدَةً، فيأتـي بهـا مُحَضْرَمَةً شـبيهةً بالطـاء، وذلك خطأ لا يجـوز، فيجـب أن يُلْفَظَ بها مُشَـدَّدَةً تشـديداً ينبو اللسـان نبوة واحـدة وارتفاعاً واحداً، من غير مبالغة في الْحَصْرِ والعَصْرِ»[1].

ولعـل ابـن الجـزري يشـير إلـى ما قالـه الجعبري في شـرحه على الشـاطبية عن طريقة إخفاء التكرير في الراء: «وتكريرُهُ لَحْنٌ، فيجب التحفظ عنه، لا به، وهذا كمعرفة السـحر لِيَجْتَنِبَهُ، وطريق السـلامة منه أن يُلْصِقَ اللافظ به ظهر لسـانه بأعلى حَنَكِهِ لصقاً محكماً مرة واحدة، ومتى ارتعد حدث من كل مرة راء»[2]، وهذا وصف لا يتوافق مع وصف علماء العربية والتجويد لنطق صفة التكرير في الراء، وقـد حَـذَّرَ منـه ابن الجـزري في قوله السـابق، وحَذَّرَ منه المرعشـي (ت١١٥٠هـ) حين قال: «ليس معنى إخفاء تكريره إعدام التكرير بالكلية، بإعدام ارتعاد طرف اللسـان بالكلية، لأن ذلك لا يمكن إلا بالمبالغة في لصق رأس اللسـان باللثة بحيث ينحصـر الصـوت بينهمـا بالكليـة، كما في الطاء المهملة، وذلـك خطأ لا يجوز كما صـرَّح ابـن الجـزري في النشـر، لأن ذلـك يؤدي إلـى أن يكون الراء مـن الحروف الشديدة مع أنه من الحروف البينية... فلا وجه لنفي التكرير عنه بالكلية»[3].

والذي غلب على عبارات المؤلفين لكتب التجويد وتعليم قواعد التلاوة المعاصرين في وصف صفة التكرير في الراء عبارة الجعبري، حتى صرحوا بأن هذه الصفة تُعْرَفُ لِتُجْتَنَبَ لا لِيُؤْتَى بها[4]. وقد أوقع ذلك المتعلمين في حيرة من أمرهم، وقد يضطـر بعضهـم للمبالغة في إخفـاء التكرير مجاراة لمـا ورد في الكتب التعليمية، وهـو أمـر تنبغـي مراجعته، وتعديـل عبارته، لتكون دقيقـة في التعبير عن حقيقة هذه الصفة والمراد من قول العلماء في إخفائها[5].

---

(١) النشر ٢١٨/١-٢١٩.

(٢) نقلا عن المرادي: شرح الواضحة ص٤٤، والمفيد ص ١٢١.

(٣) جهد المقل ص١٥٧.

(٤) ينظـر مثـلاً: محمـد الصـادق قمحـاوي: البرهـان ص ٢٢، وأحمـد الطويـل: فـن الترتيـل وعلومـه ٥٩١/٢، وأحمـد شـكري وزمـلاؤه: المنيـر ص١٣٧.

(٥) ينظـر في تفصيـل هـذا الموضـوع بحثـي (تكريـر الـر اء في مذاهـب أهـل الأداء) وهـو منشـور في مجلـة الدراسـات القرآنيـة، التـي تصدرهـا الجمعيـة العلميـة السـعودية للقـرآن الكـريم وعلومـه، جامعـة الإمـام محمـد بـن سـعود الإسـلامية، الرياض، العـدد الأول ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م (ص٣٢٧-٣٦٥)، وأُعِيدَ نشـره في كتابـي (أبحـاث جديـدة في الأصـوات والتجويـد ص٢٠٨ - ٢٢٨).

http://www.al-maktabeh.com

٢. القلقلة، وهي صفة لخمسة حروف تجمعها عبارة (قُطْبُ جَد)، كما هو معروف لدى المشتغلين بعلم التجويد، وقد ذكرها سيبويه في باب الوقف على الحروف الخمسة بقوله: «فإذا وَقَفْتَ خرج معها من الفم صُوَيْتٌ، ونَبَا اللسان عن موضعه»[١]. ويقرر الدرس الصوتي الحديث أن الأصوات الشديدة لا يتأتى النطق بها نطقاً كاملاً من غير أن تُتْبَعَ بذلك الصوت الذي ينشأ من انفتاح المخرج بالصوت الشديد[٢].

ويجد الدارس في كتب علماء العربية، وعلماء القراءة والتجويد، نقاشاً طويلاً حول عدد حروف القلقلة، وهل تختص القلقلة بالوقف أو تشمل النطق بالحروف الخمسة إذا كانت ساكنة، سواء وُقِفَ عليها أو وقعت في درج الكلام [٣]، وقَسَّمَ المؤلفون المعاصرون في علم التجويد القلقلة إلى كبرى وصغرى وزاد بعضهم المتوسطة [٤]، وكل ذلك مؤسس على أسس علمية متينة.

وما يستوقف المتأمل في النطق بصوت القلقلة في أداء القراء المعاصرين المبالغة بتحقيقها حتى تخرج عن حدها، وقد يكون مرد ذلك تشبيه بعض العلماء صوت القلقلة بأنه يشبه النطق بالحركة[٥]، حتى قال بعض المعاصرين: إن صوت القلقلة يكون بحسب حركة الحرف الذي قبلها، وإن كان أكثرهم ينحون بها نحو الفتحة، لكن علماء التجويد حذروا من «أن يبلغ القارئ بالقلقلة في حروفها رتبة الحركة»[٦].

ويبدو أن تشبيه صوت القلقلة بحركة الفتحة قد حَمَلَ بعض أهل الأداء المعاصرين على المبالغة بها حتى تقرب من الفتحة، فقد ينطق بعضهم كلمة ﴿ٱلتَّقْوَىٰ﴾ كأنها مفتوحة القاف هكذا: (التَّقَوَى)، وقد تؤدي المبالغة بتحقيقها

---

(١) الكتاب ٤/١٧٤.
(٢) ينظر: محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص١٣٢.
(٣) ينظر: شرح المقدمة الجزرية ص٣٠٧ - ٣١١.
(٤) ينظر: المرصفي: هداية القاري ١/٨٦، وأحمد الطويل: فن الترتيل وعلومه ٢/٥٨٩، وأحمد شكري وزملاؤه: المنير ص ١٣٥.
(٥) ينظر: الشيرازي: الموضح ١/١٧٦، وأبو شامة المقدسي: إبراز المعاني ص٧٥٥، والمرعشي: جهد المقل ص١٥٠.
(٦) محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد ص٢٠.

مكتبة المهتدين الإسلامية

إلـى تغييـر المعاني، كما في قوله تعالـى: ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ (الأنعام: ٥١)، فلو قرأها القارئ (يَدَعُونَ) لكان ذلك مُغَيِّراً للقراءة مُحَرِّفاً للمعنى.

ولذلك يجب أن يكون للقلقلة ضابط يحكمها، بحيث لا يؤدي إلى الإخلال بها، أو المبالغة في تحقيقها حتى تخرج عن حدها، فَتَخْتَل القراءة ويتغير المعنى، ويمكن تحقيق ذلك من خلال السعي إلى تأسيس التلاوة القرآنية الموحدة.

٣. الترقيق والتفخيم

الترقيق لغة: مصدر الفعل رَقَّقَ الشيءَ: أي جَعَلَهُ رقيقاً، والرقيق نقيض الغليظ والثخين[١]، والتفخيم لغة: مصدر الفعل فَخَّمَ، والتفخيم التعظيم، وفَخَّم الكلام عظَّمَهُ، فِعْلُهُ الثلاثي فَخُمَ يَفْخُمُ، ومعنى فَخُم: ضَخُمَ [٢].

والترقيق في الاصطلاح: إنحافُ ذاتِ الحرفِ ونُحُولُهُ، فلا يَمْتَلِئُ الفَمُ بِصَدَاهُ، والتفخيم ضِدُّهُ، وهو سِمَنُ الحرفِ وامتلاءُ الفَمِ بِصَدَاهُ [٣].

وتنتج صفة التفخيم في الحروف بسبب ارتفاع أقصى اللسان وتراجعه إلى الخلف[٤]، وهناك تلازم بين صفة التفخيم وصفة الاستعلاء التي تقتضي تصعد أقصى اللسان، سواء كان الاستعلاء مع الإطباق أم بدونه، وقد قال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦١هـ): «إن التفخيم والإطباق والاستعلاء من وادٍ واحد»[٥].

وتنتج صفة الترقيق عن انخفاض مؤخر اللسان عند النطق بالحروف المرققة.

ولا تنفك حروف العربية عن الاتصاف بإحدى هاتين الصفتين، لكن عدداً من الحروف يلزم صفة التفخيم، أو الترقيق، بينما يلحق الترقيق والتفخيم عدداً آخر منها بحسب ما يجاورها من الحروف فيكون مُرَقَّقاً حيناً، ويكون مُفَخَّماً حيناً آخر.

---

(١) لسان العرب ١٠/١٢١ (رقق).
(٢) لسان العرب ١٢/٤٤٩ (فخم).
(٣) ابن الطحان: الإنباء في تجويد القرآن ص٦٥، ومرشد القارئ (له) ص٥٥، وابن الجزري: النشر ٢/٩٠
(٤) ينظر: عبد العزيز الصيغ: المصطلح الصوتي ص ١٤٨.
(٥) الموضح ص١٧٩، وينظر: المرعشي: جهد المقل ص١٥٤.

http://www.al-maktabeh.com

فحروف الاستعلاء السبعة (ص ض ط ظ، غ خ ق) تلازمها صفة التفخيم، والحروف الباقية (عدا اللام والراء والألف) تلازمها صفة الترقيق، وعددها تسعة عشر حرفاً، واللام والراء والألف تُرَقَّقُ حيناً، وتُفَخَّمُ حيناً آخر، بحسب ما يجاورها من الحركات أو الحروف، وتكفلت كتب القراءات والتجويد بتفصيل أحكام الترقيق والتفخيم.

وما دعاني إلى الحديث عن هذا الموضوع هو مبالغة بعض أهل الأداء في زماننا في تحقيق صفتي الترقيق والتفخيم، خاصة عند النطق بالألف، والتي قال عنها ابن الجزري « وأما الألف فالصحيح أنها لا توصف بترقيق ولا تفخيم بل بحسب ما يتقدمها، فإنها تتبعه ترقيقاً وتفخيماً»[1]، فهي تُفَخَّمُ بعد حروف الاستعلاء، وبعد الراء، وتُرَقَّقُ بعد حروف الاستفال، هذا هو رأي جمهور العلماء، وما استقر عليه أهل الأداء، لكن البعض منهم يبالغ في تفخيم الألف بعد الحروف المفخمة حتى تقرب من الواو، ويبالغ في ترقيقها بعد الحروف المرققة حتى تقرب من الياء، وذلك خلل في القراءة ينبغي تداركه حتى لا تختل ألفاظ التلاوة، وتخرج عن سمتها الصحيح، وحكم الفتحة في الترقيق والتفخيم حكم الألف، لأنها مأخوذة منها.

فإذا قرأ القارئ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ (النبأ)، فيجب عليه أن يعطي الألفات حقها من الترقيق والتفخيم، فكل من ﴿ مِرْصَادًا ﴾ و ﴿ أَحْقَابًا ﴾ و ﴿ شَرَابًا ﴾ فيها ألفان عند الوقف، الألف الأولى مفخمة لوقوعها بعد حرف مُسْتَعْلٍ، أو راء مفخمة، والألف الثانية مرققة لوقوعها بعد حرف مُسْتَفِلٍ، ويجب التحفظ من أن تطغى إحدى الصفتين على الأخرى، وتركُ المبالغة في تفخيم الألف المفخمة حتى تستدير الشفتان، فتقرب من الواو، كما يفعله بعض أهل الأداء، ويكفي في تحقيق صفة التفخيم استعلاء أقصى اللسان، مع المحافظة على انفتاح الشفتين، وكذلك عدم المبالغة في ترقيق الألف المرققة حتى تنفرج الشفتان، فتقرب من الياء، وتصير مثل ألف الإمالة.

---

(١) النشر ٢١٥/١.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وهذا أمر يحظى باهتمام كثير من أهل الأداء، لما يشعرون به من انحراف على ألسنة بعض المشتغلين بالتلاوة تعليماً أو أداء، وينبغي أن يكون أحد الموضوعات التي تضبطها التلاوة القرآنية الموحدة.

٤. مقادير المدود والغُنَنِ

لكل حرف من حروف اللغة وحركة من حركاتها زمن محدد يتطلبه النطق بها، وعلى أهل اللغة مراعاة ذلك في نطقهم للغتهم، لأنه عنوان الأصالة، وميدان التمييز بين الفصاحة والعجمة، ومراعاة ذلك في قراءة القرآن آكد وألزم، ولا يحتاج القارئ إلى مِرَانٍ طويل لضبط النطق بالحروف الشديدة والرخوة، لكن ضبط النطق بحروف المد يحتاج إلى عناية خاصة، لقابليتها على الامتداد، ووَضَعَ علماء العربية والتجويد قواعد تُبَيِّنُ مقادير المدود، والمواضع التي يجب فيها زيادة مدها، والمواضع التي يمتنع فيها ذلك، وكذلك الحروف الغَنَّاء، وهي الميم والنون اللتان تشبهان حروف المد في قابليتهما على الامتداد، سوى أن حروف المد تجري في الفم، وهما يجريان في تجويف الأنف.

وإذا كانت كتب القراءة والتجويد قد فَصَّلَتْ أحكام المدود، وحَدَّدَتْ مقاديرها على نحو مُفَصَّلٍ ودقيق، فإن مراعاة تلك المقادير في الأداء قد يلحقه القصور بالزيادة خاصة، لقابلية حروف المد على الامتداد، فيستهوي ذلك بعض القراء، رغبة منهم في زيادة التشويق في القراءة.

ولا يزال علماء القراءة والتجويد يُحَذِّرُون من المبالغة في المدود من قديم الزمان، فقد قال ابن البَنَّاء البغدادي (ت٤٧١) في كتابه بيان العيوب في القراءة: «وكذلك يُحْذَرُ من زيادة الممدود الذي يُخْرِجُهُ عن حَدِّهِ، فيعتقد أنه تجويد وأنه فيه من المحسنين، ولا يعلم أنه من المسيئين»[1].

ومن هذا القبيل زيادة المد في صوت الغنة، فالمشهور « عن العلماء المؤلفين في فن التجويد المتقنين أن الغنة لا تزيد ولا تنقص عن مقدار حركتين، كالمد

(١) بيان العيوب ص ٣٨، وينظر: علي القاري: المنح الفكرية ص ٢٤٠.

http://www.al-maktabeh.com

الطبيعي»[1]، لكن بعض أهل الأداء يبالغون في إطالة صوت الغنة مع الميم والنون المشددتين، ومع النون المخفاة، رغبة في الترنم والتطريب، وهو مما حَذَّرَ منه علماء القراءة، فقال المرعشي: «وَلْيُحْذَرْ عن المبالغة في تطويل غنة الإخفاء»[2].

وليس من سبيل إلى ضبط النطق بحروف المد والغُنَنِ ومقاديرها، وتوحيد طريقة النطق بها، سوى تأسيس ضوابط محددة للتلاوة الصحيحة لقراءة القرآن الكريم، يلتزم بها المعلمون والمتعلمون، وأهل الأداء والإقراء، وأحسب أن تحقيق ذلك ليس بالأمر الصعب، على نحو ما سنوضح في المبحث الآتي، إن شاء الله تعالى.

---

(١) محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد ص ١٢٥.

(٢) جهد المقل ص ٢٨٧.

مكتبة المهتدين الإسلامية

المبحث الثاني

أسباب تعدد وجوه الأداء، ووسائل معالجته

إن التنوع اللهجي من أخطر العوامل التي تهدد وحدة اللغات المشتركة، ومن ثم يحرص القائمون على أمر اللغات على تثبيت صورة النطق الفصيح في وجه ضغوط صور النطق اللهجية، و «إن الله تبارك وتعالى بعث نبيه ﷺ والعرب متناؤون في المَحَالِّ والمقامات، متباينون في كثير من الألفاظ واللغات... وأباح لهم القراءة على لغاتهم، وحَمَّلَ حروفهِ على عادتهم، وكان الرسول ﷺ يُقْرِئُهُم بما يفقهون، ويخاطبهم بالذي يستعملون بما طَوَّقَهُ الله من ذلك، وشَرَحَ به صدره، وفَتَقَ لسانه، وفَضَّلَهُ على جميع خلقه»[1].

وبعد انتشار القراءات القرآنية الناتجة عن رخصة الأحرف السبعة في الأمصار الإسلامية، وظهور الجدل حولها، بادر الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بالأمر بنسخ الصُّحُفِ التي جُمِعَ فيها القرآن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه في المصاحف على لسان قريش الذين نزل القرآن بلسانهم، وتوزيعها على الأمصار الإسلامية، وأمر بإحراق ما سواها[2]، ورَضِيَ المسلمون باختيار خليفتهم، اعتقاداً منهم بأن حفظ نص القرآن الكريم كما أُنْزِلَ أهم من التمدد برخصة الحرف السبعة، والانتصار لمذهب قارئ معين، فتوحدت المصاحف التي بأيدي المسلمين، وقرؤوا من القراءات المروية بما يحتمله خطها، وتركوا كل قراءة مخالفة للخط كانوا يقرؤون بها في ظل رخصة الأحرف السبعة.

ولدينا شواهد تاريخية أخرى على حرص علماء الأمة على نبذ الخلاف في القرآن الكريم، وكراهة تعدد القراءات القرآنية إلى الحد الذي يخرج عن التيسير إلى المشقة على المتعلمين، من ذلك ما قام به ابن مجاهد من اختيار سبع قراءات من القراءات الصحيحة المشهورة في زمانه، وخصها بكتاب السبعة، وجمع ما عداها من قراءات في كتاب آخر سماه شواذ السبعة، حرصاً منه على التيسير على المتعلمين،

---

(١) هذا قول القاسم بن ثابت السرقسطي (ت٣٠٢هـ)، ولم أقف عليه في النسخة المطبوعة من كتابه (الدلائل في غريب الحديث)، ينظر: أبو شامة المقدسي: المرشد الوجيز ص ١٢٨-١٢٩.

(٢) ينظر: صحيح البخاري ص ٩٩٢ (رقم الحديث ٤٩٨٧).

http://www.al-maktabeh.com

وتقييداً لباب الاختيار في القراءة، فبعد أن بلغت اختيارات القراء في زمانه العشرات، مما ضَمَّهُ كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام في القراءات، وكُتُبِ أبي حاتم، وإسماعيل القاضي، والطبري وغيرهم[1]، وحين طلب أحد تلامذة ابن مجاهد منه أن يختار قراءة تنسب إليه، ذكر له أن الأمة بحاجة إلى حفظ ما اختاره أئمة القراءة الأوائل، وليست بحاجة إلى اختيارات جديدة، تزيد من صعوبة الأمر على المتعلمين[2].

والغرض من الإشارة إلى هذه الوقائع التاريخية هو التأكيد على أن علماء الأمة من لدن عصر الصحابة كانوا يحرصون على حفظ نص القرآن الكريم وقراءاته من التغيير أو التبديل، أو الزيادة أو النقصان، وأنكروا الانتصار للنفس بجانب تحقيق الغرض الأسمى وهو صيانة القرآن الكريم، واجتماع الكلمة حوله، فهذا ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رفض أن يُسَلِّمَ مصحفه للحرق في أول الأمر، لأن ما فيه تلقاه عن رسول الله ﷺ، لكنه وافق الجماعة في آخر الأمر، حرصاً منه على اجتماع كلمة الأمة[3]، وهذا ابن مجاهد لا يرضى باختيار قراءة تنسب إليه، وإن كان في ذلك الشرف الأسمى، وتخليد الذكر عبر القرون، لكنه اختار سبعاً من القراءات من بين عشرات الاختيارات المعروفة في زمانه، وتلقت الأمة عمله بالقبول.

أوَّلاً: أسباب تعدد وجوه الأداء

لعل من المفيد هنا محاولة استكشاف أسباب التنوع في أداء القراء المعاصرين الذي تَحَدَّثْتُ عنه في المبحث الأول، قبل البحث في وسائل مواجهته، ولا شك في أن البحوث في هذا المجال لا تزال محدودة أو تكاد تكون معدومة، وعلى الباحث أن يُعْمِلَ فكره ويجتهد في معرفة الأسباب، لأن الوقوف عليها يحمل معه مفاتيح معالجتها، ومن أهمها في ما يبدو لي:

(١) **الرواية**، قد تكون الرواية مصدراً لتعدد صور نطق بعض الظواهر في التلاوة، والرواية قطعاً أصل لوجوه القراءات جميعاً، وهي ليست موضوعاً لحديثنا في هذا البحث، لكن الذي أعنيه هنا هو صور الأداء المتعددة التي أشرت إليها في المبحث

(١) ينظر: ابن الجزري النشر ٣٤/١.
(٢) ينظر: الذهبي: معرفة القراء ٥٣٧/٢.
(٣) ينظر: ابن أبي داود: كتاب المصاحف ١٨٩/١ و٢٠٢.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الأول، فلا شك في أن من يلتزمون بتلك الصور في أدائهم يعتقدون أن مصدرها الرواية التي ترقى أسانيدها إلى القراء الأوائل من السبعة ومن فوقهم من الصحابة والتابعين.

ويثير تعدد وجوه الأداء في الظاهرة الواحدة التساؤل حول إمكانية أن تكون تلك الوجوه كلها تستند إلى الرواية، لا سيما إذا كانت تبدو متضادة، مما يحمل على الشك في أن يكون بعضها يستند فعلاً إلى الرواية، ومن ثم هناك حاجة لتعضيد بعض تلك الوجوه بحجج أخرى تقويها من الدراية، من خلال ما سَطَّرَهُ العلماء الأوائل في كتبهم، أو من خلال حجج عقلية تستند إلى القياس الصحيح على أصول قطعية لا اختلاف فيها بين العلماء أو أهل الأداء.

(٢) **طول سلسلة الأداء**، ومعناه مرور قرون طويلة على الحقبة التي بدأت منها الرواية لصورة النطق المثلى للقرآن الكريم، وتخلَّلَ تلك القرون تناقلُ صورة ذلك النطق من خلال عشرات الحلقات من سلسلة الرواية الطويلة للأداء، فهل تحقق النقل الدقيق للنطق الصحيح في جميع تلك الحلقات؟ يرى بعض العلماء عدم نفي احتمال أن تكون بعض وجوه الأداء قد تعرضت لخلل ما في أثناء ذلك، وهو احتمال نظري ذهب إليه بعض علماء التجويد المتأخرين، وفي مقدمتهم محمد بن أبي بكر المرعشي الملقب بساچقلي زاده، والمتوفى سنة ١١٥٠هـ، مؤلف كتاب (جهد المقل) في علم التجويد، وشرحه (بيان جهد المقل).

فقد قال في أول كتابه (جهد المقل): «وتجويد القرآن قد يُحَصِّلُهُ الطالب بمشافهة الشيخ المُجَوِّدِ بدون معرفة مسائل هذا العلم، بل المشافهة هي العمدة في تحصيله، لكن بذلك العلم يَسْهُلُ الأخذ بالمشافهة، وتزيد به المهارة، ويصان به المأخوذ عن طريان الشك والتحريف، كما صرح به في الرعاية»[1].

وقال المرعشي في شرح كلامه هذا والتعليق عليه في كتابه بيان جهد المقل: «وقوله (بمشافهة الشيخ)، قال في الصحاح: المشافهة المخاطبة من فِيكَ إلى فِيهِ، انتهى، أقول: فإضافة المشافهة إلى الشيخ من قبيل إضافة المصدر إلى الفاعل، أي بمشافهة

---

(١) جهد المقل ص ١١٠.

http://www.al-maktabeh.com

الشيخ المجود إياه.

قوله: (هي العمدة)، يجيء بمعنيين: بمعنى المقصود، وبمعنى ما يعتمد عليه، والمراد الثاني، لأن الإنسان كثيراً ما يعجز عن أداء الحروف بمجرد معرفة مخارجها وصفاتها من المؤلفات، ما لم يسمعه من فم الشيخ، لكن لمَّا طالت سلسلة الأداء تخلل أشياء من التحريفات في أداء كثير من شيوخ الأداء، الشيخ الماهر الجامع بين الرواية والدراية المتفطن لدقائق الخلل في المخارج والصفات أعز من الكبريت الأحمر ! فوجب علينا أن لا نعتمد على أداء شيوخنا كل الاعتماد، بل نتأمل في ما أودعه العلماء في كتبهم من بيان مسائل هذا الفن، ونقيس ما سمعناه من الشيوخ على ما أُودِعَ في الكتب، فما وافقه فهو الحق، وما خالفه فالحق ما في الكتب، كما صرح به في الرعاية، وهذه عبارتها:

«القراء يتفاضلون في العلم بالتجويد، فمنهم مَن يعلمه رواية وقياساً وتمييزاً، فذلك الحاذق الفطن، ومنهم مَن يعلمه سماعاً وتقليداً، فذلك الوهن الضعيف، لا يلبث أن يشك ويدخله التحريف والتصحيف، إذ لم يَبْنِ على أصل، ولا نقل عن فهم، انتهى[1]»[2].

وكرر المرعشي هذا المعنى في رسالته عن كيفية النطق بالضاد حيث قال: «هذا ولكن الله سبحانه وتعالى حفظ كتابه الكريم عن التحريف في كلماته، وفي كيفية أدائها، كما وعده، إذ وَفَّقَ العلماء لحفظ كلماته، وتبيين صفات حروفه في مؤلفاتهم، بحيث إن من يطلب الحق يجده البتة، ثم لا يجوز للشيخ المقرئ أن يكتفي بالتقليد من شيخه، بل يطلب معرفة صفات الحروف من الكتب المبسوطة، ككتاب الرعاية، فلعله أو شيخه قد وَهِمَ في بعض الحروف فَحَرَّفَهُ، قال صاحب الرعاية: القراء يفاضلون في العلم بالتجويد ...»[3].

---

(١) الرعاية لتجويد القراءة لمكي ص ٨٩، وينظر في المعنى ذاته وبألفاظ مقاربة: العماني: الكتاب الأوسط ص٧٥، والداني: التحديد ص٦٧.

(٢) بيان جهد المقل ص١٨.

(٣) كيفية أداء الضاد ص ٢٥.

مكتبة المهتدين الإسلامية

(٣) **الوَهْمُ في فهم بعض المصطلحات أو تفسير بعض الظواهر،** وقد يحمل ذلك الوَهْمُ صاحِبَهُ على إعطاء أحكام قد لا تكون دقيقة، فيؤسس لمذهب قد يجد الترويج له من بعض التلامذة، وربما وجد المتتبع عدداً من الأمثلة على هذا العامل من عوامل تعدد وجوه الأداء في الظاهرة الواحدة، ولكني سوف أقف عند مثال واحد يبين أن العالم قد يقع في الوهم، وأن ذلك الوهم إذا لم يجد من العلماء من يُقَوِّمُهُ يمكن أن يكون مذهباً، ذلك المثال يتعلق بحكم الألف من حيث الترقيق والتفخيم.

فالمعروف أن الألف تتبع ما قبلها في الترقيق والتفخيم، لكن هذه القاعدة تعرضت للتشكيك من أحد كبار علماء القراءات والتجويد، وهو إبراهيم بن عمر الجعبري المتوفى سنة ٧٣٢هـ، الذي قال في منظومته (تحقيق التعليم في الترقيق والتفخيم) بعد أن ذكر التفخيم في حروف الاستعلاء السبعة [١]:

١٤. وإياكَ واستصحابَ تفخيمِ لَفْظِهَا   إلى الألفاتِ التالياتِ فَتَعْثَرَا

وأخذ بعض تلامذة الجعبري برأي شيخهم، فَحَذَّرُوا من تفخيم الألف بعد حروف الاستعلاء، كابن الْجُنْدِي (عبد الله بن أيدغدي المتوفى سنة ٧٦٩هـ) وابن الجزري في أول حياته العلمية، فقد قال في كتابه التمهيد في علم التجويد، وهو من أوائل الكتب التي ألفها، وهو يتحدث عن تفخيم الخاء: «واحذر إذا فَخَّمْتَهَا قبل الألف أن تُفَخِّمَ الألف معها، فإنه خطأ لا يجوز، وكثيراً ما يقع القراء في مثل هذا، ويظنون أنهم قد أتوا بالحروف مُجَوَّدَةً، وهؤلاء متصدرون في زماننا، يُقْرِئُونَ الناسَ القراءاتِ، فالواجبُ أن تلفظ بهذه كما تلفظ بها إذا قلت: ها، يا، قال الجعبري:

١٤. وإياك واستصحاب تفخيم لفظها   إلى الألفات التاليات فتعثرا

وقال شيخنا ابن الْجُنْدِيِّ رحمه الله: وتفخيم الألف بعد حروف الاستعلاء خطأ..»[٢].

وابن الجزري الذي كان متحمساً لرأي شيخه ابن الجندي في أول حياته العلمية نجده يتراجع عن هذا المذهب وينتقده في كتابه الكبير النشر الذي ألفه بعد كتاب

---

(١) تحقيق التعليم ورقة ص ٤٩.

(٢) التمهيد في علم التجويد ص١٢٨-١٢٩.

http://www.al-maktabeh.com

التمهيد بنحو عشرين سنة، فقال فيه: «وأما الألف فالصحيح أنها لا توصف بترقيق ولا تفخيم، بل بحسب ما يتقدمها فإنها تتبعه ترقيقاً وتفخيماً، وما وقع في كلام بعض أئمتنا من إطلاق ترقيقها فإنما يريدون التحذير مما يفعله بعض العجم من المبالغة في لفظها إلى أن صَيَّرُوها كالواو، أو يريدون التنبيه على ما هي مرققة فيه. وأما نص بعض المتأخرين على ترقيقها بعد الحروف المفخمة فشيء وَهِمَ فيه، ولم يسبقه إليه أحد، وقد رَدَّ عليه الأئمة المحققون من معاصريه..»[1].

وهذا المثال يعطينا درساً عظيماً على التجرد العلمي، والانتصار للحق، وليس الانتصار للأشخاص، وإن كانوا شيوخاً لهم فضل التعليم، وواجب الاحترام والتبجيل، فابن الجزري أخذ برأي أكبر شيوخه في القراءات في أول حياته العلمية، وهو ابن الْجُنْدِيِّ الذي بنى رأيه على كلام شيخه الجعبري، ولكن ابن الجزري بعد أن تعمق في دراسة علم التجويد والقراءات، واطلع على أقوال العلماء في هذه المسألة، تراجع عن هذا الرأي، وحمله على الوهم من قائله، وإن كان من كبار شيوخه في القراءة.

(٤) **المبالغة في تحقيق صفات الحروف** أو النطق ببعض الأحكام عند بعض الشيوخ قد يحمل بعض المتعلمين على الخروج عن الحد المقبول في القراءة، كالمبالغة في المدود أو تطنين النونات، أو تكرير الراءات، ونحوها من الصفات، كما حصل لبعض تلامذة حمزة بن حبيب الزيات، فقد كان حمزة يبالغ في تحقيق الألفاظ حتى يصل بالمتعلم إلى إعطاء الحروف حقوقها، لكن بعض من أخذ عنه استمر على تلك المبالغة في المدود والهمز ونحوها مما جعل بعض من استمع تلك القراءة ينكرها[2].

وحَذَّرَ أبو عمرو الداني من التكلف في القراءة، فقال: «واعلموا أن التحقيق الوارد عن أئمة القراءة حَدُّهُ أن تُوَفَّى الحروف حقوقها، من المد إن كانت ممدودة، ومن التمكين إن كانت ممكنة، ومن الهمز إن كانت مهموزة، ومن التشديد إن كانت مشددة، ومن الإدغام إن كانت مدغمة، ومن الفتح إن كانت مفتوحة، ومن الإمالة إن كانت ممالة، ومن الحركة إن كانت متحركة، ومن السكون إن كانت مسكنة، من غير تجاوز ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف، على ما نبينه في ما بعد، إن شاء الله تعالى.

(١) النشر ١/٢١٥-٢١٦.
(٢) ينظر: الداني: التحديد ص٨٨-٩٠.

مكتبة المهتدين الإسلامية

فأما ما يذهب إليه بعض أهل الغباوة من أهل الأداء من الإفراط بالتمطيط، والتعسف في التفكيك، والإسراف في إشباع الحركات، وتخليص السواكن، إلى غير ذلك من الألفاظ المستبشعة والمذاهب المكروهة - فخارج عن مذاهب الأئمة وجمهور سلف الأمة، وقد وردت الآثار عنهم بكراهة ذلك، وبكيفية حقيقته»[١].

إن هذه العوامل لا تزال تعمل مجتمعة أو منفردة في بروز بعض الظواهر غير الأصيلة في القراءة، وقد يكون بعض صور التنوع التي عرضناها في المبحث الأول ناتجة عن بعضها، وقد تكون هناك أسباب أخرى أدت إلى بروز هذه الظواهر، ولكن المهم هو أن يسعى القائمون على مؤسسات تعليم القرآن الكريم في زماننا إلى تخليص التلاوة منها، ويمكن أن يسلكوا في الوصول إلى تحقيق ذلك الهدف سبلاً عدة، لعل في مقدمتها تأسيس التلاوة القرآنية الموحدة، وهو ما أحاول تسليط الضوء عليه في الفقرة الآتية.

ثانيا: وسائل معالجة الاختلاف في الأداء

إن ما ذكرته في المبحث الأول من مظاهر للاختلاف في التلاوة المعاصرة يدعو المشتغلين بالإقراء والمهتمين بتعليم التلاوة إلى العناية بهذا الموضوع، للتحقق من أن تلك الظواهر ليست انحرافاً عن جادة الصواب، فإن ظهر أن بعضها ليس له أصل أصيل في تراثنا توجب العمل على إبعاده عن ساحات التعليم، وتخليص الكتب المنهجية منه.

ومن الوسائل التي يمكن أن تُمَهِّدَ السبيل لمعالجة تلك الظاهرة ما يأتي:

١. البحوث العلمية المتخصصة: فالمكتبة القرآنية تزخر بعدد كبير من المصادر المتعلقة بعلم التجويد وقراءة القرآن الكريم، ولعل من أهم الوسائل المناسبة لحسم الخلاف إذا ما تعارضت وجوه الأداء المبنية على الرواية، كتابة بالبحوث العلمية المتخصصة، التي تستقصي الأقوال، وتوازن بينها، وترجح ما يؤيده الدليل العلمي منها.

وهناك كثير من الكتابات التي تتناول الظواهر التي أشرت إليها في المبحث

---

(١) التحديد ص٨٧.

http://www.al-maktabeh.com

الأول، لكن يغلب على كثير منها التعجل، وعدم الاستقصاء، والانحياز لبعض وجهات النظر، بما يجعلها تفتقر إلى شروط البحوث العلمية الرصينة، ولا أنفي وجود بحوث جيدة في هذا المجال، ولكننا لا نزال بحاجة إلى تبني المنهج العلمي في مناقشة المسائل المتعلقة بالتلاوة القرآنية.

٢. الاستعانة بالوسائل الحديثة المُعْتَمَدَةِ في دراسة علم الأصوات اللغوية، فالتلاوة القرآنية مظهر من مظاهر النشاط الصوتي الإنساني، تنطبق عليها القوانين الصوتية التي تقوم عليها اللغات البشرية، ويمكن الإفادة من تلك الوسائل في ترجيح بعض وجوه الأداء على غيرها.

ويبدو أن كثيراً من المشتغلين بالتلاوة في زماننا لا يزالون غير مقتنعين بفائدة أجهزة مختبر الصوت في دراسة ظواهر التلاوة، ويتشككون في صدق نتائج البحوث التي تعتمد عليها، وقد يكون هذا الموقف مبنياً على الحرص على بقاء التلاوة قائمة على الرواية، بعيدة عن الاجتهادات الشخصية، وهو شعور طيب وموقف نبيل، لكن اعتماد الوسائل الحديثة في دراسة الظواهر الصوتية في التلاوة القرآنية لا يترتب عليه تغيير التلاوة، بقدر ما يكشف عن طبيعتها، ويحدد خصائصها الصوتية، ويبين الفروق الدقيقة بين نطق وآخر في المسائل المشتبهة التي يكثر النقاش حولها، ليتمكن الدارسون من خلال ذلك ترجيح ما هو أقوى دليلاً، وأقرب إلى القواعد التي دوَّنها علماء السلف حول تلك المسائل، وقد أُنْجِزَتْ دراسات علمية حول عدد من الظواهر الصوتية المتعلقة بقراءة القرآن، مثل المدود، والغنة، والقلقلة، وغيرها، تستحق الوقوف عندها، واحتذاء منهجها في إنجاز بحوث أخرى[1].

---

(١) مثل بحوث الدكتور يحيى علي المباركي: ظاهرة المد في الأداء القرآني (دراسة تطبيقية في المدة الزمنية)، مجلة جامعة أم القرى، السنة العاشرة، العدد الخامس عشر ١٤١٧هـ، و(القيمة الكمية والزمنية لصويت القلقلة في الأداء القرآني: دارسة تطبيقية) مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثاني والعشرون ١٤١٩هـ، و(الكم الزمني لصويت الغنة في الأداء القرآني)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد(١٣)، العدد (٢١) ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م. ومثل بحوث الدكتور محمد صالح الضالع: التجويد القرآني (دراسة صوتية فيزيائية) دار غريب القاهرة ٢٠٠١م. والقلقلة في التجويد القرآني (دراسة صوتية) مجلة الدارة، العدد الثالث ١٤٣٢هـ. ومثل بحوث الدكتور سمير شريف إستيتية، خاصة كتابه (القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية)، عالم الكتب الحديث ٢٠٠٥م.

مكتبة المهتدين الإسلامية

٣. الاعتماد على رأي الجمهور في المسائل المختلف فيها، وتنازل صاحب الرأي المنفرد عن رأيه، حفاظاً على وحدة الأداء في تلاوة القرآن الكريم، لاحتمال أن يكون ذلك الرأي المنفرد ناتجاً عن ضعف في الرواية أو خطأ في الفهم، وقديماً قال أبو عمرو بن العلاء: «إني أتهم الواحد الشاذ إذا جاء على خلاف ما جاءت به العامة»[1].

ولنا في موقف الصحابة رضوان الله عليهم أسوة حسنة، حين أَحْرَقَ كثيرٌ منهم مصحفه، وأخذوا بالمصحف العثماني الذي اجتمعت عليه كلمة جمهورهم، وكذلك موقف أتباع أصحاب الاختيارات من القراء الذين أدرج ابن مجاهد قراءاتهم في كتابه شواذ السبعة، فتركوا القراءة بها، واجتمعوا على القراءة والإقراء بما اختاره ابن مجاهد في كتاب السبعة.

٤. تأسيس مجلس علمي للإقراء، يضطلع بكل ما يتعلق بالتلاوة القرآنية المعاصرة، من وضع الضوابط العامة للتلاوة، واختيار الوجه الراجح في المسائل المختلف فيها في الأداء، يلتزم به من يتعاطى التعليم أو الإقراء، أو يتصدى للإمامة أو التلاوة، ويمكن للمجلس أن يصدر تلاوات نموذجية أو ختمات كاملة تلتزم بالوجوه الراجحة في المسائل المختلف فيها، لتكون دستوراً للمعلمين وقدوة للمتعلمين.

وإذا كان لأهل اللغة مجامعهم اللغوية اليوم، ولأهل الفقه مجامعهم الفقهية، ولأهل كل فن وعلم لهم جمعياتهم، فَحَرِيٌّ بأهل القرآن أن يكون لهم مجمع علمي للإقراء، تكون له الكلمة الفصل في كل ما يتعلق بالقضايا العلمية الخاصة بتلاوة القرآن، ويمكن أن تُعْرَضَ عليه الكتب المؤلفة في بيان أحكام التلاوة لإجازتها، والختمات المسجلة صوتياً، قبل طرحها في الأسواق، للتأكد من سلامتها العلمية، وعدم اعتمادها على الوجوه الشاذة التي تثير الاضطراب أو الحيرة في نفوس المتعلمين.

وأحسب أن تأسيس مثل ذلك المجلس أو المجمع العلمي ليس بالأمر الصعب، لوجود نواة له في كل بلد من بلدان العالم الإسلامي، فجمعيات تحفيظ القرآن،

(١) نقله أبو شامة المقدسي: المرشد الوجيز ص١٨١.

http://www.al-maktabeh.com

وروابط القراء، والهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، وما أشبهها من مؤسسات علمية أو تعليمية، كلها لديها من الكفاءات العلمية التي لو اجتمعت لحققت الهدف المنشود.

٥. تأسيس التلاوة القرآنية الموحدة، وهي محصلة لما ذكرته من وسائل، وسوف تحظى باحترام المشتغلين بالإقراء والتعليم، وتكون منهجاً يرجع إليه المتعلمون، وقانوناً يحتكم إليه المختلفون، حتى تخلو ساحات التلاوة من الجدل والخلاف، وتتوحد التلاوة القرآنية على ألسنة أهل الأداء.

مكتبة المهتدين الإسلامية

خاتمة

قد لا يكون هذا البحث قد أحاط بكل جوانب الموضوع الذي دار حوله، وهو دراسة ظواهر الاختلاف الموجودة في الأداء القرآني المعاصر كافة، ووسائل مواجهتها، ولكني أحسب أنه قد أظهر وجود مشكلة حقيقية في طريقة أداء القراء في زماننا لعدد من الأحكام أو الصفات الصوتية، وحاول الكشف عن العوامل التي أدت إليها، واقتراح الوسائل التي تَحُدُّ منها، وإذا أثار هذا البحث اهتمام المعنيين بتعليم القرآن الكريم بهذه المشكلة، وحَفَّزَهُم للتفكير فيها، فإنه يكون قد حَقَّقَ أهم أهدافه.

ولم يأت هذا البحث من فراغ، ولكنه جاء بعد تجربة طويلة من البحث في موضوعات علم التجويد وعلم الأصوات، وتحقيق أو تأليف عدد من الكتب في هذين العلمين، والاطلاع على ما يكتب حول المشكلات المتعقلة بهما، كما أن كاتبه قد مارس التعليم والقراءة والإقراء في المؤسسات العلمية وخارجها، وقد أثار ذلك في نفسه الاهتمام بالقضايا المتعلقة بموضوع هذا البحث، ويأمل أن يسعى المهتمون بأمر تعليم القرآن الكريم لمواجهتها من خلال:

١. تأسيس مجمع علمي للإقراء، يضطلع بكل القضايا العلمية المتعلقة بتلاوة القرآن الكريم.

٢. إزالة وجوه الاختلاف في الأداء القرآني، أو تقليلها قدر المستطاع، وانتهاء الجدل حولها بين المشتغلين بتعليم القرآن الكريم.

٣. وضع ضوابط لتأليف كتب تعليم التلاوة، حتى لا تكون مصدراً لإشاعة بعض الاجتهادات الشخصية في وجوه الأداء، خاصة الكتب التي تُدَرَّسُ في معاهد الإقراء وجمعيات تعليم القرآن الكريم، فالمكتبات اليوم مليئة بالكتب التعليمية، المتنوعة المناهج والموضوعات، وكَتَبَ بعضها أشخاص قد لا تكون لديهم الكفاءة العلمية التي يحتاجها التأليف في هذا المجال.

٤. وضع ضوابط للتلاوات التي تُذَاعُ أو تُنْشَرُ في مختلف وسائل النشر الحديثة، حتى لا يتاح للتلاوات غير الدقيقة الرواج والتأثير في السامعين، ويقوم الناشئة

http://www.al-maktabeh.com

بتقليدها.

٥. عقد ندوات علمية متخصصة لدراسة القضايا التي أشار إليها البحث، واتخاذ قرارات علمية بشأنها.

ويأمل الباحث بعد ذلك كله ظهور التلاوة القرآنية الموحدة التي تكون مرجعاً للمُعَلِّمِينَ، وقدوة للمتعلمين.

وقد يقول قائل: إن هذه الاختلافات التي أشار إليها البحث من دقائق النطق التي لا يتنبه لها كثير من المتعاطين للقراءة، وأنها مما يمكن التغاضي عنه، لأنها لا تغير المعاني، ولا تؤدي إلى خلل ظاهر في القراءة! أقول جواباً لقول هذا القائل: لو كان الأمر يتعلق بنطق لهجي فإنه قد يكون مثل هذا القول مقبولاً، لكني أحسب أن تعلق الأمر بتلاوة القرآن الكريم يتطلب منا البحث الجاد للتأكد من الوجه الصحيح من غيره، وقديماً قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله: «مَن تَعَلَّمَ علماً فَلْيُدَقِّقْ فيه، لئلا يَضِيعَ دقيقُ العلم»[1].

هذا، والله تعالى ولي التوفيق.

---

(١) نقله أبو العلاء العطار في كتابه التمهيد في معرفة التجويد ص ٥٣.

مكتبة المهتدين الإسلامية

مصادر الكتاب

- الآجري (محمد بن الحسين): أخلاق حملة القرآن، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار الأنبار، بغداد١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

- ابن الأثير (علي بن محمد):

أ. أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

ب. الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

جـ. اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد.

- ابن الأثير (المبارك بن محمد): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمد أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت (د.ت).

- أحمد بن أحمد الطويل (الشيخ): فن الترتيل وعلومه، ط١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

- أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، بيت الأفكار الدولية، بيروت ٢٠٠٤م.

- أحمد خالد بابكر: القراءات عند ابن جرير الطبري كما وردت في كتابه (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

- أحمد خالد شكري (دكتور) وزملاؤه: المنير في أحكام التجويد، ط٥، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

- أحمد محمد الحوفي (دكتور): الطبري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (سلسلة أعلام العرب) القاهرة ١٩٦٣.

- إسماعيل بن إسحاق القاضي:

أ. أحكام القرآن، تحقيق د. عامر حسن صبري، دار ابن حزم، بيروت ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

http://www.al-maktabeh.com

ب. فضل الصلاة على النبي ﷺ، تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق ١٣٨٣هـ=١٩٦٣م.

- أكرم ضياء العمري (دكتور):

أ. السيرة النبوية الصحيحة، ط ٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.

ب. عصر الخلافة الراشدة: محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

- ابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد): نزهة الأولياء في طبقات الأدباء، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، ط٢، مكتبة الأندلس. بغداد ١٩٧٠.

- ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم): إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تحقيق د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٣٩٠هـ = ١٩٧١م.

- ابن إدريس (أبو بكر أحمد بن عبيد الله): الكتاب المختار، تحقيق د.عبد العزيز بن حميد بن محمد الجهني، مكتبة الرشد (ناشرون)، الرياض ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

- الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد): كتاب معاني القراءات، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

- الأندرابي (أحمد بن أبي عمر):

أ. الإيضاح في القراءات، تحقيق منى عدنان غني، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات في جامعة تكريت ٢٠٠٢م.

ب. قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين (وهو الباب ٣٢ من كتاب الإيضاح السابق) تحقيق د. أحمد نصيف الجنابي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

- أنس أحمد كرزون (دكتور): صحابة رسول الله ﷺ وجهودهم في تعليم القرآن الكريم والعناية به، ط٣، دار نور المكتبات، جدة ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

مكتبة المهتدين الإسلامية

- الأهوازي (أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم): كتاب الإقناع، ضمن كتاب (الأهوازي وجهوده في علوم القراءات)، تحقيق عمر يوسف عبد الغني حمدان، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، عمان، مؤسسة الريان، بيروت ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

- ابن الباذش (أحمد بن علي): الإقناع في القراءات السبع، ط١، تحقيق د.عبد المجيد قطامش، دار الفكر، دمشق ١٤٠٣هـ.

- البخاري (محمد بن إسماعيل):

أ. التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن.

ب. صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية، الرياض ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

- بروكلمان (كارل): تاريخ الأدب العربي ج٢ ترجمة عبد الحليم النجار. ط٣، دار المعارف بمصر ١٩٧٤م.

- البسوي (يعقوب بن سفيان): المعرفة والتاريخ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

- البغدادي (إسماعيل باشا): هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، المطبعة البهية، إستانبول ١٩٥١م.

- ابن البناء (الحسن بن أحمد): بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء، تحقيق غانم قدوري الحمد، ط١، دار عمار، عمان ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

- البيهقي (أحمد بن الحسين):

أ. دلائل النبوة، تحقيق د.عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

ب. مناقب الشافعي تحقيق السيد أحمد صقر، ط١، دار التراث، القاهرة ١٩٧١م.

- الترمذي (محمد بن عيسى): جامع الترمذي، بيت الأفكار الدولية، الرياض ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

http://www.al-maktabeh.com

- ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد بن محمد):
أ. تقريب النشر، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، ط١، دار الحديث، القاهرة ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.
ب. التمهيد في علم التجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م.
جـ. غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق برجستراسر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٢م.
د. النشر في القراءات العشر، راجعه علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.
هـ. منجد المقرئين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

- الجعبري (إبراهيم بن عمر):
أ. تحقيق التعليم في الترقيق والتفخيم، ضمن ثلاث رسائل للإمام الجعبري، تحقيق جمال السيد رفاعي الشايب، مكتبة السنة، القاهرة ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.
ب. جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد، تحقيق د. محمد خضير مضحي الزوبعي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م.

- الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في المدينة المنورة: تيسير أحكام التجويد، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

- ابن جني (أبو الفتح عثمان):
أ. الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٠م.
ب. المحتسب في تبيين شواذ القراءة، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، القاهرة ١٩٦٦م

- ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي):
أ. صفة الصفوة، تحقيق أحمد علي، دار الحديث، القاهرة ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ب. صيد الخاطر، تحقيق د.حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

جـ. مناقب الإمام أحمد بن حنبل، صححه د. علي محمد عمر. ط١، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧٩م.

- أبو حاتم (سهل بن محمد السجستاني):

أ. فعلت وأفعلت، تحقيق د.خليل إبراهيم العطية، جامعة البصرة ١٩٧٩م.

ب. المذكر والمؤنث، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.

- ابن أبي حاتم (عبد الرحمن بن محمد): كتاب الجرح والتعديل، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند.

- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إستانبول ١٩٤١ -١٩٤٣م.

- ابن حبان (أبو حاتم محمد بن حبان):

أ. الثقات، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م.

ب. كتاب مشاهير علماء الأمصار، تصحيح فلايشهمر، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٩هـ = ١٩٥٩م.

- ابن حبيب (محمد): المحبر، تحقيق د. إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- ابن حجر (أحمد بن علي):

أ. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

ب. تهذيب التهذيب، دائرة المعارف النظامية، ط١، الهند ١٣٢٦هـ.

جـ. فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، اعتنى به محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.

http://www.al-maktabeh.com

- ابن حزم (علي بن أحمد): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢.
- الحلبي (عبد الواحد بن علي، أبو الطيب) مراتب النحويين، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٤م.
- الحلبي (علي بن برهان الدين): السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ.
- أبو حيان (محمد بن يوسف الأندلسي): البحر المحيط، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٥م.
- ابن خالويه (الحسين بن أحمد): مختصر في شواذ القراءة، تحقيق برجستراسر، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤م.
- الخزاعي (علي بن محمد): تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
- الخزاعي (أبو الفضل محمد بن جعفر): المنتهى في القراءات، مخطوط في مكتبة جامعة برنستون، رقمه ٣٥٥٨.
- الخطيب البغدادي (أحمد بن علي): تاريخ بغداد، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): تاريخ ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.
- ابن خلكان (أحمد بن محمد): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨م.
- خليفة بن خياط العصفري:

أ. تاريخ خليفة، تحقيق سهيل زكار، دمشق ١٩٦٧.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ب. طبقات خليفة، ط٢، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

- الخليلي (الخليل بن عبد الله بن أحمد): كتاب الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق د. محمد سعيد بن إدريس، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

- ابن خير (محمد): فهرسة ما رواه عنه شيوخه، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

- الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد):

أ. الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات، تحقيق محمد بن مجقان الجزائري، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

ب.البيان في عدِّ آي القرآن، تحقيق غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

جـ. التيسير في القراءات السبع، تحقيق أوتو برتزل، إستانبول ١٩٣٠م.

د. جامع البيان في القراءات السبع، تحقيق مجموعة من الباحثين، جامعة الشارقة ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

هـ. شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني، تحقيق غازي بن بنيدر بن غازي العمري الحربي، جامعة أم القرى - كلية أصول الدين ١٤١٨هـ

و. المحكم في نقط المصاحف، تحقيق د. عزة حسن، دار الفكر، دمشق ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.

ز. المفردات السبع، تحقيق علي توفيق النحاس، دار الصحابة للتراث، طنطا ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

- ابن أبي داود (عبد الله بن سليمان): كتاب المصاحف، تحقيق د.محب الدين عبد السبحان واعظ، ط٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م

- الداودي (محمد بن علي): طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، ط١، القاهرة ١٩٧٢م.

http://www.al-maktabeh.com

- الدمياطي (أحمد بن محمد البنا): إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تحقيق د.شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

- ابن أبي الدنيا (عبد الله بن محمد): كتاب الورع، تحقيق محمد بن حمد الحمود، الدار السلفية، الكويت ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

- الذهبي (محمد بن أحمد):

أ. تاريخ الإسلام، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٣م.

ب. سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين (بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

جـ. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق د. طيار آلتي قولاج، إستانبول ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

- الرازي (أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد): معاني الأحرف السبعة، تحقيق د. حسن ضياء الدين عتر، دار النوادر ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م.

- الرافعي (عبد الكريم بن محمد القزويني): التدوين في أخبار قزوين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.

- رمضان عبد التواب (دكتور): فصول في فقه العربية، مكتبة دار التراث، القاهرة ١٩٧٣م.

- الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن): طبقات النحويين واللغويين. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م.

- الزجاج (إبراهيم بن السري): معاني القرآن وإعرابه، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

- الزرقاني (محمد عبد العظيم): مناهل العرفان في علوم القرآن، ط٣، القاهرة ١٩٤٣م.

مكتبة المهتدين الإسلامية

- الزركشي (محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٧٢م.

- زيد بن علي بن أحمد مهارش: منهج الطبري في القراءات وضوابط اختيارها في تفسيره، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ١٤٢٠هـ.

- السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، ط ١، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٨٣هـ = ١٩٦٤م.

- ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع): الطبقات الكبرى، تحقيق د إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨.

- السمين الحلبي (أحمد بن يوسف):
أ. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق د.أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.
ب. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

- ابن سوار البغدادي (أحمد بن علي): المستنير في القراءات العشر، تحقيق د. عمار أيمن الددو، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان): الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة.

- السيرافي (الحسن بن عبد الله): أخبار النحويين البصريين، نشره فريتس كرنكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٦م.

- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر):
أ. الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة ١٩٦٧م.

http://www.al-maktabeh.com

ب. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت (د.ت).
جـ. طبقات الحفاظ، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.
د. المزهر في علوم اللغة، تحقيق علي محمد البجاوي وآخرين، ط٤، القاهرة ١٩٥٨م.

- أبو شامة المقدسي (عبد الرحمن بن إسماعيل):
أ. إبراز المعاني من حرز الأماني، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، دار الكتب العلمية.
ب. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تحقيق طيار آلتي قولاج، دار صادر بيروت ١٩٧٥م.

- ابن أبي شيبة (عبد الله بن محمد): المصنف، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٠٩هـ.

- الشيرازي (أبو إسحاق إبراهيم بن علي): طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٧٠.

- الشيرازي (نصر بن علي بن أبي مريم): الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق د. عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

- صبحي الصالح (دكتور): مباحث في علوم القرآن، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٤م.

- صفي الدين البغدادي: (عبد المؤمن بن عبد الحق): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة بيروت ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م.

مكتبة المهتدين الإسلامية

- الطبري(محمد بن جرير):

أ. تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠.

ب. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

- ابن الطحان (عبد العزيز بن علي الأندلسي):

أ. الإنباء في تجويد القرآن، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مجلة الأحمدية، العدد الرابع (ص٤٩-٧٢) دبي، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

ب. مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ودار البشير ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.

ج. مخارج الحروف وصفاتها، تحقيق محمد يعقوب تركستاني، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٤هـ = ١٩٨٥م.

- ابن أبي عاصم (عمرو بن الضحاك): كتاب السنة، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

- ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله):

أ. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ.

ب. الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق د.شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، القاهرة ١٤٠٣هـ.

- عبد السلام مقبل المجيدي (دكتور): المنهج النبوي في التعليم القرآني، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

- عبد العزيز الصيغ (دكتور): المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، بيروت - دمشق ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

http://www.al-maktabeh.com

- عبد الوهاب بن محمد القرطبي: الموضح في التجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

- أبو عبيد (القاسم بن سلام):
أ. غريب الحديث، تحقيق د. محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الهند ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.
ب. فضائل القرآن، تحقيق مروان العطية وزميليه، ط٢، دار ابن كثير، دمشق - بيروت ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.
جـ. الناسخ والمنسوخ في القرآن، نشره في فرانكفورت فؤاد سزكين، بالتصوير عن مخطوطة أحمد الثالث بتركيا ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م. وقد أطلعنا على النسخة مشكوراً الأخ الدكتور حاتم الضامن.

- العريني (د. سليمان بن عبد العزيز): الإمام أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

- العطار (أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني): التمهيد في معرفة التجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

- العقيلي (محمد بن عمر): كتاب الضعفاء، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض ١٤٢٠هـ =٢٠٠٠م.

- علم الدين السخاوي (علي بن محمد): جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق د. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.

- علي بن سلطان محمد القاري: المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، تحقيق أسامة عطايا، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

- علي محمد الصلابي (دكتور): السيرة النبوية، ط٢، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

- العليمي (عبد الرحمن بن محمد): المنهج الأحمد في تراجم الإمام أحمد. ط١، القاهرة ١٣٨٣هـ= ١٩٦٣م.

مكتبة المهتدين الإسلامية

- العُمَاني (الحسن بن علي): الكتاب الأوسط في علم القراءات، تحقيق د. عزة حسن، دار الفكر دمشق ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.
- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، دمشق ١٩٥٧م.
- غانم قدوري الحمد:

أ. أبحاث جديدة في علم الأصوات والتجويد، دار عمار، عمان ١٤٢٢هـ = ٢٠١١م.

ب. أبحاث في علم التجويد، دار عمار، عمان ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.

جـ. رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، بغداد ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

د. أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي: حياته وجهوده في دراسة القراءات، بحث في مجلة كلية الشريعة، بغداد، العدد التاسع ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

هـ. محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، عمان ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.

- الفاسي (محمد بن أحمد): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ج٧، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م.
- ابن الفحام (عبد الرحمن بن عتيق): كتاب التجريد لبغية المريد في القراءات السبع، تحقيق د. ضاري إبراهيم العاصي، دار عمار، عمان ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.
- الفراء (محمد بن أبي يعلى): طبقات الحنابلة، صححه محمد حامد الفقي، القاهرة ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.
- ابن فرحون (إبراهيم بن علي): الديباج المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الفيروزآبادي (محمد بن يعقوب): البلغة في تاريخ أئمة اللغة، دمشق ١٣٩١هـ=١٩٧٢م.
- القاضي عياض بن موسى: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.
- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم): المعارف، تحقيق د. ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف بمصر ١٩٨١م.

http://www.al-maktabeh.com

- القسطلاني (أحمد بن محمد): لطائف الإشارات لفنون القراءات ج١، تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان، ود. عبد الصبور شاهين، القاهرة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.
- القفطي (علي بن يوسف): إنباه الرواة على أنباه النحاة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥م.
- القلانسي (محمد بن الحسين): الكفاية الكبرى في القراءات العشر، تحقيق جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا ٢٠٠٣م.
- القلقشندي (أحمد بن علي): قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٨٣هـ =١٩٦٣م.
- الكاساني (علاء الدين أبي بكر بن مسعود): بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ = ١٩٦٨م.
- ابن كثير (إسماعيل بن عمر):

أ. البداية والنهاية، تحقيق سيد إبراهيم الحويطي، دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

ب. طبقات الشافعيين، تحقيق د. أحمد عمر هاشم، ود. محمد زينهم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.

- الكرماني (محمد بن أبي نصر): شواذ القراءات، تحقيق د. شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت.
- الكلاعي (أبو الربيع سليمان بن موسى): الاكتفا بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفا، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.
- الماrديني (محمد بن قيصر): الدر النضيد في معرفة التجويد، مخطوط في مكتبة جستربتي، الرقم (٣٦٥٣/٤).
- المارغني (إبراهيم بن أحمد): دليل الحيران شرح مورد الظمآن، دار القرآن، القاهرة ١٩٧٤م.

مكتبة المهتدين الإسلامية

- المالقي (عبد الواحد بن محمد): شرح كتاب التيسير للداني، المسمى الدر النثير والعذب النمير، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.
- ابن المبارك (عبد الله): كتاب الزهد والرقائق، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٨٦هـ.
- المبرد (محمد بن يزيد): كتاب التعازي والمراثي، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.
- ابن مجاهد (أحمد بن موسى): كتاب السبعة في القراءات، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ١٩٧٢م.
- محمد الزحيلي (دكتور): الإمام الطبري: شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين، دار القلم (سلسلة أعلام المسلمين) دمشق ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.
- محمد الصادق قمحاوي: البرهان في تجويد القرآن، القاهرة ١٩٧٥م.
- محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد في علم التجويد، راجعه الشيخ علي محمد الضباع، مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٤٩هـ.
- محمد محمد أبو شهبة (دكتور): المدخل لدراسة القرآن الكريم ط٢، القاهرة ١٩٧٣م.
- محمود السعران (دكتور): علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.
- المرادي (الحسن بن قاسم):

أ. شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، تحقيق د. عبد الهادي الفضلي، دار القلم، بيروت.

ب. المفيد في شرح عمدة المجيد في علم التجويد، تحقيق د. علي حسين البواب، مكتبة المنار، الزرقاء ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

http://www.al-maktabeh.com

- المرصفي (الشيخ عبد الفتاح السيد عجمي): هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

- المرعشي (محمد بن أبي بكر الملقب ساجقلي زاده):
أ. بيان جهد المقل، بهامش جهد المقل، مؤسسة قرطبة ٢٠٠٤م.
ب. كيفية أداء الضاد، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.
جـ. جهد المقل، تحقيق د. سالم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

- مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية ١٤١٩هـ =١٩٩٨م.

- مكي بن أبي طالب القيسي:
أ. الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٠.
ب. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ط٣، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.
جـ.الكشف عن وجوه القراءات السبع، تحقيق د. محيي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٤م.

- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ط٣، منشورات العصر الحديث ١٩٧٣م.

- المنتوري (محمد بن عبد الملك): شرح الدرر اللوامع في مقرأ الإمام نافع، تحقيق الصديقي سيدي فوزي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

- ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت.

- منيرة محمد علي حجازي (دكتورة): موقف أبي حاتم السجستاني من القراءات القرآنية: (عرض وتحليل ونقد)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م.

مكتبة المهتدين الإسلامية

- ابن مهران (أحمد بن الحسين): الغاية في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

- النحاس (أحمد بن محمد بن إسماعيل):
أ. إعراب القرآن، تحقيق د. زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.
ب. القطع والائتناف، تحقيق د. أحمد خطاب العمر، مطبعة العاني ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.
جـ. معاني القرآن، تحقيق د. يحيى مراد، دار الحديث القاهرة ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

- الندوي (أبو الحسن علي الحسني): السيرة النبوية، ط١٢، دار ابن كثير، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

- ابن النديم (محمد بن إسحاق): الفهرست، تحقيق رضا- تجدد، طهران ١٩٧١م.

- نشوان بن سعيد الحميري: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ود. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

- أبو نعيم (أحمد بن عبد الله):
أ. ذكر أخبار أصبهان، مطبعة بريل، ليدن ١٩٣٤م.
ب. حلية الأولياء، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.

- النووي (يحيى بن شرف): التبيان في آداب حملة القرآن، دار الفكر، دمشق.

- الهذلي (يوسف بن علي): الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، تحقيق جمال السيد رفاعي، مؤسسة سما ١٣٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

- ابن هشام (عبد الملك): السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م.

http://www.al-maktabeh.com

- الهمداني (الحسن بن أحمد): صفة جزيرة العرب،تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٩.

- الهندي (علي المتقي بن حسام الدين): كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م.

- الواقدي (محمد بن عمر): كتاب مغازي الواقدي، تحقيق د. مارسدن جونز، دار المعارف بمصر ١٩٦٥م.

- وكيع (محمد بن خلف بن حيان): أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت.

- ياقوت بن عبد الله الحموي:

أ. معجم الأدباء، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

ب. معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م.

- يسرى محمد ياسين الغباني: أبو حاتم السجستاني والدراسات القرآنية: قراءة وتوجيهاً وإعراباً للقرآن الكريم، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى ١٤٠٩هـ

- يعقوب أحمد السامرائي (دكتور): جهود أبي حاتم السجستاني في علوم القرآن، رسالة ماجستير، إشراف الأستاذ الدكتور جايد زيدان مخلف، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

- ابن يعيش (يعيش بن علي): شرح المفصل، الطباعة المنيرية، القاهرة.

مكتبة المهتدين الإسلامية

موضوعات الكتاب

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية